



شَرح قَصِيدَة «إذا شِئتَ أن تَحيا»





الطبعة الثانية

١٤٣٩هـ / ٢٠١٨م

اسم الكتاب	سعادة المعاد والمحيا
تأليف	عمر بن محمد بن سالم بن حفيظ

عدد الصفحات	٢٣٠	قياس القطع	١٧×٢٤

اعتنى بخدمته

مكتب النور

alnoortarim@gmail.com

تصميم فني وإخراج	عمر محمد باحماله





سعادة المعاد والمحيا

شرح قصيدة «إذا شئت أن تحيا»

للإمام عبدالله بن علوي الحداد

شرحها العلامة الحبيب المربي

عمر بن محمد بن سالم بن حفيظ

ابن الشيخ أبي بكر بن سالم

مراجعة

زيد بن عبدالرحمن بن يحيى | **فهمي بن علي بن عبيدون**

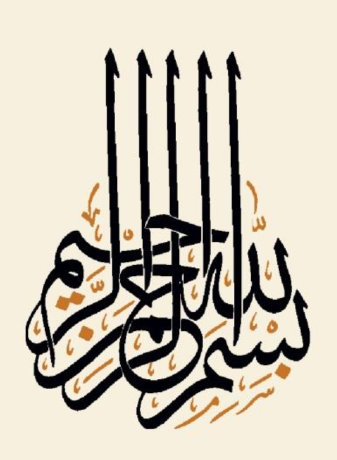
حسين بن عوض باخميس | **عبدالله بن علي بن خميس**

أحمد بن محمد باعمر



هذا الكتاب تم جمعه مِن دروس ألقاها العلامة عمر بن محمد بن حفيظ في الدورة الرابعة عشرة ١٤٢٩هـ بدار المصطفى




بسم الله الرحمن الرحيم



بسم الله الرحمن الرحيم

نبذة مختصرة عن صاحب القصيدة

الحبيب عبدالله بن علوي بن محمد الحداد

هو السيد الشريف والإمام العظيم والبحر الواسع جامع الأوصاف العلمية وبحر العلوم اللّدنية قطب الدعوة والإرشاد عبدالله بن علوي بن محمد بن أحمد الحداد العلوي. ينتسب إلى سلالة الإمام علوي عمَّ الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي(1)، وينتهي نسبه إلى الإمام علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه وفاطمة الزهراء، بنت الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

ولد الإمام الحداد في مدينة تريم يوم الاثنين (٥/ صفر سنة ١٠٤٤هـ) ولمّا بلغ من العمر أربع سنواتٍ فَقَدَ بصره وذلك بسبب مرض الجدري، ولكنَّ الله سبحانه وتعالى عوّضه بنور البصيرة فما أسعده بهذا التعويض، فحفظ القرآن وجدَّ واجتهد في طلب العلم، فقرأ أمهات الكتب واستوعبها وأخذ عن شيوخ عصره العلوم المختلفة فحفظها.

يقول الإمام الحداد عن نفسه: (كنت من حين الصغر وأنا في الجدِّ والعبادة وأنواع المجاهدة)(2).

١- (١) الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي: شيخ الشريعة وإمام الحقيقة، سيد الطائفة الصوفية بحضرموت، ولد بتريم وتوفي بها سنة ٦٥٣هـ (المشرع الروي) للشلي [٢/ ٧].

٢- (٢) الإمام الحداد هو مجدد القرن الثاني عشر، د/ مصطفى البدوي (صـ٤٠).

وأما عن شيوخه: فمنهم السيد الحبيب عمر بن عبدالرحمن العطاس[١]، والسيد الحبيب عقيل بن عبدالرحمن السقاف[٢]، والسيد عبدالرحمن بن شيخ عيديد[٣]، والسيد سهل بن أحمد باحسن[٤] العلوي والسيد محمد بن علوي السقاف نزيل مكة[٥]. وغيرهم كثير.

تشبّع هذا الإمام العظيم منذ طفولته بمختلف العلوم الدينية والصوفية ابتداءً من الإرشاد والبداية ومروراً بالإحياء ومؤلفات الإمام الغزالي، فتوسعت مداركه وانفتحت له أبواب الفتوح المختلفة فكان بحقٍ قطب الدعوة والإرشاد، وكعبة المريدين الذين أخذوا عنه العلوم المختلفة، وأبرزهم على سبيل المثال لا الحصر الإمام أحمد بن زين الحبشي[٦] صاحب حوطة أحمد بن زين التي تُنسب إليه، وهو إمام عظيم شرح عينية الإمام الحداد في كتابٍ مطوّل يُعدُّ قاموساً في أعلام الطريقة.

من تلامذته ابنه الحسن[٧] بن الإمام الحداد والسيد العلامة عبدالرحمن بن عبدالله بلفقيه[٨]، والسيد الحبيب محمد بن زين بن سميط[٩] والسيد عمر بن زين بن سميط[١٠] سميط[١٠] والسيد عمر بن عبدالرحمن البار[١]، والسيد علي بن عبدالله بن عبدالرحمن

٣- (١) عمر بن عبدالرحمن العطاس نبغ في العلوم وصحبه خلق كثير وانتفع به نفعا عظيما، ولد بتريم وتوفي بحريضة سنة ١٠٧٧هـ (المشرع الروي).

٤- (٢) عقيل بن عبدالرحمن السقاف ولد بتريم وتوفي بها سنة ٨٧١هـ (تاريخ شنبل ١٩٣).

٥- (٣) عبدالرحمن بن شيخ عيديد: كان من كبار العلماء العاملين والأئمة المجتهدين، إذا رأى منكراً بادر إلى إزالته ولا يخاف في الله لومة لائم، صحب أبي بكر بن سالم، وأخذ عنه الحداد، توفي سنة (١٠٦٨هـ).

٦- (٤) سهل بن أحمد باحسن: إماماً فاضلاً عالماً، ولد بتريم وولي بها القضاء، وتوفي بها سنة (١٠٧٦هـ)

٧- (٥) محمد بن علوي السقاف إمام الحرمين نادرة الزمان ولد سنة ١٠٠٢ وتوفي سنة ١٠٧١هـ (المشرع الروي) [١/ ١٩٢].

٨- ٦)) أحمد بن زين الحبشي: إماماً في العلوم العقلية والنقلية توفي بخلع راشد سنة ١١٤٥هـ (شمس الظهيرة) [٢/ ٤٧١].

٩- (٧) الحسن بن عبدالله الحداد: ذا وجاهة وتقوى وسخاء ولد بتريم وتوفي بها سنة ١١٨هـ (شمس الظهيرة) [٢/ ٥٦٣].

١٠-(٨) عبدالرحمن بن عبدالله بلفقيه: علامة الدنيا من كبار العلماء والأئمة ولد بتريم وتوفي بها سنة ١١٦٢هـ (عقد اليواقيت [٢/ ٦٧].

١١-(٩) محمد بن زين بن سميط توفي بشبام ١١٧٢هـ (عقد اليواقيت) [٢/ ٦٧].

١٢-(١٠) عمر بن زين بن سميط: كان من الأئمة المجتهدين والعلماء المحققين والأولياء المشهورين، توفي بشبام (١٢٠٧هـ).

السقاف[٢] والشيخ العلامة أحمد عبدالكريم الشجار[٣] والشيخ سليمان بن محمد باحرمي... [٤].

وفي يوم الثلاثاء السابع مِن ذي القعدة سنة (١١٣٢هـ) توفي الإمام الحداد مخلّفاً وراءه الذِّكْر الحسن والمؤلفات والرسائل في مختلف العلوم الدينية والاجتماعية والصوفية متأثراً في جلِّها بمنهج الإمام الغزالي، فانتشرت مؤلفاته في بقاع الأرض وتُرجمت إلى لغات عديدة.

مؤلفات الإمام الحداد:

مؤلفات الإمام الحداد كثيرة ومتنوعة شملت علوم الشريعة والدين وطرق ومسالك أهل التصوف والزهد والعقيدة والأذكار والأدعية والحكم والاجتماع، فهي في جملتها منهج متكامل للدارس الباحث عن الحقيقة الراغب في النجاة.

من مؤلفاته:-

١- كتاب النصائح الدينية والوصايا الإيمانية.

٢- كتاب سبيل الادّكار والاعتبار.

٣- الدعوة التامة والتذكرة العامة.

٤- الفصول العلمية والتذكرة الحكمية.

١٣-(١) عمر بن عبدالرحمن البار: إمام الأئمة الأخيار، من كمل العلماء العاملين والأئمة المحققين المجتهدين شديد الزهد والورع ولد بالقرين وتوفي بها سنة (١١٥٨هـ). ابن سميط: (بهجة الفؤاد).

١٤-(٢) علي بن عبدالله بن عبدالرحمن بن علي السقاف: كان من كبار الأولياء والعلماء العاملين شديد التواضع يخدم الفقراء توفي بسيئون (١١٨١هـ).

١٥- (٣) شهاب الدين أحمد بن عبدالكريم الشجار الإحسائي لازم الإمام الحداد سبعة عشر عاما على الدوام، وكان ذا حفظ للعلم كتب جميع مؤلفات الإمام الحداد بقلمه وحفظ من كلامه وكراماته لكثرة ملازمته له سافر بعد وفاة الحداد وأقام في الإحساء علس سيرة حميدة عابدا وناسكاً...(بهجة الزمان للحبيب محمد بن زين بن سميط.صـ٢٩٤-٢٩٥).

١٦-(٤) لمعرفة المزيد من تلاميذ الإمام الحداد، ينظر إلى كتاب رحلة في ديوان الحداد (صـ٢٥) .

٥- تثبيت الفؤاد.

٦- رسالة المذاكرة مع الإخوان والمحبين.

٧- رسالة المعاونة والمظاهرة والمؤازرة للراغبين من المؤمنين في سلوك طريق الآخرة.

٨- النفائس العلوية في المسائل الصوفية.

٩- آداب سلوك المريد.

١٠- وسيلة العباد إلى زاد المعاد.

١١- الورد اللطيف.

١٢- الراتب الشهير

١٣- الدّر المنظوم لذوي العقول والفهوم (ديوان الإمام الحداد).

نبذة مختصرة عن صاحب الكتاب

الحبيب عمر بن محمد بن سالم بن حفيظ

هو الداعي الإسلامي العلامة عمر بن محمد بن سالم بن حفيظ العلوي الحسيني ولد بمدينة تريم بحضرموت - الجمهورية اليمنية - يوم الاثنين الرابع من شهر محرم لعام ١٣٨٣هـ - الموافق ٢٧ من شهر مايو ١٩٦٣م - ونشأ بها وحفظ القران العظيم ، وتربى تربية صالحة في أحضان والده في بيئة العلم والإيمان والأخلاق الفاضلة :

أخذ علوم الشريعة المطهرة على أيدي مَن أدركهم من علماء حضرموت ومن أجلهم والده مفتي تريم .

ابتدأ التدريس وعمل في الدعوة إلى الله وهو في الخامسة عشر من العمر مع مواصلة التعلم والأخذ والتلقي .

ثم لما اشتد الوضع بسبب الحكم الشمولي الشيوعي في ذلك الوقت انتقل إلى مدينة البيضاء باليمن في أوائل شهر صفر عام ١٤٠٢هـ الموافق شهر ديسمبر ١٩٨١م وأقام في رباط الهدار بالبيضاء . وكان حريصا على عقد الدروس والمجامع العلمية ، كثير الخروج للدعوة إلى الله في مختلف مناطق البيضاء والحديدة وتعز ..

تردد على الحرمين الشريفين بدءا من شهر رجب عام ١٤٠٢هـ الموافق شهر إبريل ١٩٨٢م - وأخذ عن علمائها ..

ي عام ١٤١٣هـ الموافق ١٩٩٢م انتقل إلى مدينة الشحر بمحافظة حضرموت حيث واصل إقامة الدروس في رباط الشحر للدراسات الإسلامية ، وأقام قبلها مدة سنة ونصف تقريبا في سلطنة عمان.

ثم انتقل منها إلى مدينة تريم حيث استقر به المقام فيها واستقبل أعداد الطلاب القادمين عليه من أنحاء مختلفة من العالم . وابتدأ تأسيس دار المصطفى للدراسات الإسلامية عام (١٤١٤هـ الموافق ١٩٩٤م) على ثلاثة مقاصد:

❋ أخذ علوم الشريعة وما اتصل بها بالتلقي عن أهلها بأسانيدهم.

❋ تزكية النفس وتهذيب الأخلاق.

❋ نشر العلم النافع والدعوة إلى الله عز وجل .

له العديد من الرحلات في الدعوة إلى الله ونشر العلم الشرعي إلى مختلف الأقطار كالشام ومصر والسودان والهند وباكستان واندونيسيا وماليزيا وسنغافورة وبروناي وسيريلانكا وكينيا وتنزانيا وجزر القمر ودول الخليج العربي واتصل بأسانيد كثير من العلماء في تلك الأقطار كما شارك في حضور عدد من المؤتمرات الإسلامية .



مؤلفاته :

١. إسعاف طالبي رضا الخلاق ببيان مكارم الأخلاق.

٢. توجيهات الطلاب

٣. شرح منظومة السند العلوي.

٤. خُلُقَنَا .

٥. الذخيرة المشرفة. وقد ترجم بعدة لغات.

٦. الخلاصة في الأذكار .

٧. الضياء اللامع بذكر مولد النبي الشافع.

٨. الشراب الطهور في ذكر سيرة بدر البدور

٩. فيض الإمداد في خطب الجمعة والكسوفين والاستسقاء والأعياد .

١٠. المختار من شفاء السقيم

١١. ثقافة الخطيب.

١٢. نور الإيمان من كلام حبيب الرحمن

١٣. ديوان شعر (فائضات المن من رحمات وهاب المنن)

١٤. سلسلة معالم الدعاة في طريق حبيب الله

١٥. الوصية .. للعاملين في صفوف الدعوة المحمدية .

١٦. منطلقات في بناء ذوات الداعيات .



١٧. تعايش المسلمين مع غيرهم .

١٨. مسلك أهل الفطن في شرح قصيدة ما لذة العيش لأبي مدين .

١٩. الوسطية في الإسلام .

٢٠. ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم .

٢١. مقاصد حلقات التعليم ووسائلها .

٢٢. الحياض المطهرة لواردي المدينة المنورة .

٢٣. زاد الناسك من أدعية آداب المناسك .

٢٤. الصلوات بأسماء الله الحسنى على جامع الصفات الحسناء .

٢٥. توجيه النبيه لمرضاة باريه .

٢٦. قبس النور المبين من أحياء علوم الدين .

٢٧. الاتصال بمعاني اليقين والقرب والسعادة وحقيقة الخلافة .

٢٨. كتاب صلاح الاسرة ودور الابوين في التربية (١-٢) .

٢٩. مدرسة حضرموت ومرجعية الوحي والتنزيل .

٣٠. ماهية التصوف وسمات أهله

** ** **



سعادة المعاد والمحيا

شرح قصيدة «إذا شئت أن تحيا»

للإمام عبدالله بن علوي الحدّاد

شرحها العلامة الحبيب المربي

عُمر بن محمّد بن سالم بن حفيظ

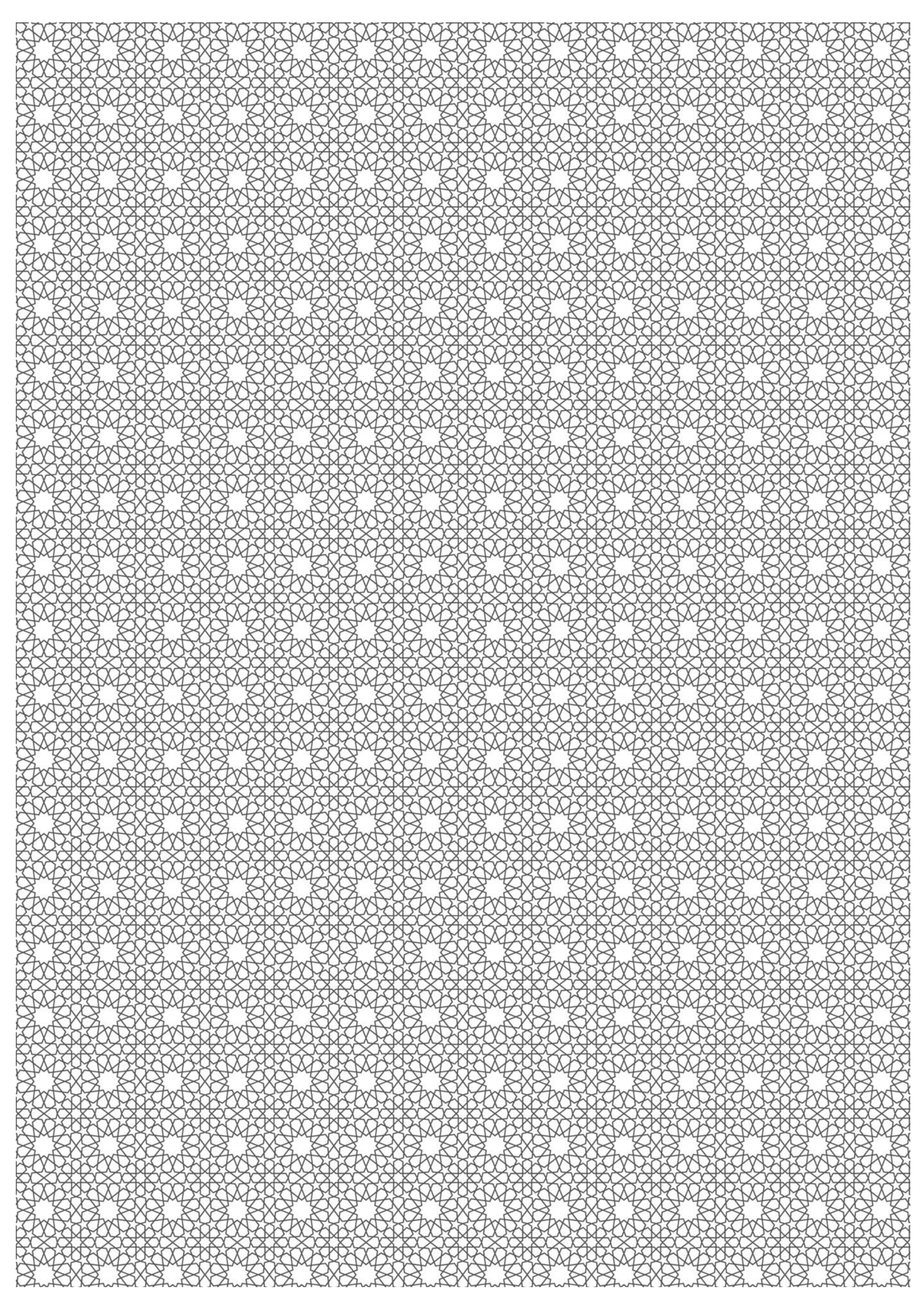
ابن الشّيخ أبي بكر بن سالم

مراجعة

زيد بن عبدالرحمن بن يحيى	**فهمي بن علي بن عبيدون**
حسين بن عوض باخميس	**عبدالله بن علي بن خميس**

أحمد بن محمد باعمر





أبيات القصيدة

١. (إذَا شِئْتَ) أَن تَحْيَا سَـعِيْداً مَـدَى الْعُمْـرِ
وَتُجْعَـلَ بَعْـدَ الْـمَوْتِ فِيْ رَوْضَـةِ الْقَـبْرِ

٢. وَتُبْعَـثَ عِنْـدَ الـنَّفْخِ فِيْ الصُّـوْرِ آمِنَـاً
مِـنَ الْـخَوْفِ وَالْتَّهْدِيْـدِ وَالطَّـرْدِ وَالْخُسْـرِ

٣. وَتُعْـرَضَ مَرْفُوْعـاً كَـرِيْماً مُـبَجَّلا
تُبَشَّـرُكَ الأَمْـلاكُ بِـالْفَوْزِ وَالأَجْـرِ

٤. وَتَـرْجَحَ عِنْـدَ الْـوَزْنِ أَعْمَالُـكَ الَّتِـيْ
تُسَـرُّ بِهَـا فِيْ مَوْقِـفِ الْـحَشْرِ وَالْنَشْـرِ

٥. وَتَمْضِـيْ عَـلَى مَـتْنِ الصِّـرَاطِ كَبَـارِقٍ
وَتَشْـرَبَ مِنْ حَوْضِ النَّبِيْ الْـمُصْطَفَى الطُّهْـرِ

٦. وَتَخْلُـدَ فِيْ أَعْـلَى الْـجِنَانِ مُـنَعَّماً
حَظِيَّـاً بِقُـرْبِ الْوَاحِـدِ الأَحَـدِ الْـوَتْرِ

٧. وَتَنْظُـرَهُ بِـالْعَيْنِ وَهْـوَ مُقَـدَّسٌ
عَنِ الأَيْنِ وَالتَّكْيِيْـفِ وَالْـحَـدِّ وَالْـحَصْـرِ

٨. (عَلَيْــكَ) بِتَحْسِــيْنِ اليَقِــيْنِ فَإِنَّــهُ

إِذَا تَــمَّ صَــارَ الغَيْــبُ عَيْنــاً بِــلاَ نُكْــرِ

٩. وكُــنْ أَشْــعَرِيّاً فِي اعْتِقَــادِكَ إِنّــهُ

هُــوَ الْــمَنْهَلُ الصَّــافِيْ عَــنِ الزَّيْــغِ وَالْكُفْــرِ

١٠. وَقَــدْ حَــرَّرَ الْقُطْــبُ الإِمَــامُ مَلاَذُنَــا

عَقِيْدَتَــهُ فَهْــيَ الشِّــفَاءُ مِــنَ الضُّــرِّ

١١. وَأَغْنِــيْ بِــهِ مَــنْ لَــيْسَ يُنْعَــتُ غَــيْرُهُ

بِحُجَّــةِ إِسْــلاَمٍ فَيَــا لَــكَ مِــنْ فَخْــرِ

١٢. وَخُــذْ مِــنْ عُلُــوْمِ الــدِّيْنِ حَظّــاً مُــوَفَّراً

فَبِــالعِلْمِ تَسْــمُوْ فِي الْحَيَــاةِ وَفِي الْحَشْــرِ

١٣. وَوَاظِــبْ عَــلَى دَرْسِ الْقُــرَآنِ فَــإِنَّ فِيْ

تِلاَوَتِــهِ الإِكْسِــيْرَ وَالشّــرْحَ لِلصَّــدْرِ

١٤. أَلا إِنَّــهُ الْبَحْــرُ الْــمُحِيْطُ وَغَــيْرُهُ

مِــنَ الْكُتْــبِ أَنْهَــارٌ تُمَــدُّ مِــنَ الْبَحْــرِ

١٥. تَــدَبَّرْ مَعَانِيْــهِ وَرَتِّلْــهُ خَاشِــعاً

تَفُــوْزُ مِــنَ الأَسْرَارِ بِــالْكَنْزِ وَالْــذُّخْرِ

١٦. وَكُــنْ رَاهِبــاً عِنْــدَ الْوَعِيْــدِ وَرَاغِبــاً

إِذَا مَــا تَلَــوْتَ الْوَعْــدَ فِيْ غَايَــةِ الْبِشْــرِ

١٧. بَعِيْـداً عَـنِ الْـمَنْهِيِّ مُـجْتَنِباً لَـهُ
حَرِيْصاً عَلَى الْـمَأْمُوْرِ فِي الْعُسْـرِ وَالْيُسْـرِ

١٨. وَإِنْ رُمْـتَ أَنْ تَحْظَـى بِقَلْـبٍ مُنَـوَّرٍ
نَقِـيٍّ عَـنِ الأَكْـدَارِ فَـاعْكِفْ عَـلَى الـذِّكْرِ

١٩. وَثَـابِرْ عَلَيْـهِ فِيْ الظَّـلامِ وَفِيْ الضِّـيَا
وَفِيْ كُـلِّ حَـالٍ بِاللِّسَـانِ وَبِالسِّـرِّ

٢٠. فَإِنَّـكَ إِنْ لازَمْتَـهُ بِتَوَجُّـهٍ
بَـدَا لَـكَ نُـوْرٌ لَـيْسَ كَالشَّـمْسِ وَالْبَـدْرِ

٢١. وَلَكِنَّـهُ نُـوْرٌ مِـنَ اللهِ وَارِدٌ
أَتَـى ذِكْـرُهُ فِيْ سُـوْرَةِ النُّـوْرِ فَاسْـتَقْرِ

٢٢. وَصَـفِّ مِـنَ الأَكْـدَارِ سِرَّكَ إِنَّـهُ
إِذَا مَـا صَـفَا أَوْلاكَ مَعْنَـىً مِـنَ الْفِكْـرِ

٢٣. تَطُـوْفُ بِـهِ غَيْـبَ الْعَـوَالِمِ كُلِّهَـا
وَتَسْـرِيْ بِـهِ فِيْ ظُلْمَـةِ اللَّيْـلِ إِذْ يَسْـرِي

٢٤. وَبِالْجِـدِّ وَالصَّـبْرِ الْجَمِيْـلِ تَحُـلُّ فِيْ
فَسِـيْحِ الْعُـلا فَاسْـتَوْصِ بِالْجِـدِّ وَالصَّـبْرِ

٢٥. وَكُـنْ شَـاكِراً للهِ قَلْبـاً وَقَالِبـاً
عَـلَى فَضْـلِهِ إِنَّ الْـمَزِيْدَ مَـعَ الشُّـكْرِ

٢٦. توَكَّـلْ عَـلَى مَـوْلاكَ وَارْضَ بِحُكْمِـهِ
وَكُــنْ مُخْلِصــاً للهِ فِي السِّـــرِّ وَالْجَهْــرِ

٢٧. قَنُوْعــاً بِــمَا أعْطَــاكَ مُسْــتَغْنِياً بِــهِ
لَــهُ حَامِــداً فِيْ حَــالَيِ الْيُسْــرِ وَالْعُسْــرِ

٢٨. وَكُنْ بَـاذِلاً لِلْفَضْـلِ سَـمْحاً وَلا تَخَـفْ
مِــنَ اللهِ إقْتَــاراً وَلا تَخْــشَ مِــنْ فَقْــرِ

٢٩. وَإيَّـــاكَ وَالـــدُّنْيَا فَـــإِنَّ حَلاْلَهَـــا
حِسَــابٌ وَفِيْ مَحْظُوْرِهَــا الْــهَتْكُ لِلسَّــتْرِ

٣٠. وَلَا تَــكُ عَيَّابــاً وَلا تَــكُ حَاسِــداً
وَلَاْ تَــكُ ذَا غِــشٍّ وَلا تَــكُ ذَا غَــدْرِ

٣١. وَلَا تَطْلُــبَنَّ الْــجَاهَ يَــا صَــاحِ إِنَّــهُ
شَــهِيٌّ وَفِيْــهِ السُّــمُّ مِــنْ حَيْــثُ لا تَــدْرِيْ

٣٢. وإيــــاكَ والأَطْــــمَاعَ إنَّ قَرِيْنَهَــــا
ذَلِيْــلٌ خَسِــيْسُ الْقَصْــدِ مُتَّضِــعُ الْقَــدْرِ

٣٣. وَإِنْ رُمْــتَ أَمْــراً فَاسْــأَلِ اللهَ إنَّــهُ
هُــوَ الْــمُفْضِلُ الْوَهَّــابُ لِلْخَـيْرِ وَالْــوَفْرِ

٣٤. وَأُوْصِيْكَ بِالْخَمْسِ الَتِيْ هُـنَّ يَـا أَخِـيْ
عِــمَادٌ لِــدِيْنِ اللهِ وَاسِــطَةُ الأَمْــرِ

٣٥. وَحَـــافِظْ عَلَيْهَـــا فِي الْجَمَاعَـــةِ دَائِـــماً

وَوَاظِـــبْ عَلَيْهَـــا فِي العِشَـــاءِ وَفِيْ الفَجْـــرِ

٣٦. وَقُـــمْ فِيْ ظَـــلامِ اللَّيْـــلِ لله قَانِتـــاً

وَصَـــلِّ لَـــهُ وَاخْـــتِمْ صَـــلاتَكَ بِـــالْوِتْرِ

٣٧. وَكُـــنْ تَائِبـــاً مِـــنْ كُـــلِّ ذَنْـــبٍ أَتَيْتَـــهُ

وَمُسْـــتَغْفِراً فِيْ كُـــلِّ حِـــيْنٍ مِـــنَ الْـــوِزْرِ

٣٨. عَسَـى الْـمُفْضِلُ الْـمَوْلَى الْكَـرِيْمُ بِمَنِّـهِ

يَجُـــوْدُ عَـــلَى ذَنْـــبِ الْـــمُسِيئِينَ بِـــالْغَفْرِ

٣٩. فَإِحْسَـــانُهُ عَـــمَّ الأَنَـــامَ وَجُـــوْدُهُ

عَـــلَى كُـــلِّ مَوْجُـــوْدٍ وَإِفْضَـــالُهُ يَجْـــرِي

٤٠. وَصَـــلِّ عَـــلَى خَـــيْرِ الْبَرِيَّـــةِ كُلِّهَـــا

مُحَمَّـــدٍ الْـــمَبْعُوثِ بِالْعُـــذْرِ وَالنُّـــذْرِ

٤١. نَبِـــيِّ الْهُـــدَى مَـــنْ عَظَّـــمَ اللهُ شَـــأْنَهُ

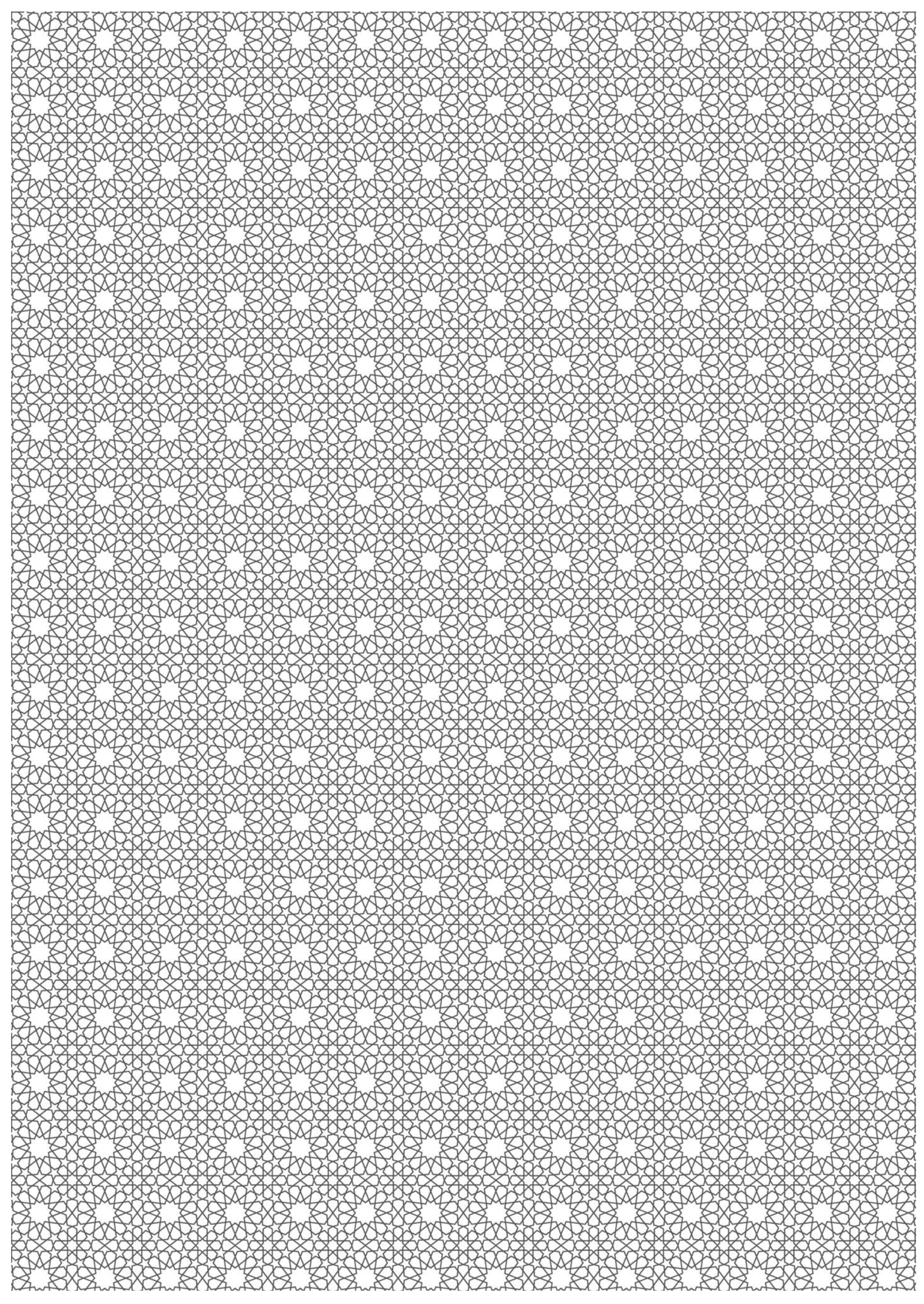
وَأَيَّـــدَهُ بِـــالْفَتْحِ مِنْـــهُ وَبِالنَّصْـــرِ

٤٢. عَلَيْـــهِ صَـــلاةُ اللهِ ثُـــمَّ سَـــلامُهُ

صَـــلاةً وَتَسْـــلِيماً إِلَى آخِـــرِ الـــدَّهْرِ

٤٣. مَعَ الآلِ وَالأَصْحَابِ مَـا هَبَّـتِ الصَّـبَا

وَمَـا زَمْـزَمَ الْـحَادِي وَمَـا غَـرَّدَ الْقُمْـرِي



بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١. (إِذَا شِئْتَ) أَن تَحْيَـا سَـعِيْداً مَـدَى الْعُمْـرِ
وَتُجْعَـلَ بَعْـدَ الْـمَوْتِ فِيْ رَوْضَـةِ الْقَـبْرِ

٢. وَتُبْعَـثَ عِنْـدَ الـنَّفْخِ فِيْ الصُّـوْرِ آمِنَـاً
مِـنَ الْـخَوْفِ وَالْتَّهْدِيْـدِ وَالطَّـرْدِ وَالْخُسـْرِ

٣. وَتُعْـرَضَ مَرْفُوْعـاً كَـرِيْماً مُـبَجَّلا
تُبَشِّـرُكَ الأَمْـلاَكُ بِـالْفَوْزِ وَالأَجْـرِ

٤. وَتَـرْجَحَ عِنْـدَ الْـوَزْنِ أَعْمَالُـكَ الَّتِـيْ
تُسَـرُّ بِهَـا فِيْ مَوْقِـفِ الْـحَشْرِ وَالْنَشْـرِ

هذه القصيدة فيها وصايا عظيمةٌ مهمةٌ نافعةٌ في مسلك الإنسان إلى ربه جل جلاله، وسوف نتأمَّل بعض معانيها

❖ **مقدمة في صدق طلب الوصول إلى الله عزوجل :**

قبل أن نبدأ في شرحِها وتأمل معانيها يجدر بنا التذكيرُ إلى وجوبِ الصدق في نيةِ الوصول إلى الله.

الوصول إلى الله : تحلِّي العبد بصفات العبودية، وظهور وتجلِّي أسرار الربوبية والألوهية، وسطوع شموسها الشارقة، تُوصِلُ العبدَ إلى معانٍ مِن معرفة الله تبارك وتعالى، تلك المعاني التي لا يمكن التعبير عنها بمقال، ولا تَخيلها بخيال، وإنما هي



مشارب مِن العذب الزلال، يسقيها اللهُ الأرواح والقلوب، بها الذواق المعنوي المشار إليه بقول نبينا صلى الله عليه وآله وسلم: **(ذاق طعمَ الإيمان)**.

ماذا تعرف عن طعم الإيمان؟ للإيمان طعمٌ لا يذوقه كل الناس. لا يذوقه إلا من تَحَلَّت بواطنهم بوصف الرضاء بوجهه الأسنى المعبَّر عنه بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: **(ذاق طعمَ الإيمان مَن رضيَ بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمدٍ نبياً ورسولاً)**[17] كم انطوت على معانٍ هذه الكلمات مِن لسان خاتم الرسالات، ومؤدِّي الأمانات، ومؤتمن بارئ الأرض والسماوات، وخيرِ أهل الدلالة على الله، وسيد أهل الوصول والإيصال إلى المولى تعالى في علاه، إنه نبيُّنا محمد بن عبدالله.

يجب أن نستحضر نيَّتنا في وِجهتنا إلى الله، لحيازةِ هذا الوصول إلى الله، ولنصدق ولنتعرَّض لفائضات جودِ الحق، عسى بأهل ذاك المسلك القويم نلحق.

يقول الإمام عبدالله بن علوي الحداد في هذه القصيدة، المبيِّنة لمسالك الطريقة، والمشرِقة بأنوار الشريعة والحقيقة:

** ** **

١. (إذَا شِئْتَ) أَن تَحْيَا سَعِيْداً مَدَى الْعُمْرِ
وَتُجْعَلَ بَعْدَ الْمَوْتِ فِيْ رَوْضَةِ الْقَبْرِ

❖ حقيقة الحياة وحقيقة السعادة فيها:

(إذا شئتَ) أيها المخاطَب، أيها السامع، أيها المصغي، أيها المتنبه، أيها المتوجه.

١٧- أخرجه مسلم عن العباس بن عبدالمطلب، باب الدليل على أن..، (ص:٣٩، برقم:٣٤)، وأخرجه الترمذي في سننه، (الباب:١٠، برقم:٢٦٢٣) الحديث.



(إذا شئت أن تحيا سعيداً) بحقيقة السعادة.

(إذا شئت أن تحيا)، أيُّ حياةٍ هذه ؟! لِتفهَم هذه الحياة تأمّل قوله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٤]

أما الحياة الحسية، فالذين أمامنا ومِن بيننا أحياء، فبِمَ يحييهم؟ وكيف يحييهم؟ .. والله إن السابقين الأولين إلى الإسلام كانوا مِن سادةَ الأحياء، أحياء وأيُّ أحياءٍ! ولكن أبا جهل وأبا لهب وأضرابهما كانوا أمواتاً وأيُّ أمواتٍ! ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢٢]

فالذي لا يخرج من الظلمات هو الميت، ولا نصيبَ له في الحياة، إنما الحياة لمن سَطَعتْ على أرواحهم وقلوبهم شموسُ المعرفة بالحق، كما أن الجسد لا يُوصَفُ بالحياة حتى تدُبَّ فيه الروح، كذلك لا تُوصفُ الروحُ ولا القلبُ بالحياة حتى تشرقَ عليها شمسُ المعرفة بالله ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال: ٢٤]

(إذا شئت أن تحيا) فتكون مِن ضمن مَن أحسن الاستجابةَ لله وللرسول، فحَيِيَ باستجابته إلى الدعوة لما يُحيِي، ﴿إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال: ٢٤]

وكل مَن أشرق على قلبه نصيبٌ مِن شعاع هذا النور أدرك الفارقَ في حاله بعد سطوعِ هذا النورِ عليه وقبل سطوعه، كالفارق بين الحي والميت في عالم الحس، وأدرك أنه كان ميتا فِعلا وهو يظن أنه حي.

لـيس مَـن مَـات فاسْـتَراح بمَيْـتٍ إِنَّـــما الـــمَيْتُ مِيِّـــتُ الأحيـــاءِ

يتكلم وهو ميت، ويأكل وهو ميت، ويشرب وهو ميت، ويمشي في الطريق وهو ميت، وينظر إليك وهو ميت.. قال الله لنبيه: ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُواْ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٨]

وفي الجهـــلِ قَبـــلَ المـــوتِ مـــوتٌ لأهلِـــهِ

فأجســـــادُهمْ قَبـــلَ القبـــورِ قبـــورُ[١]

قبل القبور الأرضية أجسادهم هياكل قبورية، قُبِرت فيها الأرواح الطاهرات، إذ اتّسخت بالاستجابة للدواعي السفليات.

(إذا شئت أن تحيا) حالةَ كونك **(سعيداً)** بأسرار تلك الحياة السامية، والارتقاء إلى تلك الرتبة العالية.

(إذا شئت أن تحيا سعيداً) متَّصفاً بحقيقة السعادة التي مظهرُها الأسمى رضاءُ مَن خَلَقَكَ عنك، وإرادته تقريبَك وإكرامَك والإنعامَ عليك والإحسانَ إليك.. هذه حقائق السعادة.

(إذا شئت أن تحيا سعيداً مدى العمر) أَيْ: حياةً مستمرةً وسعادةً مؤبدةً، فلذا كان نتيجتها بعد انقضاء العمر الدنيوي استمرارَ حياةٍ كريمةٍ وسعادةٍ فخيمةٍ.

١- وهو للإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه (مجمع الحكم والأمثال) لأحمد قبش بن محمد نجيب وهناك من ينسبه إلى أبي الحسن علي بن محمد البغدادي الشهير بالماوردي كما في معجم الأدباء ويضعف ذلك نسبة الماوردي ذاته البيت في كتابه أدب الدنيا والدين لبعض شعراء البصرة فيكون قولاً ثالثاً.



فالدعوة هي دعوة الله ورسوله الذي دعانا لما يحيينا، وهذه الدعوة تتنوع ألسنُها في خطابنا وندائنا لننهض ونعتلي، فكان كل ما يُبَلِّغُه الصحابة والتابعون وتابعوهم بإحسان ألسنٌ لتلك الدعوة نفسِها، قال عنها الداعي إلى الله بإذن الله سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم : (**بلغوا عني ولو آية**)(١) ومِن ذاك اللسان وهذا المنهل العذب والمورد الطيب يخاطبك الآن قائلاً لك :

(إذَا شِـئْتَ) أَن تَحْيَـا سَـعِيْداً مَـدَى الْعُمْـرِ

وَتُجْعَـلَ بَعْـدَ الْـمَوْتِ فِيْ رَوْضَـةِ الْقَـبْرِ

كل ما يطرقُك وينازلُك مِن الحالات تعمل فيه بوفقِ الشريعة على ما يرضي اللهَ فيتحول ذاك الحال لك إلى خير ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة: ٥١] . ولم يعبِّر في الآية بعلينا إشارة إلى ما ذَكَرَ صلى الله عليه وآله وسلم أن حالَ المؤمن كلَّه خيرٌ: (**عجباً لحال المؤمن إن حالَه كلَّه خيرٌ وليس ذاك إلا للمؤمن إن أصابته ضراءُ صبر فكان خيراً له ، وإن أصابته سراءُ شكر فكان خيراً له**)(٢)

وليس ذلك إلا للمؤمن.

فمن أشرقت على قلبه هذه الشمسُ يعيش سعيداً مدى العمر في مختلف الأحوال والظروف والنوازل، في التقلُّبات الظاهرة والباطنة التي يمر بها ، لأنه فيها جميعا يؤدي حق العبودية ويشهد عظمة الربوبية، فهو في مزيد، وعطاء

١- أخرجه البخاري في صحيحه عن عبدالله بن عمر رضي الله عنه - باب ما ذكر في بني إسرائيل (٢/ ٤٩٣، برقم: ٣٤٦١).

٢- أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق (ص:١٥٩٨، برقم: ٢٩٩٩)، باب المؤمن أمره كله خير.

جديد، مع كل وقت جديد، وفضل من الكريم الحميد، ليس له حصر ولا تعديد، فهو سعيدٌ نعم السعيد! على مختلف ما يمر به من أحوال، على مدى الأيام والليال، لا ينقص عنه شهود النور المتلال، ولا تنقطع عنه الكؤوس العوال، بالشراب العذب الزلال، مِن معين الرضا عن الله، بل من معين الرضا مِن الله.

﴿ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴾ [البينة: ٨] .

إن وقع في هفوة تابعتها مقتضياتُ الفُتُوَّةِ، مِن حياءٍ تنبعث حقائقه في جميع جوانحه، ومِن صدق وجهةٍ إلى الرب تبارك وتعالى ليحوز شريف مسامحته، ومِن ندمٍ على ما فَرَطَ منه، ومِن تدارُكٍ لما فَرَّط فيه، ومِن مضاعفته لإحسانه في إقباله على باريه..

فكأَنَّ الزَّلةَ ما كانت إلا سبباً لفتحِ أبواب سعادة وعطايا جليلة؛ هذا حاله مع الزَّلة، فكذلك أحواله مع أنواع الضراء الحادثة والشدائد المتتابعة، تمر عليه وهو في معنىً حقيقي من معاني السعادة، لم يزل في زيادة، بل حائزاً رُتْبَةَ سِيادة .. وإن ضُرِب بالسياط وإن عُرِّض لأنواعٍ من الامتحانات.

❖ **من حقائق السعادة عدم الالتفات إلى القواطع:**

(سعيداً مدى العمر)..لا يؤسَر لقاطعٍ عن الله قط، لا مِن نفس ولا مِن هوى ولا مِن شياطين إنس ولا جن، سعيداً ، محرَّرا في رقِّه وعبوديته للواحد الأحد ، لا تسترقُّه المظاهر ولا الدعايات ولا النشرات ولا الوسائل التي تستعملها فئات

أهل الأرض للإغراء أو للإغواء أو للتخويف أو للاستعطاف والاستجرار إلى أي سوء، هي أنواع مِن الحبس ، لكنَّ صاحب السعادة في أمنٍ منها لا يناله من هذا الأسر شيء.

وهو أسرٌ شديدٌ لأنه حاجبٌ عن رؤية الأبصار للحقائق.

عَظَّمت نفوسُ الناس حبسَ الجدران وقيودَ الحديد التي تُوضَع في المساجين، وربما في هؤلاء المساجين مُطْلق الرُّوحِ مِن الأسر عما دون الله وسواه، فليس بمحبوس في الحقيقة.

❖ سيدنا يوسف محرر الروح في سجنه:

هل كان الصدِّيق يوسف أيامَ كان في السجن مسجوناً بشيء من هذه المعاني؟ كان مِن أعظم الأرواح في الأرض تحرُّراً عن الرق لغير الله جل جلاله، ولكنها كانت مرحلةً رتّب الله ليوسف أن يكون فيها في السجن، مترتباً على كينونته فيه مراقِي يرتقيها، وعطايا يحوزها مِن معطيها جل جلاله، فلم يكن سؤاله متوسطاً للخروج مِن السجن، ولا اعترافه بالنعمة عند الخروج مِن السجن مناقضاً ولا مناهضاً لرضاه بالسجن، وهو الذي طلبه قبل أن يسجن وقبل أن يدخلوه فيه ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣]، فقال الله أيها السعيد بعنايتنا وقربنا، نحن الذين نرعاك ونرتّب الأمر لك ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [يوسف: ٣٤]



❖ السعادة بين الحقيقة والزيف:

(**إذا شئت أن تحيا سعيداً مدى العمر**).. يجب أن يتحرر النظر إلى معنى السعادة عن استرقاق الأغيار، فإن الدّجال يكون مِن أقوى وسائله في إغراء الناس وإغوائهم وإضلالهم استعمالُ الوسائل بالمفاهيم التي تحوم حول العقليات مِن تصورها عن السعادة والشقاوة وعن النعيم والعذاب وعن الجنة والنار، فيأتي معه بصورة الجِنان والأنهار التي تجري، وبصورة النار المتأججة ويقول: تطيعني أو أدخلك هذه النار .. إن عصيتني أدخلتك هذه النار، وإن آمنتَ بي وصدَّقتَ أدخلتك هذه الجنة. والأمر ليس على حقيقته، يكشف صاحب الرسالة عن سر هذه الحقيقة، فيقول: (**فمن أدركه منكم فليقع في الذي يرى أنه نار فإنه نهرٌ عذب بارد**)[1].

وبعد أن حدّثهم عن الدجال، وأخبرهم بما يجري بينه وبين الناس في هذه الحياة مِن الإغواء والصدِّ عن سبيل الله، والناس في جوع وشدة، قال أعرابي: يا رسول الله! أرأيتَ لو أظهرتُ الإيمان به وشَبِعتُ من خبزه ثم كفرت به وكذبته، فلما قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ذلك، لم يفتح له بابَ الانصياع وراء زخرف القول ومظاهر الفهم عن السعادة والشقاوة، بل قال له : (**لا، بل يغنيك الله بما يغني به عباده المؤمنين**)، انظر إلى الأخيار والصالحين كيف يغنيهم الله، وبأي شيء يكون ذلك، وسوف يغنيك الله بما يغنيهم به، فلا تقبل منه شيئاً، ولا تُظهِر الإيمان به قط ..

١- أخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة (برقم:٢٩٣٤)، وأبو داود في كتاب الملاحم باب خروج الدجال (برقم:٤٣١٥).

❖ **أحوال أهل القبور**

(إِذَا شِـئْتَ) أَن تَحْيَـا سَـعِيْداً مَـدَى الْعُمْـرِ

وَتُجْعَـلَ بَعْـدَ الْـمَوْتِ فِيْ رَوْضَـةِ الْقَـبْرِ

(**فإن القبر إما روضة مِن رياض الجنة، وإما حفرة من حفر النار**)[1] كما جاء ذلك في الحديث. وجميع أهل القبور بين مُعذَّبٍ ومُنعَّمٍ، وأهل القبور لأرواحهم شؤون وأحوال في عالم البرزخ، نعلم منها ما حدثنا عنه رسول الله صلى الله عليه و آله وصحبه وسلم مِنْ (**أَنَّ الميت يسمع قرع نعالنا**)[2]، وعلَّمنا منه كذلك أنه: (**لا يمر أحدنا على صاحب قبرٍ كان يعرفه في الدنيا إلا عرفه واستأنس به**)[3] ، ونعلم منه أيضا (**أن أعمال ذويهم وأقاربهم تُعرض عليهم، وأنهم يلاقي بعضهم بعضا ويتزاورون**)[4]، وفيهم مَن يُمْنَعُ هذه الزيارة .

١- أخرجه الترمذي في سننه، في كتاب صفة القيامة الباب السادس والعشرون، (٤/ ٦٤٠، برقم:٢٤٦٠).

٢- أخرجه مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه بلفظ « **إن الميت إذا وضع في قبره إنه ليسمع خفق نعالهم إذا انصرفوا** » ، باب عرض مقعد..، (ص:١٥٣٥، برقم:٢٨٧٠).

٣- الحديث بلفظ « **ما من عبد يمر بقبر رجل كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام**»، أخرجه ابن عبد البر في الاستذكار كتاب الطهارة باب جامع الوضوء (١/ ٢٤٥)، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد عن أبي هريرة. (٦/ ١٣٥).

٤- عن أبي أيوب الأنصاري، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: « **إن نفس المؤمن إذا قبضت تلقاها من أهل الرحمة من عباد الله كما تلقون البشير في الدنيا فيقولون : انظروا صاحبكم يستريح فإنه قد كان في كرب شديد ثم يسألونه ماذا فعل فلان؟ وما فعلت فلانة؟ هل تزوجت؟ فإذا سألوه عن الرجل قد مات قبله فيقول : أيهات قد مات ذاك قبلي فيقولون : إنا لله وإنا إليه راجعون ذهبت به إلى أمه الهاوية فبئست الأم وبئست المربية**» قال: «**وإن أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم من أهل الآخرة فإن كان خيرا فرحوا واستبشروا وقالوا : اللهم هذا فضلك ورحمتك فأتمم نعمتك عليه وأمته عليها ويعرض عليهم عمل**

كذا حدثنا رسول الله صلوات ربي وسلامه عليه أن في تلك الحياة فيهم أصحاب أرواح (**تكون في حواصل طير خضرٍ تطير في الجنة**)[1] . وفي تلك الحياة البرزخية يَرد المسلم منهم السلام على مَن سلَّم عليه، وهو الذي وقف على شهداء أحد فقال: (**والذي نفسي بيده لا يقف أحد عليهم إلى يوم القيامة فيسلم عليهم إلا ردوا عليه السلام**)[2] ، وهو الذي علّم السيدة عائشة حينما سألته كيف أقول إذا زرتُ المقابر؟ قال : (**قولي السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، يرحم الله المستقدمين منكم والمستأخرين**)[3] إلى غير ذلك من الأحكام التي حدّثنا عنها.

وفي تلك الأحوال مَن تُعرَض عليه الجنة صباحاً ومساءً، ومِنهم مَن تُعرَض عليه النار صباحاً ومساءً، قال تعالى في قوم فرعون :﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۖ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴾[غافر: ٤٦]،

المسيء فيقولون : اللهم ألهمه عملا صالحا ترضى به عنه وتقربه إليك» أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ، باب أبو رهم السماعي.. ، (٤/ ١٢٩، برقم: ٣٨٨٧).

١- أخرجه مسلم في كتاب الإمارة ـ باب بيان أن أرواح الشهداء (برقم: ١٨٨٧)

٢- عن عبدالله بن عمير قال: مر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على مصعب بن عمير حين رجع من أحد، فوقف عليه وعلى أصحابه فقال: «**أشهد أنكم أحياء عند الله فردوهم وصلوا عليهم، فو الذي نفس محمد بيده لا يسلم عليهم إلا ردوا عليه إلى يوم القيامة**». أخرجه الطبراني في المعجم الكبير عن عبدالله بن عمير رضي الله تعالى عنه، (٢٠/ ٣٦٤، برقم:٨٥٠)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ١٠٨) ترجمة مصعب بن عمير وابن المبارك في الجهاد (برقم:٩٥ صـ٨١).

٣- أخرجه مسلم عن عائشة رضي الله عنها، كتاب الجنائز باب ما يقال عند دخول القبور.. ، (برقم:٩٧٤)، وأحمد في مسنده، مسند عائشة رضي الله عنها (برقم: ٢٥٨٥٥).



فيُعرَضون على النار في قبورهم غُدَّواً وعشيّاً، صباحاً ومساءً، ينظرون منازلهم في النار، أجارنا الله وأعاذنا منها.

(وتجُعل بعد الموت في روضة القبر) والذين قبورهم رياضٌ مِن رياض الجنة على درجات، وعلى مراتب متباعدات، فأعلاهم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم وهم الذين جاءنا الحديث في الصحيحين[1] وغيرهما عنهم أنهم الذين يحضرون في الأماكن متشكّلين بصورِ أجسادهم بتلك الأرواح الطاهرات، ويصلُّون ويتكلمون ويتحدثون ويتخاطبون، كما جاءنا في حديث الإسراء والمعراج، وجاء وصفه صلى الله عليه وآله وسلم لألوانهم وأشكالهم وصورهم وما دار بينه وبينهم مِن كلام، وصلاتهم خلفه صلى الله عليه وآله وسلم .

ثم أنه قد يُقبر جسدُ الإنسان ويكون له موضع في الأرض فيكون لهذا الموضع تعلقٌ بروحه سواءً كانت في عليين أو في سجّين، سواءً كانت معذَّبة أو منعَّمة، وعامة الأجساد يأكلها التراب وتتأثر بالحيتان والديدان، غير أن في خلق الله أجساداً لا يتمكَّن التراب مِن أكلِها ولا تقدر دودة ولا حوت أن ينخر فيها، كأجساد الأنبياء وأجساد الشهداء، وأجساد العلماء العاملين بعلمهم، وأجساد حملة القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وأجساد المؤذِّنين المحتسبين، فهذه أجساد محترمة مكرمة لا يُؤذَن للأرض أن تُبلي شيئا منها.

ولقد قال بعض الذين ذاقوا حلاوة المحبة لله ولرسوله :

جسـدٌ تمكّـن حُـبُّ أحمـدَ فيـه ... تـالله إن الأرضَ لا تَبْليـهِ

٤- أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء باب قول الله تعالى:﴿وَهَلۡ أَتَىٰكَ﴾(برقم: ٣٣٩٤)، ومسلم في كتاب الإيمان باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (برقم: ١٦٨)



أم كيـفَ يأكُلُـهُ الـترابُ وحُبُّـهُ   في قلبِـــهِ ومَدِيحـــهُ في فيـــهِ[1]

ولقد حُفِرَ قبرُ هذا القائل بالمدينة المنورة في البقيع ليُقبَرَ الغير فيه، فوُجِد الجسدُ كما وُضِع، وحُفِر في المرة الثانية فوُجِد الجسد كما وُضِع، فوُضِع عليه العلامة أن لا ينبش مثل هذا القبر.

وتحصل في مكة والمدينة كثيرٌ من الآيات من مثل هذا، يستعملون النبش بسرعة مِن وقت لآخر لحرارة الأرض وسرعة فناء الأجساد، فيجدون أفراداً لا يمشي عليهم قانون الأرض ولا حكمها، وهل الأرض إلا محكومة بأمر حاكمها جل جلاله، فكيف تفرِّق بين جسدٍ وجسدٍ .. بقعة واحدة تأكل هذا ولا تأكل هذا وإن ماتا في وقت واحد، وقُبرا في قبر واحد، هي تعرف مَن هذا ومَن هذا، ما شأنها مع هذا الجسد وما شأنها مع الجسد الآخر؟، سبحان ربك !!.

** ** **

٢. وَتُبْعَـثَ عِنْـدَ الـنَّفْخِ فِيْ الصُّـوْرِ آمِنَـاً

مِـنَ الْـخَوْفِ وَالْتَّهْدِيْـدِ وَالطَّـرْدِ وَالْخُسْـرِ

** ** **

❖ **وصف النفخ في الصور:**

هذه هي النفخة الثانية، أما النفخة الأولى فبها يصعق من في السماوات ومن في الأرض، ومنهم أهل البرزخ فكلهم يصعقون ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي

١- اشتهر تخميسها للشيخ عيسى البيانوني كما في ديوانه ومطلعها:

هِـمْ بالحبيـب محمـد وذويـه   إن الهيـام بحبـه يرضـيه

فيحتمل أن الأصل له والشرح يشير إلى ذلك ، ويحتمل أنه لغيره.

ﭐلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨] ،كسيدنا موسى نازلته صعقة في الدنيا فجُوزي بها ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]، وعند ذلك القيام يختلف حال الناس ما بين آمنٍ وما بين خائف، ويُذكَر في حديث قدسي قوله تعالى: (**وعزتي وجلالي لا أجمع على عبدي أمنين ولا خوفين، فإن هو خافني في الدنيا أمّنته يوم أجمع عبادي، وإن هو أمنني في الدنيا أخفته يوم أجمع عبادي**)[1] ، ومن غير شك على قدر الخوف من الله في الدنيا يكون الأمن عند لقاء الله جل جلاله ..

وَتُبْعَثَ عِنْدَ النَّفْخِ فِيْ الصُّوْرِ آمِنَاً

مِنَ الْخَوْفِ وَالتَّهْدِيْدِ وَالطَّرْدِ وَالْخُسْرِ

❖ **الآمنون من الفزع الأكبر والمبعدون عن النار:**

الأمن مِن الخوف والتهديد والطرد والخسر وكل أنواع الحجاب والعذاب، قال تعالى: ﴿كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٤ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥ ثُمَّ إِنَّهُمۡ لَصَالُواْ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [المطففين: ١٤ - ١٦] والخسرُ يكون بحلول الهلاك الأبدي ودخول النار .

وإذا منحك الله الأمنَ مِن الخوف والتهديد والطرد والخسر، يكون يوم القيامة بالنسبة لك يوم تبشير ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١] أي مبعدون عن النار ﴿لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا

١- أخرجه ابن حبان (٣/ ٢٧٩، برقم:٦٤٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٣٣٨، برقم:٧٩٤)، بلفظ: «**وعزتي لا أجمع لعبدي أمنين ولا خوفين؛ إن هو أمنني في الدنيا أخفته يوم أجمع فيه عبادي**».

ﭐشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ ١٠٢ لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ﴾ [الأنبياء: ١٠٢ - ١٠٣]
الأنبياء لا يحزنهم الفزع الأكبر، هذا قول ربي! ﴿لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾ هذا يوم الفضل لكم، هذا يوم النعيم لكم، هذا يوم الإحسان إليكم، هذا يوم المنة عليكم، هذا يومكم الذي كنتم توعدون، مع أنه في مواقف القيامة هناك مواقف تشيب منها الولدان، ولكن هؤلاء لا يحزنهم الفزع الأكبر، لا يسمعون حسيسها، مع أن زفير النار يُسمَع مِن مسافة مائة عام، حتى عند مرورهم على الصراط المنصوب فوق النار يمرون ومعهم مِن النور ما يحجب عنهم صوت النار وزفيرها وحسيسها، فهي بالنسبة لهم صامتة ليس لها صوت.

** ** **

٣. وَتُعْــرَضَ مَرْفُوْعــاً كَــرِيْماً مُــبَجَّلا

تُبَشِّـــرُكَ الأَمْـــلاَكُ بِـــالْفَوْزِ وَالأَجْـــر

** ** **

❖ **التكريم في يوم العرض على الله:**

(وتعرض مرفوعاً كريماً مبجلاً) تعرض على من؟! **(مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، وَلاَ حِجَابٌ يَحْجُبُهُ)**[1]، في موقف القيامة

١- أخرجه البخاري في صحيحه عن عدي بن حاتم رضي الله تعالى عنه، باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾، (٤/ ٣٩٣، برقم٧٤٤٣:)، وأخرجه مسلم في كتاب الزكاة باب الحث على الصدقة .. (برقم: ١٠١٦).

نداء: (**ليقم فلان بن فلان للعرض على الله**)، أنت واحد منهم، اسمك مذكور، ليقم فلان بن فلان للعرض على الله؛ عالمِ السر وأخفى، عالمِ الظاهر والباطن، مَن استوى عنده السر والعلن، ليقم فلانٌ بن فلانٍ للعرض على الله بنياته، بكل ما قد نوى، بكل ما انطوت عليه طويته في أيام تقليبه، ليقم للعرض على الله بكل نظرة نَظَرَتْ بها عينه، بكل امتدادٍ امْتَدَّتْ له يده، بكل خطوة خَطَتْها رجلاه، بكل لقمة دَخَلَتْ بطنه، بكل كلمة تكلَّم بها في أيام تقليبه، ليقم فلان بن فلان للعرض على الله بجميع أحواله في خلواته وجلواته، وحسه ومعناه، وظاهره وباطنه، وأقواله وأفعاله، وأمنياته، ومقاصده، وشؤونه كلها، ليقم فلان بن فلان للعرض على الله.

هل تتصور هيبة مَن يطاردك مِن أهل القوة في الأرض، ممن ترى أن له قوة وإمكانية بحيث يقدر أن يعذِّبَك، فكيف تتصور هيبته تعالى حينما يقال لك ليقم فلان بن فلان للعرض على الله.

....

تُبَشِّرُكَ الأَمْلاكُ بِالْفَوْزِ وَالأَجْرِ

بل يبشرك مِلك الأملاك ويقول لك: (**سترتها عليك في الدنيا وأنا اليوم أغفرها لك اذهب فادخل الجنة برحمتي**)[1] قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا

١- عن صفوان بن محرز المازني، قال: بينما أنا أمشي مع ابن عمر رضي الله عنهما آخذ بيده، إذ عرض رجل فقال: كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول في النجوى؟ فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره، فيقول: أتعرف ذنب كذا، أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي رب، حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه هالك، قال: سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم، فيعطى كتاب حسناته، وأما الكافر والمنافقون فيقول الأشهاد: ﴿**هَؤُلاَءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى**

﴿ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ [فصلت: ٣٠ – ٣١] .

(**تبشرك الأملاك بالفوز والأجر..**) وأولهم البشير الذي يأتيك عند خروج الروح فيقول لك (**أبشر بجنة ورضوان ورب غير غضبان**)[1]، ويتبعه البشير في القبر، ثم المبشرون في يوم البعث والحشر.

**   **   **

الظَّالمِينَ﴾))، أخرجه البخاري في صحيحه عن صفوان بن محرز المازني، باب قول الله تعالى: ﴿**ألا لعنة الله على الظالمين**﴾، (٢/ ١٩٠، برقم: ٢٤٤١)، وأخرجه مسلم في كتاب التوبة باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله (برقم: ٢٧٦٨)، وابن ماجه في المقدمة باب فيما انكرت الجهمية (برقم:١٨٣)، وأحمد في مسنده مسند ابن عمر (٩/ ٣١٨، برقم:٥٤٣٦).

١- عن قتادة عن قسامة بن زهير عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((**إذا حضر المؤمن أتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء فيقولون اخرجي راضية مرضيا عنك إلى روح الله وريحان ورب غير غضبان فتخرج كأطيب ريح المسك حتى أنه ليناوله بعضهم بعضا حتى يأتون به باب السماء فيقولون ما أطيب هذه الريح التي جاءتكم من الأرض فيأتون به أرواح المؤمنين فلهم أشد فرحا به من أحدكم بغائبه يقدم عليه فيسألونه ماذا فعل فلان ماذا فعل فلان فيقولون دعوه فإنه كان في غم الدنيا فإذا قال أما أتاكم قالوا ذهب به إلى أمه الهاوية وإن الكافر إذا احتضر أتته ملائكة العذاب بمسح فيقولون اخرجي ساخطة مسخوطا عليك إلى عذاب الله عز وجل فتخرج كأنتن ريح جيفة حتى يأتون به باب الأرض فيقولون ما أنتن هذه الريح حتى يأتون به أرواح الكفار**)) أخرجه النسائي كتاب الجنائز، باب ما يلقى به المؤمن من الكرامة (٤/ ٨، برقم: ١٨٣٣)، وابن حبان كتاب الجنائز، ذكر الأخبار عما يعمل بروح المؤمن والكافر إذا قبضا (٥/ ٧-٨، برقم٣٠٠٢-٣٠٠٣)، والحاكم كتاب الجنائز(١/ ٣٥٢-٣٥٣).

٤ . وَتَـرْجَحَ عِنْـدَ الْـوَزْنِ أَعْمَالُـكَ الَّتِـيْ
تُسَـرُّ بِهَـا فِيْ مَوْقِـفِ الـحَشْرِ وَالْنَشْـرِ

** ** **

الحشر: هو الجمع . **والنشر:** هو الانتشار والقيام مِن القبور، قال تعالى: ﴿ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴾ [القمر: ٧] ، ويُنشرون من القبور ويحشرون في أرض المجمع، وهي هذه الأرض لكن بعد أن تُبَدَّل حيث لا يبقى فيها جبل ولا بحر، ولا يبقى فيها ارتفاع ولا انخفاض، بل تُدَكُّ جبالها بأراضيها فتتفتت وتتطاير كالعهن المنفوش، وتُنْسَفُ نسفا، وتتفجر البحار جميعا، فلا يبقى أثر لبحر ولا لمحيط ولا لنهر مِن الأنهار، ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾ [التكوير: ١ – ٦] بالنيران فذهب ماؤها وانقطعت . قال تعالى: ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴾ [الانفطار: ١ – ٤] ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴾ [طه: ١٠٥ – ١٠٧]

هل نسمعْ ! ممن ؟

مِن إلهنا يقصُّ علينا .

من ربنا يخبرنا.

من مولانا يعلمنا.

من مالكنا ينبئنا وينبهنا .

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡجِبَالِ فَقُلۡ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسۡفٗا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعٗا صَفۡصَفٗا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجٗا وَلَآ أَمۡتٗا ﴾ [طه: ١٠٥ – ١٠٧]

الذين سمعت قلوبهم هذا الخطاب مِن الرب، نُسِفَت في مشاهدهم جميع الجبال، بل جميع شؤون الكائنات مِن حيث المشهد، فما يرون لشيء استقلالاً، ولا يرون له بذاته وجوداً قط، غَلَبَهم شهود وجود الموجِد جل جلاله، فكان كل موجود بإيجاده إنما هو قائم على إرادته وعلى قهره، وعلى تدبيره وتسييره، فأبوا أن يشهدوا لها استقلالا في شيء، فأمام شهودهم نسفت جبال الكائنات ﴿ فَقُلۡ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسۡفٗا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعٗا صَفۡصَفٗا ﴾ [طه: ١٠٥ – ١٠٧]

ولا يطالع طرف هذا المشهد أهل الغفلة في الدنيا، وإن كانوا يُصَلُّون كثيرا، ويقرؤون القرآن كثيراً، ويصومون كثيراً، لا يشهدون بداية هذا المشهد حتى تأتي القيامة و تُنسف الجبال نسفاً، فيشاهدون طرف هذا المشهد، لكن أرباب القلوب قد شهدوا عمق هذا المشهد، وشهدوا عظيم هذا المشهد قبل أن تأتي القيامة، فإنّهم علموا أن كل قابلٍ للنسف منسوف، كما أنَّ كل قابل للموت ميِّت ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر: ٣٠] وكل قابل للفناء فانٍ، فلذا عبروا لهذا الشهود السامي بقولهم: كبِّرْ على الجهات الست ومِن فيها بأربع تكبيرات .. أي اشهد خلقيتهم وتسخيرهم وقهرهم وانطواءهم تحت قدرة الملك القهار جل جلاله وتعالى في علاه.

لأجل ذلك قالوا إنَّ نداء الحق يوم القيامة لجميع الخلق وخصوصا لمن كان ناسياً له ولعظمته بعيداً عن شهود قدرته وإحاطته وملكه وقهره يخاطبهم ﴿ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴾ [غافر: ١٦]

يا من ادّعوا الملك، و يا مَن شهدوا الملك لغيري فترةً من الزمن مرت عليهم في ذلك الزور الذي انطوى على أذهانهم، وتثبّت مِن عقولهم فرأوا لغيري ملكاً، وشهدوا لأنفسهم مُلكاً معي ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ﴾ فلا يجيبه منهم أحد فيقول: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ لكن أرباب اليقين علموا لمن الملك مِن الآن قبل أن تقوم القيامة، وقبل أن تأتي الساعة .

نحن في خلال حياتنا هذه نعيش والملك لمن؟!

ونحن فيما مضى قبلنا مِن الزمان نشهد الملك لمن؟!

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦] ، فمن كان إنما يؤتاه إيتاءً فما مُلْكُه إلا مجازيٌ لا استقرار له، يمكن أن يُنتَزَع منه كما أُوْتِيه ﴿تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ ، ولأجل هذا المعنى العظيم لم يغتر مَنْ بُشِّر بالجنة بالبشارة مع أنه مُلكٌ عظيمٌ لا يفنى ولا يزول، لكن علموا أن صاحب الملك مطلق الإرادة، ويمكن أن ينتزع الملك ممن شاء، فلأجل هذا علموا أنه ليس الخوف مِن انتزاع مُلكٍ ظاهري كمُلك سيدنا سليمان بن داؤد على نبينا وعليه أفضل السلام الذي قال لربه: ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [ص: ٣٥] ، فكان مظهر ملكه شؤون لم تنتهي إليها أيُّ حضارةٍ من الحضارات لا في القرن الحادي والعشرين ولا في غيره، تحكّمٌ في الرياح، وتحكمٌ في أكابر شياطين الإنس والجن ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ﴾ [ص: ٣٧ - ٣٨] ﴿وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ

ٱلسَّعِيرِ ﴾ [سبأ: ١٢] ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ﴾ [ص: ٣٦ – ٣٨] ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [النمل: ١٧] ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النمل: ١٦] . وليس فيهم اليوم مَن عُلِّم مَنطق الطير ولا مَن سُخِّرتْ له الريح، وفي مُدَّعي القوة في زماننا تهديدات بالريح مِن وقت لآخر تمر على مستوطناتهم، وعلى مظاهر حضارتهم في الأبنية الطويلة، وعلى أماكن قوتهم واعتزازهم، فتُريهم مِن سر تلك الأعاصير ما ينبئك أن الخبير هو الخبير، وأن القدير هو الواحد القدير ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤]، ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ﴾ .

إن أرباب السرائر ورجال البصائر وأهل الصدق مع العزيز الفاطر، يعيشون وهم يشهدون أن الملك لله الواحد القهار ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦] ، وعزة المِلكِ الذي هو على كل شيء قدير، مَن تحقق بهذا المشهد لن يسلط الله عليه مَلِكاً مِن ملوك الأرض صغيراً ولا كبيرا، بل يسخرهم له تسخيراً، ذلك شأن القوي القدير مع مَن وثق به سبحانه، وإنه لا يسلط على ابن آدم إلا ما خافه ابن آدم، ولو أن ابن آدم لم يخف إلا الله لما سلَّط الله عليه غيره.

فمتى تنعم أيها المؤمن بنعمة هذا الشهود للملك المعبود؟! أن تشهد أنه صاحب الملك الوحيد وأنه الملك الفريد، وأن الأمر كله له وبيده وإليه يرجع جل جلاله وتعالى في علاه ﴿تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ

ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [آل عمران: ٢٧] ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الحشر: ٢٣].

فإذا قلت (**الملِك**) فالملك بكل معانيه على الأبد والدوام، وليس الملك بهذا المعنى لغيره.

وإذا قلت (**القدوس**) فالقدوس بكل معانيه على الأبد والدوام، وليس اسم القدوس بهذا المعنى لغيره.

وإذا قلت (**السلام**) فالسلام بكل معانيه على الدوام وليس السلام بهذا المعنى لغيره أبدا.

وإذا قلت (**المؤمن**) فالمؤمن بكل المعاني مِن جميع أوجهِها على الدوام والبقاء وليست بهذا المعنى لغيره قط.

وإذا قلت (**المهيمن**) فهو المهيمن بكل المعاني، هو المهيمن على لحظات أنفاسك وعلى خطرات قلبك، وعلى حركة طرْفِك، وعلى إشارة إصبعك، وعلى ذرات شعرك، وعلى ما يدور في أمعائك، وعلى ما تحركت به رجلك .. هو المهيمن بكل معنى من كل وجه وليست لغيره قط، ﴿ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ﴾ [الحشر: ٢٣] ، وكلها أسماء بمعان لا يسمى بها غيره ولا يشاركه فيها سواه جل جلاله.

فإن سُمي غيره بها جاز في الشريعة تسميتُه به فهو بمعنىً غير هذا المعنى، وهو بمقام غير هذا المقام، أنا أُسمَّى مؤمن وأنت تُسمى مؤمن، وربما سمي

صاحب الطاعة منا عزيزاً وسمي الآخر عزيزا، ولكن إذا سُمي به الله فمعناه أوسع مما لا يليق بسواه قط.

❖ **الميزان العادل:**

فينبغي أن تدرك سرَّ عظمة هذا الإله جل جلاله وتستعدَّ للعرض عليه..

وَتُعْــــرَضَ مَرْفُوْعـــاً كَـــرِيْماً مُــــبَجَّلا تُبَشــــرُّكَ الأَمْــلاَكُ بِــالْفَوْزِ وَالأَجْــر

وَتَــرْجَحَ عِنْــدَ الْــوَزْنِ أَعْمالُــكَ الَّتِــيْ تُسَـــرُّ بِهَــا فِيْ مَوْقِــفِ الْــحَشْرِ وَالْنَشْــرِ

في مظهر الأعمال بما يتعلق بها من أحوال واتصال بالقلوب تُعرض وتُجسَّم وتُبرز وتَظهر فترُى وتُوزن ﴿ **وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ** ﴾ [الأنبياء: ٤٧] ﴿ **فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا** ﴾ ﴿ **وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا** ﴾ [النساء: ٧٧] يوضع الميزان، وكل كفَّة أوسع مما بين السماء والأرض، وتأتي أعمال المكلفين مِن حين كُلِّف أحدهم إلى أن فارقَ هذه الحياة؛ نظراته، نياته، كلماته، حركاته، سكناته، التفاتاته، معاملاته، مخاطباته، أخذه وردُّه، حزنه وفرحه، كراهته ومحبته، ولاؤه ومعاداته، طلوعه ونزوله، قيامه وقعوده، نومه و يقظته.. كل ما اكتسبه و ما صدر منه مِن عمل صغير أو كبير لا يغيب منه لفتة ناظر ولا فلتة خاطر، كلها ستأتي فتعرض، ثم يوضع كل منها إمّا في كفة الحسنات وإمّا في كفة السيئات ﴿ **فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ**

﴿هَاوِيَةٌ﴾ [القارعة: ٦ – ٩] مصيره الهاوية ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾ [القارعة: ١٠ – ١١] ، اللهم أجِرنا منها، اللهم أعِذنا منها، اللهم نجِّنا منها، اللهم سلِّمنا منها، اللهم احفظنا منها، اللهم أبعِدنا عنها، اللهم اكفِنا شرها، اللهم اجعلنا من الذين سبقت لهم منك الحسنى فهم عنها مبعدون ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِي مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٢ – ١٠٣] ، يا أرحم الراحمين يا الله، يا رب العالمين يا الله.

❖ **وجوب الإيمان بالميزان:**

يجب الإيمان بالميزان، وهو مِن شئون ذلك الإيمان الذي تلقيناه ولم يكن يُعرَف في عهد الصحابة ولا التابعين باسم العقيدة ولا بالاعتقاد، كانت عقائدُهم رضي الله عنهم مطويةً في حقائق الإيمان، وما تكلم النبي إلا باسم الإيمان، ولا تكلم الصحابة إلا باسم الإيمان، فكلهم يعلمون أن الله تعالى يضع الميزان في يوم القيامة فيُؤتى بالناس ويقفون عليه، وفي تلك الساعة عامة الناس لا يعرف أحدُهم مَن بجانبه، ولو كان أباه أو أمه أو ابنه أو ابنته أو زوجته أو أخاه.

ففي ثلاثة مواطن لا يعرف أحدٌ أحداً: إذا وُضع الميزان حتى يرى أيخفَّ ميزانُه أم يثقل، وإذا تُنولت الصحف حتى يرى أيستلم صحيفتَه بيمينه أو بيساره، وإذا نُصب الصراط على متن جهنم حتى يرى أيمر أم يسقط في النار)[1]. ففي تلك المواقف الثلاثة لا يعرف أحدٌ أحداً، إلا مَن هيّأهم الله تعالى في تلك المواقف

١- أخرجه أبو داود في سننه كتاب السنة باب في ذكر الميزان (برقم: ٤٧٥٥)، وأحمد في مسند عائشة رضي الله عنها (٤١/ ٣٠٢، برقم:٢٤٧٩٣)، والحاكم في المستدرك كتاب الأهوال(٤/ ٥٧٨).

للشفاعة لعباده، انظر إلى ما صحَّ في الحديث من قول سيدنا أنس بن مالك وهو يخاطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أسألك الشفاعة يوم القيامة يا رسول الله! قال: **(إني فاعل إن شاء الله، قال فأين أجدك ؟ قال : اطلبني عند الميزان، قال فإن لم أجدك، قال: فاطلبني على الحوض، قال: فإن لم أجدك. قال: فاطلبني عند الصراط فإني لا أخطئ هذه الثلاثة المواضع)**[1].

هذه الثلاثة المواضع حيث لا يعرف أحدٌ أحداً ولكنْ سيدنا محمد يتعرف على أمته، ويقدِّم بساط شفاعته، قال لأنس: اطلبني عند الميزان فإن لم تجدني فعلى الصراط فإن لم تجدني فعلى الحوض فإني لا أخطئ هذه الثلاثة المواضع، تفقُّداً لأمته ورعايةً لهم صلى الله عليه وآله وسلم، هناك يشفع عند الميزان، ويشفع عند الصراط، ويشفع على الحوض، ويسقي الواردين إليه.. أوردَنا الله على حوضه المورود، مع خيرة الوفود، أحبَّة الملك المعبود، آمين يا بر يا ودود، يا أرحم الراحمين ويا أكرم الأكرمين .

❖ **وقفة حساب مع النفس :**

فما يكون الحال إذا وقفتُ ورأيت جميع ما كان مني في حياتي مصوراً أمامي، مما أخجل و أستحي منه، وهو يُحمَل أمامي منسوبا إليّ ومعروضا علي، ﴿يَوۡمَئِذٖ

٢- أخرجه الترمذي في سننه عن أنس بن مالك رضي الله عنه أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، باب ما جاء في شأن الصراط، (٤/ ٦٢١، برقم:٢٤٣٣)، وأحمد في مسنده مسند أنس (٢٠/ ٢١٠، برقم: ١٢٨٢٥).

﴿يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٦ – ٨]

إنَّ أَحلى ساعةٍ قَضَّيْتُها ... ذَهَبَتْ لَذَّاتُها والإثمُ حَلْ[1]

وقيل أيضا

اغتنم فرصةَ الليالي البواقي ... ذَهبَ العمرُ عنكَ والوزرُ باقي

تُبْ إلى الله بالنصيحةِ وارجِعْ ... قبلَ أن تبلغَ النفوسُ التراقي

والبس الذلَّ للمهيمنِ واخضعْ ... وتهيأْ لِعرضِ يومِ التلاقي

والقِ ما في يديكَ مِنْ كُلِّ شيءٍ ... وارمِهِ للفراقِ قبلَ الفراقِ[2]

وجاء:

بادر الفوتَ قبلَ أن تقطعنك ... دونَ ما تبتغي حتوفُ المماتِ[3]

فما أدري ما يكون الحال ساعة الوزن للأعمال؟ إذا وقفت بين كفتين كل كفة أوسع مِما بين السماء والأرض، يُؤثِّر فيها مثاقيلُ الذر مما لا يُؤثِّر في موازين أهل الأرض، وأنا أنظر إلى ما كان قد صدر مني مِن قول وعمل، من نية وإرادة، من فعل وقصد، من معاملة مع طفل أو شاب أو شائب، من معاملة مع حي أو

١- وهي لزين الدين أبي حفص عمر بن الوردي من قصيدته اللامية المشهورة، وهي من شعر الحكمة وقد كثر شرحها وتخميسها من قبل أهل العلم ومطلعها:

اعتزل ذكر الأغاني والغزل ... وقل الفصل وجانب من هزل

١- وهي من غرر وعظيات سيدي أحمد بن علوان اليفرسي في كتابه (الفتوح: ص:٤٢٤).

٢- وهي من قصيدة للإمام الحداد مطلعها: البدار البدار قبل الفوات.

ميت، مما انطوى عليه ضميري نحو مخلوقات الله وكائناته، لو رفست حيوانا لرأيت الرفسة أمام عيني وسوف تصل إليّ مظلمة منتنة توضع في كفة سيئاتي، لأنني ما خفت الله تعالى في رفس ذلك الحيوان بغير حق، ولم تصدق مني توبة فبقي الذنب وبقيت الزلة كما هي، وجيء بها أمامي لتوضع في كفة سيئاتي، وما أدري كيف يكون حالي ولا ما ينتهي إليه مآلي، إنها ساعة لا يعرف فيها الواقف مَن على يمينه ومَن على يساره، ولا يدري أتثقل كفةُ حسناته أم تخف.

والله لن أُسرّ بساعة غفلة ولن أُسرّ بساعة إهمال ولا تقصير، ولن أُسرّ بكلمة نابية خرجت من لساني، ولن أُسرّ بنظرةٍ صدرت من عيني على غير تقوى، وعلى غير بصيرة، احتقرتُ بها مسلما، أو نظرت بها إلى عورة مخلوق، أو نظرت بها إلى صندوقه أو بيته، أو إلى كيسه أو جيبه بغير إذنه وبغير رضاً منه، لن أُسرّ بشيء مِن هذه النظرات، هذه مبعث الأحزان عند الميزان، لن تسرَّني كلمة أخرجتُها على حيّ أو ميت احتقرتُه بها، أو اتهمتُه بها بسوء في عقيدته أو في مسلكه أو في إيمانه أو في عمله أو في فقهه أو في طاعته أو في حاله مع ربه، ولست بوكيل مِن قِبل الله على عباده، ولست بحفيظ على عباده، وإنما أنا عبد من عباده تُعرض علي أعمالي التي قلتُها وفعلتُها فتوضع إما في كفة الحسنات وإما في كفة السيئات.

❖ **(توجه ودعاء) :**

أسألك يا مَن علم خطيئاتي أن تكفيني شر سيئاتي، وأن تبدلها إلى حسنات قبل أن أقف على الميزان يوم العرض عليك، فإن لك عجائب لطف إذا لاطفتَ بها عبداً من عبادك محوتَ عنه سيئاته وبدَّلتَها إلى حسنات، فلم توقِفه موقفَ الخزي يوم القيامة، ولم تُوقِفه على حسرة ولا ندامة.

أنت لي في ذلك اليوم، فأعوذ بوجهك أن تخذلني بشـيء مما قلتُه أو فعلته، أو تذلني بشـيء مما اكتسبتُه أو تخزيني بشيء مما اجتنيته، اللهـم أنـت حسبي وأنـت مرادي وبيدك أمري، لا تفضحني ولا تكشف سـوءاتي، وتُـب علي واعـفُ عنـي، ووفقني قبل خروجي من هذه الحيـاة أن لا تُبقـي في صـحائفي شـيئا ممـا يوضـع في كفة السيئات قليلا ولا كثيرا صغيرا ولا كبـيرا، إلا تناولـه سـيلُ عفـوك وعافيتك وسماحتك وغفرِك، فلا يبقى علينا ذنبٌ حتى نلقاك وأنت عنـا راضٍ، قـد أنسيتَ جوارحَنا والأرضَ والحفظةَ ما كان منا مِن سيئات.

ذلك ظنُّنا فيك يا رب، فلا تسوِّد وجهَ أحدنا عند الوقوف يوم الميزان، وعندما يؤتى أحدُنا بأعماله وأقواله وأفعاله وأحواله في خلواته وجلواته وسرِّه وعلانيته، فأنت وحدك لنا في ذلك اليوم وفي هذا اليوم وفي كل يوم، خاب مَن وثقَ بغيرك وخاب مِن التجأ إلى سواك، يا عدتي يا ذخيرتي عند كل شدة ورخاء، أنت وحدك لنا فعامِلنا بما أنت أهله، ووفِّق المسلمين أن لا يُعَرَّض أحدهم لموقف الذل عند الميزان، ولا الخزي، ولا اسوداد الوجه، ولا ظهور السوءات والعورات، ثبِّتنا أكمل الثبات على ما تحب، واجعل ما بقي من أعمارنا كفارةً لما كان منا في ماضي أيامنا وليالينا، حتى نلقاكَ وأنت راض عنا، ذاك أملُنا فيك.

يا ربي كن مجيباً لما دعوناك، ملبِّياً لما به ناديناك، مستجيباً لفقرائك الذين ليس لهم سواك، وعبادك الذين لا إله لهم عداك، أنت حسبنا ونعم الوكيل..

يا ربي عبيدك بفنائك، سائلوك بفنائك، فقراؤك بفنائك، مساكينك بفنائك، يا راحم المساكين، يا أرحم الراحمين، يا أول الأولين، يا آخر الآخرين، يا ذا القوة المتين، أنت العُدَّة عند وقوفنا على الميزان فالطف بنا في تلك الساعة، شفِّع

فينا نبيَّ الشفاعة، وتجاوز عما كان منا من شنيع الأقوال والأفعال ولا تخذلنا في باقي أعمارنا بموجب حسرة في ذاك اليوم يا ملك ذاك اليوم، يا قيوم ذاك اليوم، يا حاكم ذاك اليوم وكل يوم، يا من بيده الأمر كله، يا من لا إله إلا أنت يا حي يا قيوم يا أرحم الراحمين.

** ** **

٥. وَتَمْضِــيْ عَــلَى مَــتْنِ الصِّـــرَاطِ كَبَـارِقٍ
وَتَشْـرَبَ مِنْ حَوْضِ النَّبِيْ الْــمُصْطَفَى الطُّهْـرِ

** ** **

❖ **الصراط المستقيم :**

يُنصب الصراط في أصعب الأماكن، وهو جسر ممدود على متن جهنم ينصبه الله مثالاً لما نصب لنا في هذه الدنيا مِن صراط مستقيم حوله كلاليب الشهوات واستلذاذ السيئات ودعوات شياطين الإنس والجن عن اليمين وعن الشمال، ثم أصدر لنا أمرا فقال لنا: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٣] ، ذلكم وصاكم به جلَّ جلاله وتعالى في علاه، فمن نحن إن لم نقبل وصية الله؟ يا ويحَ عبدٍ لله لم يقبل وصيةَ مولاه، فإذا ثبتنا على هذا الصراط وعملنا بهذه الوصية فإن المرور على الصراط سيكون يسيراً بأمره، فيُمرّ بنا كما اخترنا المرور في الدنيا على صراطه المستقيم، لا نلبي دواعي الشهوات المحرمة، ولا دواعي المآثم ما ظهر منها وما بطن، نمضي على قدم ﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ

﴿يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٠] ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الروم: ١٠] والعياذ بالله تبارك وتعالى، ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٠] ، اللهم عاملنا بفضلك.

فإذا نُصِبَ الصراط نادى المنادي لتمروا على الصراط، وساقت الملائكة الناس ليمضوا عليه، قال نبينا صلى الله عليه وآله وسلم : **(فأكون أول من يجوز)**[1] وفي ذلك الموقف لا يتكلم إلا الرسل وكلامهم ربِّ سلِّم سلِّم، وسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام يقول: **(ربِّ أمتي أمتي)**[2] صلى الله عليه وآله وسلم.

أيّ قلبٍ هذا؟! إذا نَسِينَا الأمهاتُ والآباءُ والأزواجُ والأبناءُ والبناتُ لم ينسنا

أي رحيم هذا؟!

أي شفيق هذا؟!

أي شفيع هذا؟!

أي وجيه هذا لدى الرحمن جل جلاله؟! في موقف الخوف الأكبر حيث يقول الرسل: نفسي نفسي ينطق بقوله أنا لها، فمن هو هذا؟! مَن محمد؟!

١- أخرجه البخاري في كتاب الأذان باب فضل السجود (برقم:٨٠٦)، ومسلم في كتاب الإيمان باب معرفة طريق الرؤية (برقم:١٨٢).

٢- أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن باب (ذرية مَن حملنا مع نوح..) (برقم:٤٧١٢)، ومسلم في كتاب الإيمان باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (برقم: ١٩٣)، وأحمد في مسنده مسند أبي هريرة (١٥/ ٣٨٧، برقم:٩٦٢٣).

خير الأنام، وحبيب الملك، والمحبوب الأعظم للملك الأعظم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، اللهم ارزقنا حقيقة محبته، وحقيقة تعظيمه لك ومن أجلك كما أمرتَنا وندبتَنا وشرعتَ لنا يا أرحم الراحمين.

يقول عليه الصلاة والسلام **فأكون أول مَن يجوز بأمته**، ولن تجوز أمة حتى تجوز هذه الأمة، لِـمَ؟ ألم تكن هناك أعمال صالحة في الأمم السابقة؟! ألم يكن فيهم صدِّيقون؟! ألم يكن فيهم شهداء ومجاهدون؟! والله أن فيهم كثير، ولكن لا رخصة ولا إذن لأحد أن يمر حتى تمر أمة الطُّهر المطهر، حتى تمر أمة محمد، لِـمَ تتميز أمة محمد؟ لمكان محمد عند حاكم يوم القيامة، مَن أكون أنا؟! وخليل الرحمن، وكليم الله، وروح الله، والأنبياء... مَن أكون أنا عندهم؟! لكنهم يؤمرون أن ينتظروا حتى يمر بي حبيبي. أفبنفسي أمر؟. أفبعملي أمر؟ أفبصلواتي أمر؟ أفبقراءتي أمر؟ أ فبجهادي أمر؟ أفباستشهادي لو استشهدت في سبيل ربي أمر؟ لا .. إنما بوجاهة محمد أمر على الصراط، فينتظر الأنبياء بأممهم حتى يمر الحبيب الذي قال: (**إن الله حرَّم الجنة على الأنبياء حتى أدخلها أنا وحرمها على الأمم حتى تدخلها أمتي**)[1]، اللهم اجعلنا مِن أمته الداخلين إلى الجنة .

وَتَمْضِــــيْ عَــلَى مَــتْنِ الصِّـــرَاطِ كَبَــارِقٍ

وَتَشْـرَبَ مِنْ حَوْضِ النَّبِيْ الْـــمُصْطَفَى الطُّهْـرِ

أي شرابٍ هذا؟! وأي شربٍ هذا؟! ومن أي حوض؟! قل لي حوض مَن؟ حوض النبي، أنا يمكن أن أشرب من حوض النبي ؟! لو بذلت ألف روح

١- أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، (١/ ٢٨٩/ ٩٤٢)، دار الحرمين، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.



فوق روحي كانت رخيصة مقابل هذا الشرب من حوض النبي، تشرب من حوض النبي بيسير مِن صدقك وإخلاصك ووجهتك إلى بارئك وأدبك.

❖ صفة الحوض:

وحوض النبي مِن أين ماؤه ؟ له ميزابان يصبان الماء لكن أين مصدرهما؟ مِن أي عين؟ مِن أي نهر؟ من أي بحر؟ من أي بئر؟ من أين يأتي ؟ إنه يأتي مِن الكوثر، فيه ميزابان يصبان من الكوثر، والله إن هذا حق، تَحقّقْهُ لتعشق الوصول إليه، ولتبذل الرخيص التافه الذي تتشبث به نفسك وهو قاطع لا يساوي شيئاً، قاطع لك عن هذا الأمر العظيم، وابذل كل شيء يقطعك عن هذا وإنه لحق.

والحوض فيه ميزابان يصبان من الكوثر، وأين الكوثر؟

يقول عنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (**نهر أعطانيه ربي في الجنة**)[1]، في أي مكان في الجنة؟

في الفردوس الأعلى في الوسيلة وهي درجة في الجنة يقول عنها النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (**لا ينبغي أن تكون إلا لعبد وأرجو أن أكون أنا ذلك العبد**)[2].

والله أنت ذلك العبد يا نعم العبد! وأنا قبل أن أدخل الجنة أشربُ مِن ماء لا يأتي مِن الجنة الأولى ولا الثانية ولا الثالثة بل يأتي مِن أعلى الثامنة، بل مِن أعلى

١- أخرجه مسلم في كتاب الصلاة ـ باب حجة من قال البسملة .. (برقم:٤٠٠).

١- أخرجه مسلم في كتاب الصلاة . باب القول مثل قول المؤذن .. (برقم: ٣٨٤)



أعاليها ، (**فمن شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً**)[1]. اللهم أورِدنا على ذاك الحوض.

وأحسِنوا في الأيام والليالي الورود على أحواض سننه:

*** قوموا في الليل.**

*** احرصوا على الجماعة والتكبيرة الأولى مع الإمام.**

*** استغفروا الله في الأسحار وقبل الغروب.**

*** تآخوا تآلفوا تحابوا.**

***احرصوا على مجالس العلم.**

*** اقرؤوا القرآن برغبة.**

هذه أحواضه هنا وذاك حوضه هناك، ومَن ورد على أحواضه هنا ورد على حوضه هناك .

❖ مناجاة والتجاء إلى الله:

ها نحن بين يدي عالم الظواهر والخفايا في تعرُّضنا لرحماته ولنفحاته ولتجلياته، ولتفضُّله ولعفوه ولمغفرته ولمسامحته، ولتقريبه ولعطفه وللطفه ولكريم ملاطفته، وشريف مواصلته، نسأله أن يجعلنا صادقين في تعرُّضنا هذا للخيرات والنظرات والإحسانات، والتفضلات الربانية الرحمانية الإلهية المنانية، القيومية الصمدانية الواردة والصادرة من حضرة الرحمن الرحيم، والملك الكريم القدوس العظيم جل جلاله وتعالى في علاه.

٢- أخرجه البخاري في صحيحه عن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنه، كتاب الفتن، (٤/ ٣١٢، برقم٧٠٥٠)، ومسلم في كتاب الفضائل باب إثبات حوض نبينا صلى الله عليه وآله وسلم وصفاته، (برقم:٢٢٩٠)، وأحمد في مسنده مسند سهل بن سعد (٣٧/ ٤٧٨، برقم:٢٢٨٢٢).

اللهم هيئ قلوبَنا لحسن الاستقبال، وارزقنا دواماً صدق الإقبال، وأقبِل بوجهك الكريم علينا في كل حال، وخلِّنا عن قبيح الخصال، وحلِّنا بشريف الخلال، وارزقنا حسن المتابعة لنورك المتلال، عبدك الذي ختمت به الإرسال، في جميع الأقوال والأفعال والحالات والأحوال .

نسألك يا ربنا يا من يحسُن منا له السؤال، ونتوجه إليك يا من يطيب منا له الابتهال، اللهم وإنا نلحُّ عليك أن تنيلنا هذه المطالب والنوال، فجد بواسع الإفضال يا كبير يا متعال يا كريم يا وال، يا ذا الجود المتعال يا الله.. فما عُهد منك قطع الكرم والجود، ولا عُهد منك على مقبلٍ عليك الإعراض ولا الصدود، وقد عُرِفَتْ منك عادةُ التفضل بما هو أسنى وأعلى على أمة عبدك المصطفى محمد، فحاشاك أن تنقطع عنا مجاري ذلك الإفضال الذي لم يزل جارياً في توال، من حيث استقبلت القلوب وجه الرسول بما جاء به عنك، فآمنتْ و صدّقتْ فلم يكن يزل ذلك المجرى يجري وسره في أربابه يسري، أفينقطع عنا في زمننا أم نفقده في عصرنا، أم يُحال بيننا وبينه في عهدنا وحياتنا وأنت الذي جعلتها سلسلة متصلة، وأنت الذي جعلتها وصلة واحدة، وأنت الذي جعلت في هذه الأمة الخير في أولها وفي آخرها، اللهم وفّر حظنا من دوام جريان سر سرك الساري في قلوب المحبوبين، وما خصصتَ به عبادك المقربين يا رب العالمين.

ولقد ذكَّرنا الإمام الحداد بعظيم ما يجري لأهل العمل بطاعة الله تعالى، والتطبيق لشريعته والمشي على قدم صفوته، وقال: إذا أردت تحقيق المكاسب وما أعظمها من مكاسب، ما وجدنا حسن عرض لها على قلوب الناشئة يا معشر المسلمين، المعروضات كثيرة اليوم على قلوب الأمة؛ أبنائها وبناتها صغاراً وكباراً،

لكن فيمَ يرغبون؟ وما الذي يُعرضُ عليهم؟ أين العارضون لبضاعة الله؟! **(ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله هي الجنة)**[1] هذه المكاسب الشريفة العالية. فما هي تلك العقول التي تعدها مكسبا عاليا وتراها مطلبا غاليا وتدرك أنها منزلاً ساميا؟ إنها تلك العقول و القلوب التي وجدت لها من يحدوها ويحسن عرض البضاعة الغالية عليها.

(إذَا شِـئْتَ) أَنْ تَحْيَـا سَـعِيْداً مَـدَى الْعُمْـرِ

وَتُجْعَـلَ بَعْـدَ الْـمَوْتِ فِيْ رَوْضَـةِ الْقَـبْرِ

فكّر في هذه المكاسب، فكر في هذه المحصلات، فكّر في هذه الاستثمارات، فكر في هذه الثمرات، فكر في هذه الغايات...

وَتُبْعَـثَ عِنْـدَ الـنَّفْخِ فِيْ الصُّـوْرِ آمِنَـاً

مِنَ الْـخَوْفِ وَالتَّهْدِيْـدِ وَالطَّـرْدِ وَالْخُسـرِ

وَتُعْـرَضَ مَرْفُوْعـاً كَـرِيْماً مُـبَجَّلا

تُبَشِّـرُكَ الأَمْـلاَكُ بِـالْفَوْزِ وَالأَجْـرِ

وَتَـرْجَحَ عِنْـدَ الْـوَزْنِ أَعْمَالُـكَ الَّتِـيْ

تُسَـرُّ بِهَـا فِيْ مَوْقِـفِ الْـحَشْرِ وَالْنَشْـرِ

وَتَمْضِـيْ عَـلَى مَـتْنِ الصِّـرَاطِ كَبَـارِقٍ

وَتَشْـرَبَ مِنْ حَوْضِ النَّبِيْ الْـمُصْطَفَى الطُّهْـرِ

١- أخرجه الترمذي في سننه عن أبي هريرة رضي الله عنه، (٤/ ٦٣٣، برقم:٢٤٥٠)، والحاكم في المستدرك كتاب الرقاق (٤/ ٣٠٧-٣٠٨).

ما أعجب هذه المكاسب!! أين هي القلوب المتعلقة بها؟ أين هي القلوب المتشوقة لها؟ إنــــك يا رب الأرض والسماء يا مقلب القلوب، تختار قلوبا لعشقِ هذه المواهب والمكاسب والمراتب، سبقتْ لها منك السابقة بأن تؤتيها إياها فولّعتها بها، فأقبلت طالبة بصدق على وجه الاتباع والامتثال.

اللهم فاجعل قلوبنا من القلوب التي خصصتها بهذا المنْح، وأكرمتها بهذا الفتح، وأعطيتها سر هذا النور الذي ينقدح فيها، يا مقلب القلوب قلوبنا بين يدك لا تصرفها عنك ولا تقطعها عن صدق وجهتها إليك، فليس لها شيء يعوضها عنك ولا يكفيها منك ولا يغنيها عنك.

يا رب لا تصرفها لسواك، يا رب لا تسلط عليها إرادةَ مَن عداك، يا رب قلوبنا بين يديك فَاقبَل أن تجعلها لك ولا تردها معرِضةً عنك متولِّعة بغيرك، يا رب قلوبنا تولَّها بما توليتَ به قلوب الأبرار الأخيار الأطهار الذين ساروا في خير مسار، يا رب لا تُرْدِ قلوبَنا فتردَّها على أدبارها متوليةً عن وجهك الكريم إلى كل لئيم، يا رب ثباتاً على الصراط المستقيم، يا رب ظفراً منك بالحظ العظيم، أنت أهل الفضل العظيم وأنت الذي تهب الحظَّ العظيم، وأنت الله العظيم، بعثت إلينا النبيَّ العظيم فبلّغنا هذا الكلام العظيم، وهذا المنهج العظيم القويم، فيا عظيم أكرِمنا بكل عظيم من إفضالك ونوالك الجسيم، وعطائك وفيضِ فضلك الفخيم يا بر يا رحيم يا الله، فإنك أوقفتَنا على أبوابك ولولا كريم فضلك ما عرفنا أن نقف على الباب، ولا أن نوجه إليك الطِّلَاب ولا أن نسألك اللحوق بالأحباب، ولا أن نتولع بهذه المعاني في شؤون الاقتراب، فكما سُقتَنا وسقت إلينا هذا الفضل لا بكسب منا فلا تردَّ عن الباب منا أحداً مطروداً ولا خائباً ولا تجعل فينا مبعوداً،

افتح الباب لكل فرد منا يا رب وأهلينا ومَن يوالينا فيك، يا فاتح الأبواب عبيدك بالباب فافتح لهم الأبواب، وَأْذن لهم بالاقتراب، وأدخلهم فسيح الرحاب، يا رب الأرباب يا مسبب الأسباب يا كريم يا وهاب يا الله..

وَتَمْضِــــيْ عَـــلَى مَـــتْنِ الصِّــــرَاطِ كَبَــارِقٍ

وَتَشْـرَبَ مِنْ حَوْضِ النَّبِيْ الْــمُصْطَفَى الطُّهْـرِ

❖ **تفاوت المراتب في المرور على الصراط:**

(وتمضي على متن الصراط كبارق) (فإن أول طائفة تمر على الصراط يمرون كالبرق الخاطف وأسرع من لمح البصر، وتمر من بعدهم طائفة كأنها الريح المرسلة، ثم من بعدهم كمرِّ الجواد، أي: الخيل السريع الجري، فمن بعدهم يجرون، وتمر طائفة مِن بعدهم يمشون، وتقف طائفة أخرى لا يقدرون على المشي إذ لم يكتسبوا مِن سر هذه المكاسب في الحياة الدنيا شيئاً فلم يبق معهم ما يقيمهم ولا يرفع أجسادهم ولا أرواحهم عند المرور على الصراط، فما معهم إلا أن يكبوا وأن يجثوا على الركب فيسقطوا، يحبون حبواً فيسقطون في النار والعياذ بالله تبارك وتعالى)[1] ، **(وعلى الصراط كلاليب مثل شوك السعدان في صورة الهيئة)** قال نبينا المحدث عنها **(غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله فيخطف الكلاب في الخطفة الواحدة ألوفاً يهوي بهم في النار)**[2].

١- أخرجه الإمام مسلم - كتاب الإيمان باب معرفة طريق الرؤية (برقم:١٨٢)، والإمام أحمد في مسنده مسند أبي سعيد الخدري (برقم: ١١٢٠٠ ـ ١٧/ ٢٩٥).

٢- كمال الحديث: وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان، هل رأيتم شوك السعدان؟ قالوا نعم قال فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله تخطف الناس بأعمالهم فمنهم من يوبق بعمله ومنهم من يخردل ثم ينجو حتى إذا أراد الله رحمة من أراد من أهل النار أمر الله

ثَبِّتْ اللهم به ـ أي: بالقرآن ـ عند اضطراب جسور جهنم يوم المجاز عليها زلة أقدامنا، ونجنا مِن كرب يوم القيامة وشدائد أهوال يوم الطامة، وبيِّض به وجوهنا إذا اسودت وجوه العصاة في موقف الحسرة والندامة.

أمثال زين العابدين كان يدعو بهذه الدعوات في ظلم الليالي، وكلّما ختم القرآن الكريم دعا ربّه، يخاف مِن ساعة المرور على الصراط، ويستعد لذلك بالتضرع والابتهال والسؤال والإلحاح على الكبير المتعال، عظَّم قلبه ما عظَّم الله وتعلق بما علقه به الله، وأيقن بوعد الله ووعيده، فبرزت منه هذه الحالات، فلو رأيت وجهاً في خديه خطان أسودان من مجرى الدموع لعرفت معنى الخشوع والخضوع، ولَعَرَفْتَ قيمة المواريث التي ورثّها الشفيع، الذي إليه يوم الهول الأكبر الرجوع، يوم ينادي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله **(أنا لها)** فما أعظمها من مرتبة وأجلّها، فما الذي قَطَعَ قلبك عن التعلق بهؤلاء الأكابر الممنوحين؟ ومَن سوَّد صفحة قلبك بالتعلق بالمبغوضين لرب العالمين؟ بدّل السوء بالحسنى، واقصد عالم السر والعلن، ولا تخدع نفسك، ولا تقبل خديعة عدوك لك، علِّق قلبك بحبيب الله، تولى ولاءه وولاء أصحابه وولاء أهل بيته وولاء أحبابه وأهل حضرته والمؤمنين والمؤمنات ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٥ – ٥٦]

الملائكة أن يخرجوا من كان يعبد الله فيخرجونهم ويعرفونهم بآثار السجود وحرم الله على النار أن تأكل أثر السجود فيخرجون من النار فكل ابن آدم تأكله النار إلا أثر السجود فيخرجون من النار..) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، باب فضل السجود، (١/ ٢٦١، برقم: ٨٠٦)، ومسلم – كتاب الإيمان باب معرفة طريق الرؤية (برقم: ١٨٢).

٦. وَتَخْلُــدَ فِيْ أَعْــلَى الْــجِنَانِ مُــنَعَّماً
حَظِيَّــاً بِقُــرْبِ الْوَاحِــدِ الأَحَــدِ الْــوَتْرِ

** ** **

❖ **درجات الجنة على عدد آيات الكتاب:**

جاء في بعض الأخبار بأن درجات الجنان على عدد آي القرآن، وأنه يقال لحافظ القرآن العامل به عند دخوله الجنة : **(اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا)**[1] وانظر إلى معنى **(كما كنت ترتل في الدنيا)** كنت صاحب مسلك في الحياة تكب فيه على كتاب الله، وتقتطف من عمرك وزمنك ووقتك أجزاء واسعة ترتل فيها كتاب الله ترتيلاً مقبولاً عند الله تبارك وتعالى، لا يقف فيه القرآن عند حنجرتك ولكن يلج إلى قلبك وباطنك، فكما صحَّ منك ذلك في الدنيا فرتِّل كما كنت ترتل في الدنيا لتعلم أن هذا الجزاء تَرتَّب على ما كان منك هناك، وقد قَبِل ورضي منك ملك الأملاك فهنيئاً لك. **(اقرأ وارق ورتل)** فكلما تلا آية ارتفع درجة، وإن بين الدرجة والدرجة في الجنة مسيرة خمسمائة عام، **(فإن منزلتك عند آخر آية تقرأها)**.

فلو لم يرد في فضل القرآن وحفظه إلا هذا الحديث لكفى به تشويقاً لمن امتلأ تصديقا بما قاله الصادق المصدوق، الذي ما عرفت الأرض ولا السماء

١- أخرجه أبو داود في سننه عن عبدالله بن عمرو رضي الله تعالى عنه، باب استحباب الترتيل في القراءة، (٢/ ٢٧٣، برقم: ١٤٥٩)، وأخرجه الترمذي - كتاب فضائل القرآن (باب:١٨، برقم: ٢٩١٤)، وأحمد في مسنده مسند عبدالله بن عمرو(١١/ ٤٠٤، برقم:٦٧٩٩)، والحاكم في المستدرك - كتاب فضائل القرآن أخبار في فضائل القرآن جملة (١/ ٥٥٢).

أصدق لهجة منه، إنه أشرف لسان، لا يجرؤ لسان ملك ولا إنس ولا جن على مخاطبة الجبار في موقف الهول الأكبر إلا هذا اللسان، إنه اللسان الزكي! إنه اللسان التقي! إنه لسان محمد النبي! هو الذي رتل القرآن قبلك فرتِّله مَن بعده له متبعا، وبمرقى محبته مرتفعا، ترى عطاءً واسعاً، وجوداً من الله وغيثاً هامعاً، وتتهيأ لأن تحشر مع أهل خاصته معا، اللهم أكرمنا بمرافقته وشرِّفنا بكريم موافقته، وثبِّت أقدامنا على حسن متابعته .

❖ **نعيم الجنة:**

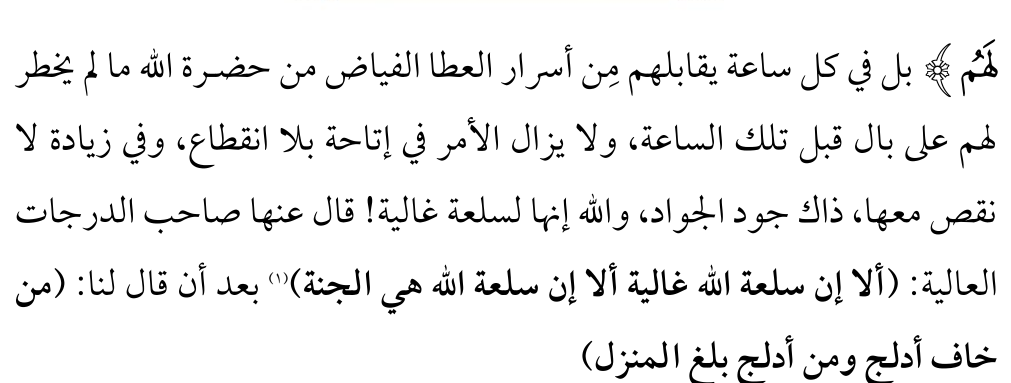
(وتخلد في أعلى الجنان منعما) بأي نعيم؟ أأصفه أنا! أم يصفه لك إنسان؟ أم يصفه لك الجن؟ أم يصفه لك الملائكة؟! تذكر مظاهر هذا النعيم الذي تصفه لك أطهر لسان، وقف صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال: **(وفيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر)**[1] اقرؤوا إن شئتم قوله تعالى:

﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٧].

﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم ﴾ من الذي أخفى لهم؟ الله أخفى لهم، فلا تعلم نفسٌ؛ الملائكة، والإنس، والجن.. لا يقدر أحد أن يتصور حقيقة ما أعده الله لمن ثبت منا ومات على التحقيق بالتصديق والإيمان.

يا فوز من ثبت منا، يا فوز من لقي ربه منا وهو على الصدق معه، وعلى هذا الطريق الذي خلفه حبيبه صلى الله عليه وآله وسلم، أعد له ما لا تستطيع الملائكة في السماوات كلها أن تدرك كنهه ولا أن تحيط بحقيقته ﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ

١- أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، باب ما جاء في صفة الجنة..، (٢/ ٤٣٢، برقم:٣٢٤٤)، ومسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٢٤و٢٨٢٥).



لَهُمْ ﷺ بل في كل ساعة يقابلهم مِن أسرار العطا الفياض من حضـرة الله ما لم يخطر لهم على بال قبل تلك الساعة، ولا يزال الأمر في إتاحة بلا انقطاع، وفي زيادة لا نقص معها، ذاك جود الجواد، والله إنها لسلعة غالية! قال عنها صاحب الدرجات العالية: (**ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله هي الجنة**)[1] بعد أن قال لنا: (**من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل**)

(**مَن خاف أدلج**)؛ من حل الخوف مِن عظمة الجبار في قلبه أدلج، أي: مشى في الدلجة ومشى في الليل .

(**من خاف منا أدلج**) فتعلَّقَ بهذه الصلوات وإقامتها وحضور القلب فيها، وحَضَـرَ المجالس بروح تكاد أن تطير إلى شريف المؤانسة من حضرة القدوس جل جلاله، (**أدلج**) : امتنع عن كل القواطع .

(**من خاف أدلج**) قام على قدم الصدق والتواضع.

(**من خاف أدلج**) حافظ على الأذكار.

(**من خاف أدلج**) قام بالأسحار واستغفر الملك الغفار.

(**من خاف أدلج**) أحسن الظن بمن حواليه.

(**من خاف أدلج**) تأدب مع الصغير والكبير .

(**من خاف أدلج**) اغتنم أوقات العمر القصير.

اللهم عَرِّفْنا نعمك وارزقنا القيام بشكرها يا منعم، غطّانا بنعيمه حتى وقعنا بسوء أدبنا في الغفلة عنه، أَيْقِظْ قلوبنا وأَشْعِرْنا نورَ الحياة، حتى نقبل عليك

١- تقدم تخريجه (برقم: ٣٠)

شاكرين لنعمائك، وقابلها برحمتك يا أرحم الراحمين، لك الحمد شكراً ولك المن فضلاً .

(**منعَّما**) بما لا أستطيع أن أصفه أنا ولا الملائكة ولا الإنس ولا الجن.

(**وتخلد في أعلى الجنان منعَّما**) بأسرار ما خبأ لك المنعم، والمنعم يقول في الحديث القدسي: (**أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت**) أعددت .. أي إعدادٍ هذا؟ إعداد ملائكة؟ إعداد دول؟ أو إعداد شركات؟

(**أعددت**) الله أعد، (**أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر**)[1].

(**وتخلد في أعلى الجنان منعما حظياً**) أي محظياً ومحظوظاً.

(**بقرب الواحد الأحد الوتر**) قربِ رِضاً، قربِ تجلي، قربِ إيناس، قربِ اختصاص، قربِ تعرّف، قربِ ملاطفة، قربٍ جلَّ عن التكييف، قربٍ ماله إلا أهل التشريف، قربٍ لكل ذي قلب نظيف، قربٍ بعطايا من الحق اللطيف، (**وقرب الواحد الأحد الوتر**)

** ** **

١- تقدم تخريجه (برقم: ٣٤)

٧. وَتَنْظُـــرَهُ بِـــالْعَيْنِ وَهْـــوَ مُقَـــدَّسٌ
عَنِ الأَيْنِ وَالتَّكْيِيْفِ وَالْـحَـدِّ وَالْـحَصْـرِ

** ** **

❖ **أعلى النعيم النظر إلى وجه الله الكريم:**

مشيراً إلى القضية التي يتحدث عنها المتكلمون المتعلقة بالنظر إلى وجه الله الكريم ومعناه، فكانت هناك طوائف من المسلمين تنكر النظر إلى وجه الله الكريم، وذلك أنهم أقاموا معنى النظر عندهم على المشاهدة للأجسام على هذه الأبصار في عالم الدنيا، وهذا هو الذي نفوه، وهو منفي عند جميع المؤمنين بمختلف طوائفهم، فما يقول بمثل هذا القول إلا مجسمة أو مشبهة للحق بخلقه تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، ولكن لمّا لم تستوعب مداركهم كيف يكون النظر بالعين لما ليس بجسم وما ليس بجهة أنكروا ذلك، وما عرفوا أن العيون في الآخرة تتحول إلى بصائر، فكما يشاهد بالبصائر شؤون لا تعلق لها بزمان ولا مكان ولا جسم؛ فالعيون في الآخرة بهذه المثابة.

فالذي ثبت في هذا الشأن هو ما تحدث عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أحاديثه الصحيحة، وصرَّح بذلك كما جاء في الصحيحين وغيره (**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لاَ تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ**)[1] والرؤية بهذا المعنى مع التقديس عن الأين والتكييف والحد والحصر، فلا جهة ولا تمثيل ولا صورة

١- أخرجه البخاري في صحيحه عن جرير رضي الله تعالى عنه، باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، (٤/ ٣٩٠، برقم:٧٤٣٤)، ومسلم - كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما (ص:٣١٧، برقم:٦٣٣) .

ولا شكل و لا جسم ولا شيئاً مِن عوارض الكائنات والمخلوقات بكل معنى، هيهات ما المخلوق مثل خالق، وليس يشابه الخلقَ في شيء. الرؤية بهذا المعنى: تجلي مِن الرحمن في التقريب والملاطفة يكون لأهل الجنة، يصل نعيمه إلى كل حاسة من حواسهم ومنها أبصارهم، فهو بهذا المعنى أمر معنوي لا يمكن أن يقاس برؤية الأبصار الحسية للأجسام، ولا يقاس بالشؤون الحسية، فهذا ما ثبت في الأحاديث، و هو الذي أثبته أهل السنة و قالوا به، وأما الذي تحاشاه مَن أنكر الرؤية أنها لا تكون إلا لجسم وما إلى ذلك، فهو أصلاً منفي في عقيدة أهل السنة كلهم، ولا يقولون أن الحق يشبه شيئاً، ولا يحل في جهة ولا في مكان، هو خالق الجنة وخالق العرش وخالق الكرسي وهو المحيط بها كلها، وهو الظاهر فوقها كلها جل جلاله، ولا تحل هي فيه ولا يحل هو فيها سبحانه وتعالى، لكنه التعبير عن ذاك المعنى الجليل الكبير العظيم بالرؤية، عبَّر عنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فتبعه أهل السنة في ذلك، إنما لا يتصور أحدٌ أن أهل السنة يثبتون بهذه الرؤية جهةً للرب ولا جسما ولا شيئا يشابه الكائنات ولا المخلوقات، تعالى عن أن يخطر ببال أو يتخيل بخيال أو يتصوره متصور، فالله أكبر من كل ذلك.

ولكن هذه الرؤية المثبتة بالمعنى الذي أراده صلى الله عليه وآله وسلم دلَّت النصوص على أنها معنى من تلك المعاني، فكما نشاهد أقوالنا وأفعالنا موزونة في الميزان وهي أمور معنوية صارت مشهودة بالعين مع أنه بمجرد حكم العقل يقال هذه الأعمال التي قد صدرت لم يبق لها أجسام تُرى، لكن الله تعالى يصور المعنى إذا أراد، فيجعل للعين القاصرة سر إدراكٍ للمعنى تشاهده كما تشاهد البصيرة والقلب ما يشاهد، فهذا هو المقصود بالرؤية، وهذا المقصود بأحاديث النظر إلى

وجه الله الكريم المستأنس لها بآية ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾: [القيامة: ٢٢ - ٢٣] والتي فيها أنه أعلى نعيم الجنة حينما يناديهم سبحانه وتعالى، وهو ملتصق بالمعنى الذي يعبِّر عنه في الحديث الآخر يقول لهم: (**أحل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم بعده أبدا**)[1]. فكما يسمعون بآذانهم كلام الله وهو ليس بحرف ولا لغة ولا صوت ولا شيءٍ مما يشبه كلام الخلق، فكذلك هذا النظر إلى وجه الله الكريم العظيم المقدس، مطهرٌ، ومنزهٌ عن الأين، أي: عن أن يحل في مكان، وعن التكييف، أي: الشكل والصورة والهيئة، وعن الحد: في زمان أو مكان أو جهة، والحصر في شيء من التصورات، جل العلي الكبير، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] سبحانه وتعالى عن الأين والتكييف والحد.

اليقين ومراتبه:

هذه المكاسب العظمى ما السبيل لها؟ وضع الناظم لي الخطة حتى أتوصل إلى هذا العطاء، فقال :

٨. (عَلَيْـــكَ) بِتَحْسِـــيْنِ اليَقِـــيْنِ فَإِنَّـــهُ
إِذَا تَـــمَّ صَـــارَ الغَيْـــبُ عَيْنـــاً بِـــلاَ نُكْـــرِ

** ** **

<u>اليقين:</u> عبارة عن قوة الإيمان وثباته ورسوخه في القلب حتى يصير كالطود الشامخ، وهو مراتب؛ أوله علم اليقين .. وبعده عين اليقين .. وآخره حق

١- أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه، باب صفة الجنة والنار، (٤/ ٢٠٠، برقم: ٦٥٤٩)، ومسلم كتاب الجنة صفة نعيمها وأهلها باب إحلال الرضوان على أهل الجنة فلا يسخط عليهم أبدا (برقم: ٢٨٢٩، ص:١٥١٧).

اليقين. وهذه المراتب الثلاث مذكورة في القرآن الكريم، ففي سورة التكاثر ذُكرت مرتبتان: علم اليقين وعين اليقين ، قال تعالى: ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴾ [التكاثر: ٥ – ٧] ، وذُكِرت المرتبة الثالثة في سورة الواقعة في قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الواقعة: ٨٨ – ٩٦]

يمثلون لذلك أن أحداً يُحدَّث: أن مجلس الروحة يُعْقَد في مصلى أهل الكساء في دار المصطفى. فإن حُدِّثَ مِن قِبَلِ ثقات وَثق بهم واطمأن قلبه وصل إلى رتبة علم اليقين، وخصوصا إذا قيل له: هذا البث المباشر اسمعه، والصورة أيضا فانظرها، وهي الآن واقعة لكن يبقى في علم اليقين حتى يأتي، فلو جاء وأشرف علينا مِن ذا الباب أو ذاك انتقل خبر هذه الروحة والجلسة عنده مِن علم اليقين إلى عين اليقين، لكن لو دخل وشاركنا وجلس معنا فيها واستمع وأنصت تحوّل من عين اليقين إلى حق اليقين.

فكذلك كل ما أمرنا الله به من الإيمان بالغيب، والذي جعله مِن صفات المتقين، ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ [البقرة: ٣ – ٤] ، فإيماننا فيه على هذه المراتب، فإذا قوي الإيمان ورسخ كانت أول درجة في اليقين وهي درجة علم اليقين، فإذا ارتفع شأن صاحبها وتمكن فانكشف لبصيرته فكأنه يشاهدها.. كما قال الصحابة لرسول الله: نجلس بين يديك فتحدثنا عن الجنة والنار حتى كأننا

نراها رأي عين، فهذا انتقل مِن علم اليقين إلى عين اليقين، ويصبح كما يصبح صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (**دخلت الجنة البارحة فسمعت خشخشة نعال بلال**)[1] يقول مخاطباً لبلال: البارحة كانت روحك في الجنة، فسمعت دف نعليك تمشي بين يدي في الجنة، قل لي بأرجى عمل عملته فقال: ما توضأت إلا صليت بذلك الوضوء ما كتب الله لي .

❖ **اليقين أشرف ما نزل من السماء:**

(**عليك بتحسين اليقين**) وما نزل من السماء إلى الأرض أشرف من اليقين، قال ابن مسعود: اليقينُ: الإيمانُ كله، يكون خواص المؤمنين في علم اليقين، ويكون الأولياء من هؤلاء الخواص في عين اليقين، والأنبياء وكُمّل ورثتهم من الصديقين هم أهل حق اليقين، وأرفع أهل حق اليقين وأعلاهم في ذلك رتبة سيد المرسلين، إلى حد أن يصلي بأصحابه في المسجد الكريم فيتقدم نحو الجدار ثم يرجع، ثم يتقهقر حتى يكاد أن يلتصق بالصف ثم يرجع ويكمل صلاته، وبعد الصلاة يقول: (**عُرِضت عليَّ الجنة والنار في عَرْضِ هذا الحائط، قال: فلما عُرِضَتْ الجنة دنوت منها حتى هممت أن أتناول منها قطف عنب**)[2] فذاكم

١- أخرجه البخاري في كتاب التهجد باب فضل الطهور بالليل والنهار (برقم: ١١٤٩)، ومسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه كتاب الفضائل، باب من فضائل بلال رضي الله عنه، (ص:١٣٣٤، برقم: ٢٤٥٨) .

٢- عن جابر، قال: بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في صفوفنا في الصلاة، صلاة الظهر أو العصر، فإذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتناول شيئاً، ثم تأخر فتأخر الناس، فلما قضى الصلاة قال له أبيُّ بن كعب: شيئاً صنعته في الصلاة لم تكن تصنعه؟!، قال: (عرضت علي الجنة بما = =فيها من الزهرة والنضرة، فتناولت منها قطفاً من عنب لآتيكم به، فحيل بيني وبينه، ولو أتيتكم به لأكل منه من بين السماء والأرض، لا ينقصونه شيئاً، ثم عرضت علي النار



عندما رأيتموني تقدمت، فالمسألة ليست مجرد صورة مثل ما هو في شاشات التلفاز، فهذه لا تستطيع أن تقطف شيئاً منها، لكن هذه اقطف منها.. ما هذه العظمة !!، قال عليه الصلاة والسلام : **(ولو قطفته لأكلتم منه ما بَقِيَتِ الدنيا)** لِـمَ؟ لأنه لا ينقص مِن ثمر الجنة شيء كلما أُخِذَ منه شيءٌ نَبَتَ محله خيرٌ منه. قال: **(ثم عُرضت علي النار فلما وجدت سَفْعَها تأخرت عنها)**[1]، فحرُّها موجود بالفعل، لذلك تأخر عليه الصلاة والسلام.

هذه مراتب حق اليقين الكبرى، وليلة الإسراء والمعراج دِيرَ به على المنازل والأماكن في الجنة والنار صلى الله عليه وآله وسلم، وهو الذي يقف على المنبر فيقول: **(ومنبري على حوضي)**[2] ويقول: **(وإني لأنظر إليه الآن، إني فرطكم على الحوض وإني لأنظر إلى حوضي الآن)**[3] صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

** ** **

فلما وجدت سفعها تأخرت عنها، وأكثر من رأيت فيها...)) أخرجه أحمد في مسنده عن جابر رضي الله تعالى عنه، (٢٣/ ١٠٩، برقم: ١٤٨٠٠)، ورواه البخاري بلفظ آخر.

١- بمعناه ما أخرجه ابن حبان في صحيحه باب ذكر عرض الله جلّ وعلا على المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم برقم (٦٤٣٢) والطبراني في المعجم الكبير (١٧/ ٣١٥، برقم: ٨٧٢)

٢- أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، باب فضل ما بين القبر والمنبر، (١/ ٣٦٨، برقم:١١٩٦)، وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب الحج مابين القبر والمنبر روضة من رياض الجنة (برقم:١٣٩٠).

٣- أخرجه البخاري في صحيحه، باب الصلاة على الشهيد، (١/ ٤١٢، برقم:١٣٤٤)، ومسلم في كتاب الفضائل باب إثبات حوض نبينا صلى الله عليه وآله وسلم وصفاته (برقم: ٢٢٩٦)، وأحمد في مسنده مسند عقبة بن عامر(٢٨/ ٥٧٨، برقم: ١٧٣٤٤) .

ثم قال:

٩. وكُـــنْ أشْـــعَرِيّاً في اعْتِقَـــادِكَ إنّـــهُ
هُـوَ الْـمَنْهَلُ الصَّـافِيْ عَـنِ الزَّيْـغِ وَالْكُفْـرِ

** ** **

❖ عقيدة أهل السنة والجماعة (الأشاعرة والماتريدية):

مُتَّبِعاً لما وُرِثَ عن رسول الله وأصحابه في الاعتقاد مما تولى تحرير أدلته وبيان مسائله الإمام أبو الحسن الأشعري حفيد سيدنا أبي موسى الأشعري الصحابي الجليل، وذلك في الوقت الذي داخل المسلمين فيه تأثّر ببعض الفلسفات وبعض اعتقادات وتصورات الأمم السابقة، وظهرت الطوائف التي عظَّمت العقل حتى جاوزت فيه الحد وحكَّمَته حتى في شؤون الاعتقاد، وظهرت طوائف الانحراف والابتداع في الدين، فسخَّر الله تعالى لدينه مَن يَذُّب عنه ومن يحفظه؛ فكما سخَّر في القرن الأول مَن يحمي بيضة الدين والإسلام في شؤون القلب وتنقيته والنفس وتزكيتها كأمثال علي بن الحسين زين العابدين، وسعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير، والحسن البصري ومَن في طبقتهم. ثم هيّأ لحفظ أحكام الشريعة الغراء والبُعد بها عن تحكُّم الأهواء والعقول إلى الاستسلام بالتمسك بالتنزيه وما يُبنى عليه البناء الصحيح، فهيأ الله لذلك أمثال النعمان أبا حنيفة والإمام مالك، والإمام الشافعي، والإمام أحمد بن حنبل ومَن في طبقاتهم، راجعة أسانيدهم إلى مثل الإمام الصادق وإلى مَن قبلهم مِن أهل تلك الحقبة مِن ورثة أنوار الرسالة، وهيأ فيما بعدهم عندما بدأ المساس بمسائل الاعتقاد أمثال



هذا الإمام أبي الحسن الأشعري في جزيرة العرب وما حواليها، وما وراء النهر أبا منصور الماتريدي .

ولقد ابتدأ الشيخ أبو الحسن أول حياته متأثراً بأبي علي الجبائي المعتزلي وأخذ ينظر في الأمر، وعناية الله ترعى مَن شاءت، حتى رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول له : **(أين أنت مِن سنتي)** فأخذ ينظر فيما ثَبَتَ وصحَّ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ويرفض ما خالفه مِن الأقوال فرد على الجبائي وغيره، وعلى أصناف أولئك الذين شذوا و انحرفوا فاتّبعه عامة المسلمين وأئمتهم.

واتبع أبو منصور الماتريدي كذلك في تلك النواحي ولم يكن هناك اختلاف بينهم إلا في ألفاظ تتوارد على معانٍ متقاربة، فاشتهر السواد الأعظم مِن الأمة بالأشعرية والماتريدية ليس لأبي الحسن الأشعري والماتريدي فيها اختراع ولا ابتداع ولا إحداث شيء، وليس له إلا حفظ ما ثَبَتَ وما ورد وما مر عليه من قبله، وهو الذي بيَّنه الكلاباذي في كتابه (التعرّف لمذهب أهل التصوف) أخذ في كتابه يوضّح مسائل الاعتقاد واحدة بعد الثانية قبل ألف ومائة سنة، وبيّن فيه مذهب أهل التصوف، وما هم إلا خاصة مِن عموم أهل السنة والجماعة؛ غاصوا على حقائق الآداب وأسرار المعاني المودوعة في السنة والكتاب عليهم رضوان الله تبارك وتعالى، فبهذا برز ما يُسمى بالأشعرية في هذه المسائل المبيَّنة الموضَّحة.

وما تقدم يتضمن كذلك بيان ما يحتاجه المؤمن في باب الإيمان مِن الاعتقاد في الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر خيره وشره.

وكان عامة سادتنا الصحابة يتلقون تلك المعاني بكلمات محدودة محصورة رأسها وأساسها ومنبعها الشهادتان: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، ثم بعد ذلك ما هو منتشر بينهم مِن ذكر الله بأسمائه الحسنى وأوصافه العلا في القرآن، وما سمعوه على لسان المصطفى، وما هو منتشر بينهم مِن الحديث عنه أيضا صلى الله عليه وآله وسلم وعن أخبار الملائكة والغيب والآخرة وأفعال العباد والحساب عليها.

هذا هو علم الإيمان عند الرعيل الأول، والقرن الأول، ولم يكن فيه شيء من هذه التفريعات الحادثة ولا شيء مِن تلك المبالغات الزائدة. ولما قال الكفار لرسول الله صِفْ لنا ربك؟ نزل قوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ١ - ٤] فما هناك شيء أكثر مِن ذلك، وما كانوا يطلبون زيادة الإيمان ولا قوته بتفريعات مسائل الاعتقاد ولا الخوض فيها، ولكن بالصدق مع الله وبالحضور مع الله وبالأدب مع الله، وبملازمة طاعة الله يزدادون إيمانا، كلما تلوا آياتٍ زادتهم إيماناً، كلما صلوا صلاة زادتهم إيماناً، كلما فكروا في عظمة الله زادهم ذلك إيماناً، وهكذا.. ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال: ٢] وعلى هذا الحال جاء التابعون وتابعوهم بإحسان.

إلا أنه عند اتساع الدائرة ودخول بعض الصفات والكلمات والاصطلاحات احتاج الناس إلى الذب عما عُرِفَ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فجاء ما يسمى بعلم الكلام وعلم التوحيد وعلم العقائد، فهذه الأسماء محدثة، فلم يكن مشهوراً ومنتشراً في حياة النبي والصحابة وحياة التابعين

إلا الإيمان فقط، وعليه يقيمون معارفهم وصلاتهم، فلما جاءت الحاجة إلى ذلك لم يُعدِمِ الله في الأمة مَن يبيِّن لهم ما يحتاجون إليه حراسةً لتلك العقيدة، حتى إذا حُفظت أثمرت المجاهدة ـ وهو المعبَّر عنه بالعمل الصالح ـ مع الإيمان نتائجَ في زيادة المعرفة بالله والقرب منه سبحانه وتعالى، فإذا اخْتَلَّت .. حينها لا تكون هذه الأعمال مثمرة، ولا تكون موصِلة إلى الرب تبارك وتعالى كمن يعتقد في الله ما ليس فيه جلّ جلاله، أو يعتقد في أنبيائه ما ليس فيهم، أو يناقض اعتقاداً فيما يتعلق بالآخرة إلى غير ذلك مما بيّنه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه سلم.

وفي العقيدة المجملة التي هي عدة أسطر بيان كاف لما يحتاجه عامة المؤمنين، وإنما يحتاج مَن وردت عليه الشبهات إلى مناقشتها وإلى حلِّها وإلى بيانها حتى تزول عنه الشبهة والإشكال، أما عامة المؤمنين فهذه عقيدتهم: (**وبعد فإنّا والحمد الله قد رضينا بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد نبيا ورسولا، وبالقرآن إماما، وبالكعبة قبلة، وبالمؤمنين إخوانا، وآمنا بكل كتاب أنزله الله، وبكل رسول أرسله الله، وبملائكة الله، وباليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره من الله تعالى، على ذلك نحيا وعليه نموت، وعليه نبعث إن شاء الله من الآمنين**) هذه هي العقيدة التي يحتاجها المؤمن بينه وبين الله تعالى ويمشي عليها، وإذا طرأت الشبهة والإشكال احتاجت إلى البيان بحسبها.

يقول الإمام الحداد مشيراً إلى ما حُرِّر في هذا الجانب تحريراً قريباً حسناً، وبعيداً عن إثارة الإشكالات، وأقرب إلى حفظ الموروث:

١٠. وَقَــدْ حَــرَّرَ الْقُطْــبُ الإِمَــامُ مَلاَذُنَــا
عَقِيْدَتَـــهُ فَهْـــيَ الشِّـــفَاءُ مِـــنَ الضُّـــرِّ

**	**	***

❖ **بيان معنى القطب:**

القطب: صاحب السيادة، والقطبانية: بمعنى السيادة. فالمرتقي أعلى ذروة في أي شأن يقال له قُطْب ذلك الشأن، فمن بلغ القمةَ في علم فهو قطب ذلك العلم، ومن بلغ الذروة العالية في عمل فهو قطب ذلك العمل، ومَن بلغ الذروة العلية في وصف فهو قطب ذلك الوصف، فالقطبانية: بمعنى السيادة، وقطب الشيء رأسه وأعلاه وأعظمه.

يقول ما معناه: إنه بين أكابر أهل العلم بالشريعة قطباً، أي كان مِن رؤساء أهل العلم وساداتهم المميزين باتساع العلوم.

(**حرر القطب، الإمام**): المتبوع المقتَدى به، (**ملاذنا**): في استبيان كثير من مسائل العلم النافع، (**حرَّر عقيدته**) يشير إلى ما حرر في الإحياء في (كتاب قواعد العقائد)، (**فهي الشفاء مِن الضر**) إذا تضرر أحد في جوانب الاعتقادات فهذه الشفاء مِن هذا الضر، لينتهج المنهج القويم الذي هو وَصْفُ الله تبارك وتعالى نفسَه وأنبياءَه وملائكتَه والغيبَ في الكتاب العزيز، ووَصْفُ نبيه المصطفى محمداً صلى الله عليه سلم في ذلك، فمَن هذا القطب الملاذ الذي حرر عقيدة فيها شفاء من الضر؟ قال:

١١. وَأَعْنِـيْ بِـهِ مَـنْ لَـيْسَ يُنْعَـتُ غَـيْرُهُ
بِحُجَّـةِ إِسْـلاَمٍ فَيَـا لَـكَ مِـنْ فَخْـرِ

** ** **

قال: (**اعني به**) اقصد به.

(**من ليس ينعت**) أي يوصف بين المسلمين من علماء أهل السنة والجماعة.

❖ **نبذة عن حياة حجة الإسلام الغزالي:**

(**من ليس ينعت غيره بحجة إسلام**) أي لم يشتهر ويوصف ويذكر بين علماء المسلمين بلقب و وصف حجة الإسلام إلا هو؛ أي الإمام الغزالي الملقب بـ(حجة الإسلام) محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الطوسي، ويقال إنه نسبة إلى غزّالة وهو الأصح، لا إلى الغزل، فتكون بالتشديد و هناك بلدة في طوس اسمها غزّالة فيقال للواحد منها غزّالي.

ولد سنة أربعمائة وخمسين من الهجرة، وتوفي سنة خمسمائة وخمس من الهجرة، فما له إلا خمس وخمسون سنة في هذه الدنيا، لكن ما أعجبها!! كم ممن عُمِّر مثل هذا العمر وزيادة عليه بكثير لم يكن له أثر في حياة الناس ولا في واقع المسلمين!!.

في هذا العمر القصير يسّر الله تعالى على يده تجديد الدين لهذه الأمة، سَلَكَ مسالك أهل عصره، واتصل بشيخه الجويني إمام الحرمين ومَن أخذ عنه من الشيوخ واتصل بهم، حتى أنه في سن مبكرة صارت وآلت إليه أعلى مراكز التعليم في ذاك العصر، وهو عصرٍ مزدهر بأكابر مِن أهل العلم يحاجُّون ويغوصون على دقائق المسائل، فانتهت إليه رئاسة العلم في ذلك الزمن، وانتخب المدير والمدرِّس

للمدرسة النظامية ببغداد، وتُعدُّ أعلى تلك المدارس مِن الناحية العلمية المشهورة بين المسلمين في ذاك العصر، فعنده ثلاثمائة مِن الطلاب في تلك المدرسة، وهؤلاء نخبة الطلاب الموجودين في العالم الإسلامي في ذاك العصر، فلا يوصلون إلى المدرسة النظامية إلا نخبة النخب مِن الأقوياء في العلم من مختلف الأقطار، ولا يتمكن أحد مِن الدخول في المدرسة النظامية ولا يُقبل حتى ينتخب من قبل العلماء من مختلف الأقطار، فنخبة النخبة مِن أقوياء طلبة العلم هم الذين يُرسَلون إلى المدرسة النظامية ويدرِّس فيها أكابر علماء العصر، فكان هو ممن يدرِّس فيها.

مضت عليه فترة وله في ذلك حكاية عن حاله حكى عنها وافراً في كتابه (المنقذ مِن الظلال) قضّى فيها فترة في سمعة وفي شهرة وفي جاه واسع كبير وفي مزاحمة علوم، واتساع في فهوم، فقذف الله في قلبه أن هذا العمل ليس قائما على الاستقامة وإرادة وجه الله عز وجل فتوقف، وأراد أن يسافر، فرفض ذلك الأمير ـ حاكم المسلمين ـ وألزمه بالبقاء، فبقي مدةً فنزل عليه مرض حتى مُنِعَ لسانه من الكلام، فكان يجبر بعض الطلاب الذين يلتفون حوله مِن النجباء لكي يدرسهم لأنه لا يستطيع أن يتكلم، فكتب إلى الخليفة أنه يريد الذهاب إلى الحج ويلتقط علاج نفسه مِن المرض، وأضمر أن يعود بعد الحج إلى الشام ويترك بغداد والتدريس في هذه المدرسة العريقة الكبيرة المشهورة، فتوجه هناك، وجلس عشر سنوات في دمشق في محله المعروف في الجامع الأموي في المنارة التي كان يجلس عندها الإمام الغزّالي مختليا بها. تحوّل حاله وبدأ يؤلف الكتب النافعة ورجع بعدها إلى فارس وإلى نيسابور وأخذ يدرس، فكتب إليه بعض الأمراء يريدون منه التدريس في أماكن أكبر وطلبة أكثر فقال: إن مَن عندي مِن الطلاب قد



عَرفتُ صِدقهم مع الله سبحانه وتعالى فأحبُّ أن أبقى معهم ولا حاجة لي بكثرة طلاب، واستمر على هذا الحال حتى توفي في فارس في بلده طوس.

في هذا العمر القصير وقعت بركة كبيرة وآثار عظيمة فلو رأيت مؤلفاته لقلت: متى ألّفها؟ مِن سنة كم ابتدأ يؤلف وابتدأ يكتب؟ عليه رضوان الله تبارك وتعالى، ولأجل توسعه في العلوم مع قوة ما آتاه الله في الفطرة من ثقابةٍ في الذهن والرأي وسعة في الوعي والحفظ و قوة في العقل صار يورِد الحجج بقوة، حتى إن بعض الفنون المشتهرة في زمانه لما درسها استوعب كل ما قاله المتخصصون فيها وزاد لها تفريعات ما عرفها أربابها المختصون بها مِن قوة ما آتاه الله من عقل ووعي وفهم، فلذا أطلقوا عليه حجة الإسلام، وألّف: (تهافت الفلاسفة) بعد أن درس فلسفتهم وما يقيمون أمورهم عليه، وفي (المنقذ من الظلال) خلاصة عجيبة عن هذا المسار كله والمراحل التي مر بها هذا الإمام حجة الإسلام الغزالي، صاحب المفخرة بين المسلمين في قوة علمه وظهور آثار الصدق والانتفاع به الذي عم الشرق والغرب عليه رضوان الله تبارك وتعالى.

❖ الإمام الشاذلي ورؤيته في شأن الإمام الغزالي:

يذكر للإمام أبي الحسن الشاذلي الحسني عليه رحمة الله ـ المقبور في صعيد مصر ـ رؤيا كان يتحدث بها مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، رأى في منامه أنه دخل بيت المقدس ووجد رسول الله وحوله الأنبياء ورسول الله جالس بينهم، وكان ممن بجانبه من الأنبياء سيدنا موسى وسيدنا عيسى عليهم الصلاة والسلام فسمع موسى يقول لرسول الله يا رسول الله : قلت في حديثك **(علماء أمتي**

كأنبياء بني إسرائيل)[1] قال: أجل، قال: فهل ترينا واحداً مِن علماء أمتك الذين شبهتهم بالأنبياء فينا؟ فالتفت صلى الله عليه وآله وسلم يقول: أين أبو حامد الغزالي؟ فرآه أقبل وجاء فجلس بين يديهم، فوجّه إليه سيدنا موسى سؤالاً أراد أن يختبره به، فقال له: ما اسمك؟ قال: محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي، قال له: أنا سألتك عن اسمك فقط، وأنت أجبت لي باسمك وأبيك وجدك وقبيلتك، فهل مِن الأدب أن تزيد في الكلام؟ فالتفت الغزالي يقول: يا رسول الله هل أجيب الكليم أم أتأدب معه؟ فقال له: أجب، فقال الغزالي: يا كليم الله وأنت عندما سألك الله وخاطبك بقوله: وما تلك بيمينك يا موسى؟ قلت: ﴿هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴾. وإنما سألك ما تلك بيمينك فقط؟ فلماذا أطلتَ الكلام مع أن الله عالم بكل شيء! فعجب موسى والتفت إلى الحبيب صلى الله عليه وسلم وقال: صدقت يا رسول الله ، العلماء في أمتك كالأنبياء فينا لهم مرتبة في الوعي والعلم والفهم يشابهون بها الأنبياء، ولا أحد يبلغ رتبة الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، قال: فالتفت النبي يقول لموسى وعيسى: (هل في أمتكما حبرٌ كهذا) ؟ قالا: لا... وإلى هذا أشار في قصيدته الأخرى:

و الحجــةُ الحــبرُ الــذي بــاهى بــه   أهــل النبــوةِ خــيرُ كُــلِّ مشــفعِ

١- سئل الحافظ العراقي عما اشتهر على الألسنة من حديث علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل فقال: لا أصل له ولا إسناد بهذا اللفظ ويغني عنه العلماء ورثة الأنبياء وهو حديث صحيح ... انظر كتاب فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي (٤/ ٣٨٣).

وبوضـــعِهِ الإحيـــاءَ فـــاقَ فَيَـــا لَـــهُ　　　مِـــن فـــائِقٍ وكَمِثلِـــهِ لَـــمْ يُوضَـــعِ[1]

ثم عند تحقيق الإيمان تحتاج إلى علم بالشريعة من أجل العمل به فقال:

١٢. وَخُـذْ مِـنْ عُلُـوْمِ الـدِّيْنِ حَظّاً مُـوَفَّراً　　　فَبِـالعِلْمِ تَسْـمُوْ فِي الْحَيَـاةِ وَفِي الْحَشْـرِ

** ** **

❖ **الحث على طلب العلم:**

(**وخذ من علوم الدين حظا موفرا**) فأوله: فرض عين سواء تعلق بجانب الإيمان، أو تعلق بجانب الأعمال للجوارح، أو تعلق بجانب الصفات القلبية، أو تعلق بجانب المتروكات، أي: ما يجب أن يترك من المحرمات.

فعلوم الدين أولها: فرض عين، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم (**طلب العلم فريضة على كل مسلم**)[2] ، فإذا أخذ ما يلزمه فما بعد ذلك مِن التوسعُ في علوم الدين والشريعة إلى حد يستطيع فيه الفُتيا فيما يعرض للناس من مسائل في دينهم هو فرض كفاية على أهل كل قطر، وما جاوز ذلك فهو سنة ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة:

١- وهي من قصيدة الإمام الحداد المعرفة بالعينية وعليها شرح واسع للإمام أحمد بن زين الحبشي، ومطلعها:

يـــا ســـائلي عـــن عـــبرتي ومـــدامعي　　　وتنهـــد تـــرتج منـــه أضـــالعي

وهناك ذكر خاص للإمام الغزالي وكتابه الإحياء في قصيدة أخرى للإمام الحداد مطلعها:

بإحيـــاء علـــوم الـــدين تحيـــا قلوبنـــا　　　ويكشـــف عنـــا غمنـــا وكروبنـــا

١- أخرجه ابن ماجه في سننه عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه، باب فضل العلماء، (ص:٨١، برقم:٢٢٤)، وأبو يعلى في مسنده مسند أنس بن مالك (٥/ ٢٢٣، برقم:٢٨٣٧).

[١١ فهذا شأن علم الدين إذا أُخِذ بالنية الصالحة فلا أفضل منه، ولا أجمل ولا أكمل، إذا صحبه بالنية الصالحة والعمل.

وَخُــذْ مِــنْ عُلُــوْمِ الــدِّيْنِ حَظّــاً مُــوَفَّراً

فَبِــالعِلْمِ تَسْــمُوْ فِي الْحَيَــاةِ وَفِي الْحَشْــرِ

لتنال نصيبا من إرث النبوة، ولتكون بجانب الأنبياء في القيامة، ففي الحديث الذي جاء بالسند الحسن: (**يشفع يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء**)[1] فأكرم برتبة تلي النبوة و فوق الشهادة؛ الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء، قال سيدنا عبد الله بن مسعود: (**والذي نفسي بيده ليودُّنَّ رجال قُتلوا في سبيل شهداء أن يبعثهم الله علماء**)[2] ، لما يرون من كرامتهم عند الله، ويقول أبو الدرداء رضوان الله عليه: (**من رأى أن الغدوة إلى طلب العلم ليس بجهاد فقد نقص في رأيه وعقله**)[3]

وَخُــذْ مِــنْ عُلُــوْمِ الــدِّيْنِ حَظّــاً مُــوَفَّراً

فَبِــالعِلْمِ تَسْــمُوْ فِي الْحَيَــاةِ وَفِي الْحَشْــرِ

(**تسمو**) تعلو وترتفع وترتقي. (**في الحياة وفي الحشر**) في الحياة الدنيا بإدراكك لأسرار المعاملة مع الله، وفي الحشر بنيلك أنواع الكرامة والإحسان من الله.

١- أخرجه ابن ماجه في سننه عن عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه، باب ذكر الشفاعة، (٢/ ١٤٤٣، برقم:٤٣١٣)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله(١/ ١٤٩، برقم: ١٥٢).

٢- ذكره الإمام الغزالي في الإحياء ، باب فضيلة التعلم وابن القيم في مفتاح السعادة (١/ ١٢١)

٣- ذكره ابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله.

تسمو في الحياة وفي الحشر: وقت اجتماع الناس.

تسمو في الحياة بإدراك أسرار المعاملة مع الله.

تسمو في الحياة بالانتظام في سلك الصادقين المخلصين لله.

تسمو في الحياة بأن يتولاك الله تبارك وتعالى ويتولى شؤونك وأحوالك بنفسه.

تسمو في الحياة وفي الحشر بأن يجمعك الله بأنبيائه ويجعلك في أصفيائه، ويحشرك في زمرة سيد أنبيائه صلى الله عليه وآله وصحبه سلم.

(**فبالعلم تسمو في الحياة وفي الحشر**) حيث تُنْصَب لك إذا قمت بحق هذا العلم ألوية الشفاعة بعد النبيين، فيشفع يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء.

❖ حقيقة العلم الشرعي وثمرته:

(**فبالعلم تسمو في الحياة وفي الحشر**) وهذا العلم هو الذي يزيد في خوفك مِن الله ومعرفتك بجلال الله، وبيان معايب نفسك ودسائسها لتتوقاها، ومداخل ومكائد الشيطان لتتخذه عدواً كما أمرك الله تعالى.

هذا العلم الذي هو علم الدين الذي يُدَان الله تبارك وتعالى به، وكل ما خلا عن ذلك فليس بعلم دين، ولو كان صورته ترديداً لآيات الذكر الحكيم، كما يشير لذلك أمر الله لنا بالاستعاذة عند قراءة القرآن ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [النحل: ٩٨]، فما الحاجة مِن الاستعاذة مِن الشيطان عند قراءة القرآن؟ لأنه قد يدخل الشيطان عليك من باب التلاوة فيفسدها عليك، فتعدّ

نفسك تالياً وأنت بعيدٌ، وأنت مسخوطٌ عليه، وربما قرأ قارئٌ القرآن والقرآن يلعنه والعياذ بالله تعالى.

فكل ذلك يرينا حقائق العلم، وليس العلم بكثرة المعلومات، وليس العلم بحسن الأقوال، وليس العلم بالاطلاع على اختلافات الأئمة، وليس العلم بالظهور بين الناس.

العلم ما زاد مِن خوفك من الله وزادك معرفة بجلال الله، وبيَّن لك معايب نفسك ودسائس عدوك إبليس ومداخله إليك هذا هو العلم، وهو كل ما جاء به نبينا محمد إذا تلقيته على وجهه فيفيدك ذلك، ولو كانت آية طلاق، ولو كانت آية مداينة، فإنها تدلك على الله، وتعرفك بجلال الله إذا أخذتها على وجهها، فإذا قرأت آية المداينة وهي أطول آية في القرآن لم تفهم منها إلا أن توثِّق أعمالك فيما يختص بملكك وشؤونك الملكية التجارية ومررت عليها من غير تأمل وتدبر، لم تنتفع من الآية بسرها وحقيقتها، فإذا قرأتها بتدبر ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِ﴾ [البقرة: ٢٨٢] ، فأخذت من معنى العدل معنىً تعرف به ضرورة حسن المعاملة مع عالم السر والنجوى جل جلاله، ﴿وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، فهكذا تجدها ممزوجة كلها بإفاضة عجائب التعظيم لله العلي العظيم، حتى تكون كتابة الدين مقرونة بخوف وخشية وزيادة معرفة بالله، وتوَّقٍ لدسائس النفس ووساوس إبليس إلى آخر الآية، حتى ختمها بقوله ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [البقرة: ٢٨٢] ثم لما أكمل الكلام المتعلق بذلك ﴿وَإِن كُنتُمۡ عَلَىٰ سَفَرٖ وَلَمۡ تَجِدُواْ كَاتِبٗا فَرِهَٰنٞ مَّقۡبُوضَةٞۖ فَإِنۡ

أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٨٣] .

فهذا كله يزيدنا معرفة بالله، يقول لنا إذا أردنا أن نخطب امرأة ونتزوج بها فلا يجوز لنا أن نتكلم معها ما دامت في العدة حتى تنقضي عدتها، فنعمل بهذا الحكم ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٣٥] هذا كله تصوف، فالقرآن كله ظاهر وباطن، يعلِّم ويربي، حتى آيات النكاح وآية المداينة، كل المعاملة في القرآن قائمة على هذا الحال، وكذلك سنة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فجاء بعض أصحاب العقليات ممن لا يعرفون إلا الأحكام الظاهرة فقط مع أهميتها عند المؤمن، ولكنهم نسوا دلالات ﴿ فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ ﴾، ودلالات ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٣٥] وتغافلوا عنها وأهملوها، وأخذوا يلقطون ظواهر الأحكام فحُرموا حقائق العلم ولم يكونوا عند الله علماء.

**   **   **

١٣. وَوَاظِـبْ عَـلَى دَرْسِ الْقُـرَآنِ فَـإِنَّ فِيْ
تِلاَوَتِـهِ الإِكْسِـيْرَ وَالشَّـرْحَ لِلصَّـدْرِ

** ** **

❖ صلة المؤمن بالقرآن وتدبره لآياته:

وان أردت الباب إلى حقائق العلم والمفتاح الكبير فليكن لك قلب متصل بالكتاب، متفتح على تلقّي الخطاب.

(وواظب على درس القرآن فإن في تلاوته الإكسير) والإكسير: هو الذي يقلب الجواهر من جوهر إلى جوهر، ويرد النحاس إلى ذهب والحجر إلى فضة.

(فإن في تلاوته الإكسير والشرح للصدر)، ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧] ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال: ٢] قال سيدنا عثمان بن عفان: **(لو طهرت قلوبنا ما شبعت من كلام الله)**[١].

(فإن في تلاوته الإكسير والشرح للصدر) أسلم أعرابي فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم للصحابة : **(فقهوا أخاكم في الدين)** وكان من جملة ما فقهوه وعلموه بعض السور القصيرة، فعلموه سورة الزلزلة، فلما تلوا عليه قول الله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة: ١] اهتز وقال: ما هذا؟ قالوا: هذا وصفٌ ليوم القيامة عندما يريد الله سبحانه وتعالى إفناءَ الخلائق ثم بَعْثهم تضطرب الأرض وتتزلزل وتتحرك بشدة، قال: أكمل لي قول الله، فقرأ ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [الزلزلة: ٢] قال: ما هذا؟ قالوا: تلقي ما في بطنها من

١- أخرجه أحمد في فضائل الصحابة ، فضائل عثمان رضي الله عنه برقم (٧٧٥)

كل ما فيها من الجواهر ومن أجساد الموتى، ﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ الكافر ﴿مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة: ٣ - ٤] قال: ما هذا؟ قالوا: تخبر بما عُمِلَ عليها من خير أو شر ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَٰلَهُمْ﴾[الزلزلة: ٥ - ٦] سترى أعمالك ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٤ – ٨] ، قال الأعرابي: (حسبي حسبي هذا يكفيني)[1] ، فلما أخبروا النبي صلى الله عليه وآله وسلم بحاله قال: (فَقِهَ الرَّجُلْ) أي : أخذ مِن علوم الدين حظاً موفراً، فهذه مظاهر الفقه في دين الله تبارك وتعالى.. اللهم فقهنا في الدين وعلمنا التأويل، واهدنا إلى سواء السبيل .

(**فإن في تلاوته الإكسير**) فسورة الزلزلة قلبت ذلك الأعرابِي إلى فقيه في الدين، كان قبلها بدويّاً جاهلاً لا يعرف شيئا، ولكنه آمن وأسلم ودخل نور الإيمان في قلبه، رأت عينُه وجه محمد بمحبةٍ، وبتعظيمٍ، وبإيمانٍ، نظر إليه على أنه رسول الله وصفوة الله، ونبي الله، وخيرة الله، وحبيب الله، ولما نظر إليه بهذه العين علموه آياتٍ مِن القرآن فكفَته وشفته. صدق الإمام الحداد بقوله: فإن في تلاوته الإكسير والشرح للصدر.

** ** **

١- أخرجه عبدالرزاق في تفسيره سورة الزلزلة (٣/ ٤٤٨، برقم: ٣٦٧٠) ، وقال السيوطي في الدر المنثور: وأخرج عبدالرزاق وعبد بن حميد وابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم دفع رجلا إلى رجل يعلمه فعلمه حتى بلغ ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة:٨] فقال الرجل يا رسول الله أرأيت الرجل الذي أمرتني أن أعلمه لما بلغ ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ فقال حسبي ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم **(دعه فقد فَقِه)** .



١٤. أَلا إِنَّـــهُ الْبَحْــــرُ الْــــمُحِيْطُ وَغَـــيْرُهُ
مِـــنَ الْكُتْـــبِ أَنْهَـــارٌ تُمَـــدُّ مِـــنَ الْبَحْـــرِ

** ** ** ** ** **

العلوم النافعة كلها مِن السنة وأقوال الصحابة والتابعين وتابع التابعين وكتب العارفين الصادقين إلى يومنا هذا (**أنهار تمد من البحر**) فمدد كل حق في أي كتاب، وكل نور في أي كتاب، وكل صواب في أي كتاب لأي مؤمن صادق عارف من القرآن، وأصله من القرآن.

أَلا إِنَّـــهُ الْبَحْــــرُ الْــــمُحِيْطُ وَغَـــيْرُهُ
مِـــنَ الْكُتْـــبِ أَنْهَـــارٌ تُمَـــدُّ مِـــنَ الْبَحْـــرِ

❖ **العارفون وأحوالهم مع كتاب الله:**

كان سيدنا جعفر الصادق عليه رضوان الله تعالى يردد الآية من القرآن في الصلاة ، وقد يُغشى عليه في ترديد الآية، ويقول: (**إن الله تجلى لخلقه في كلامه**)[1] .

قالوا لبعض الذين اختاروا أن يعيشوا منفردين: أما تستوحش؟ أنت جالس لوحدك في مكان بعيد عن الناس! قال: كيف استوحش وأنا أكلم ربي ويكلمني، قالوا : عجباً .. ما تقول؟! قال: إن أردتُ أن أكلمه قمت إلى الصلاة،

١- وعن الدرجة العليا أخبر جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه قال والله لقد تجلى الله عز وجل لخلقه في كلامه ولكنهم لا يبصرون انظر كتاب إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي (ت: ٥٠٥هـ)، الباب الثالث في أعمال الباطن، (١/ ٢٨٧).

وإن أردت أن أسمع كلامه فتحت كتابه وتلوته، قال: فمن كان يسمع كلام الله ويخاطب الله كيف يستوحش؟! من أي شيء يستوحش؟ هذا هو الأنس كله، هذا هو السرور كله، هذا هو الفرح كله.

الله يفتح لنا هذه الأبواب التي حال الحجاب بينها وبين أكثر الناس، وصح قول الله: ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ١٣١] ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٣]

ومَن عَلِم وعقل ذاق من سر هذا الخطاب ما يحس به لذة الاقتراب مِن رب الأرباب والتي لا تساويها لذة طعام ولا شراب ولا ملبس ولا منكح ولا رئاسة ولا جاه.. وإن كانت هذه الأشياء هي القواطع التي قطعت أكثر خلق الله عن الله، ولكن لو فتح لك باب الذوق في لذة القرب منه لعلمت أنها ليست بشيء وغايتها كالسراب والرماد.

أَلا إِنَّـــهُ الْبَحْـــرُ الْـــمُحِيْطُ وَغَـــيْرُهُ
مِـــنَ الْكُتْـــبِ أَنْهَـــارٌ تُمَـــدُّ مِـــنَ الْبَحْـــرِ

قال سيدنا علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه ورضي عنه: (لـو شـئت أن أوقرَ سبعين بعيراً مِن تفسير أم القرآن لفعلت)[1] كتبٌ تُكتبُ مـن معـاني بسـم الله الرحمن الرحيم مما علمه الله، **وهو القائل حينما سئل هل خصكم (أي آل البيت) رسول الله بشيء؟ قال : لم يخصنا إلا بما في هذه الصحيفة وفهمٍ يؤتاه أحدنا في كتاب الله)**[2]، وهكذا توارث الأخيار هذه الأسرار.

١- ذكره السيوطي في الإتقان ـ النوع الثامن والسبعون في معرفة شروط ... (٤/ ٢٣٠)

٢- أخرجه البخاري في كتاب الجهاد باب فكاك الأسير (برقم: ٣٠٤٧)، وابن ماجه في كتاب الديات ، باب لا يقتل مسلم بكافر (برقم: ٢٦٥٨)

وقال بعض العارفين من أهل الاجتهاد في الأزمان السابقة قرأت أول تفسير للقرآن فلم يشفِ غليلي، فهو متلهف ومتعطش لمعان ودلالات وسط القرآن عظيمة لم تنكشف له حينما قرأ ذلك التفسير، قال: فقرأت التفسير الثاني والثالث حتى أنهيت مائة تفسير ولم تشف لي غليلا، حتى أكرمني الله عز وجل ففتح علي في قوله: ﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلى: ٣] فشفى قلبي، شفى قلبه فيما فتح الله عليه من المعاني في قوله: ﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ لا إله إلا هو.

﴿قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ كم عدد الخلق؟ ﴿قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ كم طول كل واحد منهم ؟ ﴿قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ كم عُرض كل واحد منهم؟ ﴿قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ إلى أين تتجه نظراتهم؟ ﴿قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ ما نوع الخواطر التي ترد عليهم ؟ ﴿قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ ما تتلفظ به ألسنتهم، كله داخل تحت دلالات قوله ﴿قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾.

كيف تتحرك المروحة؟ ﴿قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ كيف امتد سلك الكهرباء؟ ومن أين جاء؟ ﴿قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ كيف اكتشفت الكهرباء؟ ﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ جل جلاله .

وكيف تعيش الحيوانات؟ وكيف تعيش الطيور؟ وكيف تعيش الأسماك؟ ﴿قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ وكيف تتحرك الأرض؟ وتدور دورة في كل يوم وليلة؟ ﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ جل جلاله وتعالى في علاه .. الله يربطنا بالقرآن ويفتح علينا في القرآن، ويجعلنا عنده من أهل القرآن يا رحمن .

** ** **

١٥ . تَـــدَبَّرْ مَعَانِيْـــهِ وَرَتِّلْـــهُ خَاشِـــعاً
تَفُـــوْزُ مِـــنَ الأَسْرَارِ بِـــالْكَنْزِ وَالْـــذُّخْرِ

** ** **

❖ قراءة القرآن بخشوع وتدبر:

(تدبر معانيه) عسى أن تظفر بشي مما فيه، فإنه تحت كل آية بل تحت كل كلمة بل تحت كل حرف مِن القرآن أسراراً لا تحملها السماوات ولا الأرض، ويحمل ما يحمل منها قلوب المصطفين لله، الله يجعل لنا نصيبا مِن هذا الفهم في كتابه .

ويروى أن بعض الصحابة سمع نبينا يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم فأخذ يرددها حتى عدَّ له عشرين مرة وهو يقول: بسم الله الرحمن الرحيم[1]، وجاء في الحديث أنه بات ليلة يكرر قول الله: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [المائدة: ١١٨] ، حتى نزل عليه جبريل يقول له: يقول لك ربك ما يبكيك يا محمد؟

قالت السيدة عائشة: ولم يزل يسجد ويبكي حتى طلع الفجر[2] .

١- أخرجه أبو الشيخ في أخلاق النبي صلى الله عليه وآله وسلم، (برقم: ٥٧٦) .

٢- عن جسرة بنت دجاجة، قالت: سمعت أبا ذر يقول: قام النبي صلى الله عليه وآله وسلم بآية حتى أصبح يرددها، والآية: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ أخرجه أحمد في مسنده مسند أبي ذر(٣٥/ ٢٥٦، برقم: ٢١٣٢٨)، والنسائي في كتاب الافتتاح، باب ترديد الآية (برقم:١٠١٠). أما عن بكاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم ففي صحيح مسلم كتاب الإيمان باب دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأمته وبكائه شفقة عليهم (برقم: ٢٠٢).

وقد حكت عن ليلة من لياليه فقالت: كان إذا جن الليل وخلا كل حبيب بحبيبه، خلا هو بحبيبه و قام يناجي ربه، ولقد ورد عليَّ ليلة في ساعة متأخرة فعمد إلى قربة فيها ماء فتوضأ، ثم قام فلم يزل يسجد ويبكي حتى طلع الفجر، فجاء بلال يؤذنه للصلاة فرأى أثر البكاء عليه فقال: ما يبكيك يا رسول الله، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟! فقال صلى الله عليه وآله وسلم: (**لقد أنزلت علي الليلة آيات ويلٌ لمن قرأها ولم يتدبرها، ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها**)[1]، **وتلا عليه**: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ

١- وقد حدثنا أبو أمية، حدثنا محمد بن القاسم الأسدي، عن أبي جناب الكلبي، عن عطاء بن أبي رباح قال: دخلت مع عبدالله بن عمر وعبيد بن عمير على عائشة رضي الله عنهم وهي في خدرها، فقالت: من هؤلاء؟، قلنا عبدالله بن عمر، وعبيد بن عمير، فقالت: يا عبيد بن عمير أنت كما قال الأول: زر غباً تزدد حباً، فقال ابن عمر: دعونا من باطلكم هذا، حدثينا بأعجب ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فبكت بكاء شديداً، ثم قالت: كل أمره عجباً، أتاني ذات ليلة وقد دخلت فراشي، فدخل معي حتى لصق جلده بجلدي، ثم قال: ((**يا عائشة ائذني لي أتبعد لربي عز وجل**)) قالت: قلت يا رسول الله، إني لأحب قربك وأحب هواك، قالت: فقام إلى قربة في البيت فدعا وبكى حتى ظننت أن دموعه بلغت حجزته، ثم اضطجع على يمينه، وجعل يده اليمنى تحت خده الأيمن، ثم بكى حتى ظننت أن دموعه قد بلغت الأرض، ثم جاءه بلالٌ بعدما أذن، فسلم، فلما رآه يبكي قال: يا رسول الله تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، قال: ((**وما لي لا أبكي، وقد أنزل علي الليلة: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ الآية، ويل لمن قرأها ثم لم يتفكر فيها، ويحك يا بلال ألا أكون عبداً شكوراً**)). أخرجه الطحاوي في مشكل الآثار للطحاوي (ت: ٣٢١)، (١٢/ ٣٣، برقم:٤٦١٨)، وابن حبان كتاب الرقائق (٢/ ٨، برقم:٦١٩).

﴿مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٠ - ١٩٥]

(تدبر معانيه) واستعن على ذلك بالترتيل.

(ورتّله) قال الله لنبيه: ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٢ - ٤] وقال لسيدنا أُبي بن كعب: **(إني أُحِبُّ أن أسمعه من غيري)**[1] صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

(تدبر معانيه ورتله خاشعاً) خاشعاً: حاضر القلب، متدبراً للمعنى، معظما، خائفاً، راجياً، مستحيياً، فإذا اجتمعت هذه المعاني فأنت خاشع، تكون: حاضر القلب وتكون متدبرا للمعنى، وتكون معظما، وتكون خائفا، وتكون راجيا، وتكون مستحييا، إذا اجتمعت فيك فقد خشعت.

١- أخرجه البخاري في صحيحه عن عبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنه، باب البكاء عند قراءة القرآن، (٣/ ٣٥٢، برقم: ٥٠٥٦)، وأخرجه مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب فضل استماع القرآن.. (برقم:٨٠٠) .

(ورتله خاشعا تفوز من الأسرار) أي : أسرار الكتاب والخطاب، أسرار وهب الوهاب، أسرار البيان، أسرار التنزيل، أسرار المنازلة، أسرار التعليم الرباني، أسرار الخطاب الرحماني.

(تفوز مِن الأسرار بالكنز) والكنز: يكون خَفِيّاً لا يهتدي إليه كل الناس، ولا يصل إليه إلا الآحَاد والأفراد.

(تفوز مِن الأسرار بالكنز والذخر) اللهم اجعلنا من أهل القرآن، **(اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه)** [١] **(أهل القرآن هم أهل الله و خاصته)** [٢] اللهم اجعلنا منهم .

تَـــدَبَّرْ مَعَانِيْـــهِ وَرَتِّلْـــهُ خَاشِـــعاً
تَفُـــوْزُ مِـــنَ الأَسْرَارِ بِـــالْكَنْزِ وَالْـــذُّخْرِ

فما كان حالنا مع القرآن سواءً في الصلاة أو خارجها ؟ ، فقوِّم صلتك بالكتاب العزيز، وأصلح ما بينك وبين هذا القرآن الكريم، قوم علاقتك بهذا الكتاب، أصلِح حالك مع هذا الكتاب، اتخذ سبيلا حسنا صالحا تدوم عليه إلى أن تموت في الصلةِ بهذا الكتاب يُفضي بك إلى الترقي والقوة في الصلة بكتاب الله سبحانه وتعالى، ومنهجِ الله سبحانه وتعالى، وكلامِ الله سبحانه وتعالى، وخطاب الله سبحانه وتعالى، وتنزيل الله سبحانه وتعالى ، وتعليم الله سبحانه وتعالى،

١- أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي أمامة الباهلي رضي الله تعالى عنه، باب فضل قراءة القرآن، (٤٠٣/ ٢٥٢-٨٠٤) .

٢- أخرجه أحمد في مسنده مسند أنس بن مالك (١٩/ ٢٩٦-٢٩٧، برقم: ١٢٢٧٩) ، والنسائي في السنن الكبرى عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه، باب أهل القرآن، (٧/ ٢٦٣، برقم: ٧٩٧٧).

وتبيين الله سبحانه وتعالى، وتفضُّلِ الله سبحانه وتعالى، وتنوير الله سبحانه وتعالى، وحبل الله سبحانه وتعالى، لابد أن نتخذ لنا مسلكا صالحا حسنا مع القرآن ندوم عليه إلى الوفاة، نترقى به من خلال مرور الأيام علينا إلى ساعة الموافاة فنلقى اللهَ تبارك وتعالى و نحن من أحسنِ خلقهِ صلةً بكتابه، نكون من أصحابه والصاحب تعرف كيف يلازم صاحبَه؟ وكيف يوده؟ وكيف يحبه؟ ثم إذا صح لك ذلك تهيأت إذا واصلت السير بصدق وجد واهتمام وتعظيم لأن تكون من أهله، بعد أن تكون مِن أصحابه تكون مِن أهله، فأما أصحابه فهو شفيع لهم، وأما أهله فهم شفعاء الخلق بهذا القرآن عند الله، **(أهل القرآن هم أهل الله وخاصته) (اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه)** فأمّا أصحابه فهو يشفع لهم وأنعِم بشفاعة القرآن، وأما أهل القرآن فهم أهل الله وخاصته وهم الشفعاء لخلق الله بأسرار كتاب الله سبحانه وتعالى، نسأل الله أن يجعلنا مِن أهل القرآن، وأن ييسر لنا الوصول إلى ذلك المرقى الرفيع الشريف .

لا بد لنا من وِجهة بالاتصال بهذا الكتاب، وكتاب مَن كتب إحياء علوم الدين هو في الحجم من أصغر كتب الإحياء لكنه عظيم اسمه (آداب وأسرار تلاوة القرآن) لو قرأته لفُتِح لك باب، وله كتيب هو الذي استخرج مِن ضمنه (كتاب الأربعين في أصول الدين) كتاب الأربعين في أصول الدين فرعٌ منه هو أقل منه في الحجم ولكنه أصل الأربعين في أصول الدين اسمه (جواهر القرآن) فلو تأملتَه ونظرتَ فيه ربما ساقك لأن تتخذ حبلا موصلا بالقرآن تتمسك به وتقف على باب حسن الصلة بهذا الكتاب والتحلي معه بحِلية الآداب.

وللإمام النووي-عليه رحمة الله- (التبيان في آداب حملة القرآن) وهو مِن أحسن كتب الإمام النووي ، وهو كتيِّب صغير عظيم القدر عظيم النفع، لابُدَّ لنا من جدٍّ في تقويم صلتنا بالكتاب، ولا يستغني عن هذا مؤمن، سواءً كان متفرغا لأمور العبادة أو لأمور التعليم أو كان ذا شغل بشـيء مِن شؤون دنياه سواءً كان موظفا أو صانعاً أو تاجرا أو مهندسا إلى غير ذلك، لا بد لهم مِن الصلة بهذا الكتاب.

فأقل الدرجات بأن يكونوا مِن أصحاب القرآن، ومَن خرج عن هذه الدائرة دخل في دائرة المشتكى منهم مِن قِبل صاحب الرسالة إلى الجبّار جل جلاله في قول الله ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ﴾ [الفرقان: ٣٠] فاحذر أن يبقى في بيتك مشتكىً منه في هجرِ القرآن، يشتكي منه الرسول في هجر القرآن، فكيف أنت بنفسك تهجر هذا الكتاب؟ وتنزل عن رتبة أصحاب القرآن الذين يواظبون على تلاوة نصيب منه مع الحرص على الحضور والتدبر في كل يوم وليلة مع التعظيم.

هذا أقل الدرجات التي تجعلك مِن أصحاب القرآن، فإذا صَدَقْتَ فيها، وترقيت وتربيت عليها، وغُصْت على معانيها، وصلت إلى باب أهل القرآن، وعسى أن تلج إلى حماهم الطيب العدل المنيع الرفيع الوسيع العجيب الرحيب الطيب الصالح المنير حمى رب العالمين **(أهل القرآن هم أهل الله وخاصته)** والوسيلة إلى ذلك قال : ترقّب حالتك عند تلاوة الكتاب..

** ** **



١٦. وَكُــنْ رَاهِبــاً عِنْــدَ الْوَعِيْــدِ وَرَاغِبــاً
إِذَا مَــا تَلَــوْتَ الْوَعْــدَ فِيْ غَايَــةِ الْبِشْــر

** ** **

❖ **حال المؤمن عند تلاوته لكتاب الله:**

(**وكُن راهبا عند الوعيد**) كل ما مَر بك وعيد، أو ذِكر عذابٍ، أو ذِكْر سوءِ مصير، أو ذكر النار، أو ذكر المصير إلى الجبار، أو ذكر القيامة وأهوالها.

راهباً: تكون حالتك الرهبة عند تلاوة هذا الكتاب، فأما الذي يمر على آية الوعيد ويَرْقُب شيئاً أمام عينه مع آخر، أو يضحك فهذا أشبه بالمستهزئ بالكتاب

تمر عليك آية وعيد وأنت تضاحك مَن بجانبك وتصغي إلى قوله وتتبسم له، وهذا قول ربِّك ما وجد له سبيلاً إلى قلبك ولا إلى عقلك، أَعْرَضْتَ عنه بكلِّيتك مع تلاوته صورةً باللسان.

(**وكُن راهبا عند الوعيد**) إذا مررتَ بآية الوعيد التي فيها التخويف، وفيها ذكرُ سوء المصير، وفيها ذكرُ أهوال القيامة، وفيها ذكر النار وعذابها، وفيها ذكر سوء الحساب.. تكون راهباً متأثراً مرتعباً، حتى صوت التالي يختلف عند قراءة آية الوعد وعند قراءة آية الوعيد.

وقد وصف سيدنا حذيفة قراءة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقد رَأَى النبي قامَ مِن الليل فقام حذيفة ، فصفَّ يمين النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أول ركعة، قال : فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة، ثم مضى، فقلت: يصلي بها في ركعة، فمضى، فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء، فقرأها، ثم افتتح آل عمران، فقرأها، يقرأ مترسلاً، إذا مر بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مر بسؤال سأل،

وإذا مر بتعوّذ تعوّذ، ثم ركع، فجعل يقول: «سبحان ربي العظيم»، فكان ركوعه نحواً مِن قيامه، ثم قال: «سمع الله لمن حمده»، ثم قام طويلاً قريباً مما ركع، ثم سجد، فقال: «سبحان ربي الأعلى»، فكان سجوده قريبا من قيامه»[١] .

فكان صلى الله عليه وآله وسلم **(راهباً عند الوعيد)** يقف عند آيات العذاب ويستعيذ بالله مِن العذاب، وجاء عن ابن مسعود أنه قال : «صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأطال حتى هممت بأمر سوء» قيل: وما هممت به؟ قال: «هممت أن أجلس وأدعه»[٢] صلى الله عليه وعلى آله وسلم، هذا في الركعة الأولى من تهجُّده قرابة ربع القرآن، وبَقِيَ هناك ركوعٌ وسجودٌ، و ركعات أخرى مع ركوعها وسجودها، هكذا كانت ليالي نبيك فكيف لياليك أنت؟

إن الذين لا نصيبَ لهم من القرآن طوال الليل وعندهم مسلسلات وكلمات فارغات مِن أبعد الناس صلةً بصاحب الوحي، ما شابهَ ليلُهم ليلَه فلم يشابه حالُهم حاله، فأنَّى يقربون منه يوم القيامة، لكن مَن كان له سهر في الكتاب قد مدَّ حبل الشبه، فشابه ليلُه ليلَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولو تلا آياتٍ وتَدَبَّر فيها شابه بذلك الحبيب واتصل به، فيوشك أن يتفضلَ الله عليه بالقرب مِن الحبيب، فإذا حمل لواءَ الحمد يجد له مكاناً تحت هذا اللواء لأنه شابهَ لياليه، وإذا شابهتْ لياليه ليالي الحبيب سرى الشبه إلى الأيام فشابهت الأيامُ أيام الحبيب، فتجده في نهاره مشتغلاً في السَّبح الطويل، الذي كان فيه صلى الله عليه وآله وسلم يسبح ﴿ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا ﴾ [المزمل: ٧] هذا حاله في النهار،

١- أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها ـ باب استحباب تطويل القراءة (برقم: ٧٧٢)

٢- أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها ـ باب استحباب تطويل القراءة (برقم: ٧٧٣)

وحاله في الليل ﴿ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ﴾ [المزمل: ٢ – ٤] لأنك المنتخب لأعلى ما أنزلنا على أحد مِن خلقنا، ﴿ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ٦ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا ﴾ [المزمل: ٤ – ٧] في القيام بأداء الفرائض ونُصح الناس وتفقُّد أحوالهم ونشر شأن الدعوة، هذا سبحٌ طويل في النهار، أما في الليل فخُذ لك زاداً مِن سر الخصوصية بيننا وبينك لتحسنَ في سبحك الطويل؛ دلالتك علينا وإيصالك إلينا ﴿ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا ﴾ [المزمل: ٧] فليكن حالك في الليل والنهار ﴿ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ﴾ [المزمل: ٨] انقطع إليه انقطاعا عن كل شيء آخر، ﴿ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ٨ رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ﴾ [المزمل: ٨ – ٩] و أنت أمام هذه المهام الكبيرة تجد في هذا العالم المناوِئ والمخالِف والمنافِق والفاجِر والكذاب والمتربِّص والعدو والمستهزئ والحاسد ﴿ رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ﴾ [المزمل:٩] ، قال لك : اعطنا الوكالة وسنتوكل لك في الدفاع عنك، نتوكل لك في نصرتك وتأييدك وكفِّ أذى المؤذيين والمستهزئين والمعاندين عنك، مهما خَيَّلَتْ لهم أنفسهم، فكم وصلوا إلى مسجده يريدون قتله ودخلوا إلى المسجد بسيوفهم! وكم أُرسل مَن رُسل ليخذِّلوا من حواليه وليزعزعوا همةَ أصحابه. فكم يرى مثل ذلك .. لكن وكيله تولاه، وكيله كفاه ﴿ رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ٩ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ [المزمل: ٩ – ١٠] ما يُظهرون وما يعلنون ﴿ فَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّا نَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ ﴾ [يس: ٧٦] وكيلك عارف ومحيط بهم خلفك. قال: ﴿ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ﴾ [المزمل: ١٠]

والعواقب كيف؟ ﴿وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾ [المزمل: ١١] تهديد ما فوقه تهديد!! قال: الخالق الجبار الأعلى اتركني، ﴿وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾ ما هي الغاية؟ الغاية: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ [المزمل: ١٢ – ١٤] نعوذ بالله من غضب الله، اللهم اجعل عاقبتَنا خيرا، واجعلنا من أنصار نبي الخير ومن أحبابه وأتباعه.

وَكُـــنْ رَاهِبـــاً عِنْـــدَ الْوَعِيْـــدِ وَرَاغِبـــاً

إِذَا مَـــا تَلَـــوْتَ الْوَعْـــدَ فِيْ غَايَـــةِ الْبِشْـــرِ

رأيت الله يَعِدُ الذين آمنوا وعملوا الصالحات بأنواع البشائر.. **(فكن راغباً)** يجعلك منهم، افرح بهذا الفضل الرباني سائلا مِن الله فضله، وإذا سمعت أخباره بالنعيم وأخباره بالجنة وما يكون فيها وأخباره بحسن الحال عند اللقاء .. كن راغباً وكن راجياً وكن فرحاً بهذا الفضل:

وَكُـــنْ رَاهِبـــاً عِنْـــدَ الْوَعِيْـــدِ وَرَاغِبـــاً

إِذَا مَـــا تَلَـــوْتَ الْوَعْـــدَ فِيْ غَايَـــةِ الْبِشْـــرِ

هذا حالك عند التلاوة يثمر لك الحالة فيها بعد التلاوة فما الحال بعد التلاوة...

** ** **

١٧ . بَعِيْـداً عَـنِ الْـمَنْهِيِّ مُـجْتَنِباً لَـهُ
حَرِيْصاً عَلَى الْـمَأْمُوْرِ فِي الْعُسْـرِ وَالْيُسْـرِ

** ** **

هذه حالتك بعد التلاوة. فإذا كانت حالتك هكذا كما ذُكِرَ وقت التلاوة فتكون حالتك هكذا بعد التلاوة.

مَن منَّا استغرقته آية في ليلة فأخذت مِن وقته؟ لا أقول الليلة كلها، ساعة فلكية، ساعتين، ثلاث ساعات، ساعة واحدة، أخذته آية فأخذت كيانَه كلَّه وفكرَه كلَّه وتأمُّلَه كلَّه، فما قدر يتركها ولا قدر يتجاوزها وأخذ يرددها متأملاً معانيها وما فيها، ممتلئاً بها حتى مرّت عليه ثلاث ساعات.. ساعتان، ساعة واحدة، رضينا ستين دقيقة.. كيف ما حصل لك هذا؟! أصلِح حالك مع القرآن، هذا فقط للصحابة والتابعين وصالحي الأمة إلى زمانك وأنت محروم منه؟ هذا لك أنت أيضا إذا أردت، هذه مائدة الله بُسطت، فخذ نصيبَك منها، وأصلِح حالك مع القرآن حتى تأخذك الآيات.

كان سيدنا عمر يقف فيردد آية وهو في الصلاة فيرددها ولا يزال يرددها، ثم ماذا؟ يُغمى عليه ويُحمل إلى البيت فقد يُعاد أياماً في البيت مِن آثار آية من كتاب الله!! فما عملت فينا آياتُ الله؟ لابد أن نفكر في إصلاح حالنا مع كلام الله، ومع كتاب الله جل جلاله، ويكون لنا معه شأن، عسى الله أن يرفعنا به **(إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع به آخرين)**[1].

١- أخرجه مسلم في صحيحه عن سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه، باب فضل من يقوم بالقرآن وتعلمه..، (ص: ٤٠٧، برقم: ٨١٧).

وكان الإمام محمد بن حسن جمل الليل إذا قرأ القرآن امتلأ به فيفيض عليه حلاوة يشبع بها ويروى ويقول: أجد كطعم العسل، حتى كان لا يحس بأثر الصيام، وإذا جاء رمضان اجتهد أن يذوق شيئا مِن آثار الجوع و الظمأ لأنه عبادة وقُربة إلى الله، فكان يحاول تأخير وِرده من القرآن إلى الليل، و يشتغل ببقية الأوراد الأخرى من الطاعات في النهار ويقول: عسى أن لا أُحرم ذوق شيء من الصوم لأني إذا تلوت القرآن فلا ظمأ يبقى ولا جوع، من حلاوة القرآن. وإلى هذا المعنى يشير سيدنا عثمان بقوله: **(لو طهرت قلوبُنا ما شبعت من كلام الله)**، فلا أقل مِن أن يكون لك نصيبٌ من القرآن تقرؤه كل يوم، أما مسلمٌ تمر عليه ثلاثة أيام لا يقرأ كلام ربه! هذا ضعيف الصلة بكلام الله وبكتابه، وهذا يخشى أن لا يكون من أصحاب القرآن أصلا.

(بعيداً عن المنهي) فأنت بعد التلاوة تكون بعيداً عن كل ما نهى عنه القرآن، قال تعالى لك: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ [الحجرات: ١٢] وقال لك ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات: ١٢] فتكون بعيداً عن هذا، وقال لك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

(حريصا على المأمور في العسر واليسرِ) قال لك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣] وقال لك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [المجادلة: ٩] وقال لك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

قال سيدنا ابن عباس: إذا سمعتَ ربَّك يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ فألقِ سمعك، فإن بعدها أمراً أو نهياً، إذا خاطب المؤمنين بـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ فبعدها أمر أو نهي فانتبه وألقِ سمعك وأنصت إلى ما يقول ربك، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحجرات: ١٢]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّۖ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الحجرات: ١١]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات: ١٣]﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٣٥]﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [آل عمران: ٢٨]﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحجرات: ١٠]، وهكذا..

بَعِيْداً عَنِ الْمَنْهِيِّ مُجْتَنِباً لَهُ
حَرِيْصاً عَلَى الْمَأْمُوْرِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ

فحينئذ بقي معك أن تستكمل في سيرك إلى الله تعالى قاعدةَ السير بكثرة الذكر:

** ** **

١٨. وَإِنْ رُمْــتَ أَنْ تَحْظَــى بِقَلْــبٍ مُنَــوَّرٍ
نَقِــيٍّ عَــنِ الأَكْـدَارِ فَـاعْكِفْ عَـلَى الـذِّكْرِ

** ** **

❖ **ذكر الله عز وجل آدابه وثمرته:**

(مَا عَمِلَ آدَمِيٌّ مِنْ عَمَلٍ أَنْجَى لَهُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ)[١]، أنجى شيءٍ لك من العذاب هو ذكر الله، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم **(ألا أنبِّئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعِها في درجاتكم، وخيرٌ لكم مِن إنفاق الذهب والورِق، وخير لكم من أن تلقوا عدوَّكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: ذكر الله)[٢]**، **(يا رسول الله إن شرائع الإسلام كثُرت علي فمُرني بعمل أتشبَّث به، قال: لا يزال لسانُك رطباً من ذكر الله)[٣]**، **(إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الجَنَّةِ فَارْتَعُوا) قَالُوا: وَمَا رِيَاضُ الجَنَّةِ؟ قَالَ:**

١- أخرجه الترمذي في سننه عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه، باب ما جاء في فضل الذكر، (ص:٤٥٩، برقم:٣٣٧٧)، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده مسند أبي الدرداء (٣٦/ ٣٣-٣٤، برقم:٢١٧٠٢)، بدون قول معاذ فأخرجه في مسند معاذ (٣٦/ ٣٩٦-٣٩٧، برقم: ٢٢٠٧٩)، وابن ماجه في سننه كتاب الأدب باب فضل الذكر (برقم:٣٧٩٠)، والحاكم في المستدرك كتاب الدعاء(١/ ٤٩٦) .

٢- التخريج السابق .

٣- أخرجه الترمذي في سننه عن عبدالله بن بسر رضي الله تعالى عنه، باب ما جاء في فضل الذكر، (ص٤٥٨، برقم:٣٣٧٥)، وأحمد في المسند مسند عبد الله بن بسر (٢٩/ ٢٤٠، برقم: ١٧٦٩٨) .

(**حِلَقُ الذِّكْرِ**)[1]، قال تعالى : ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨] وقد جاءت لك شريعةُ الله بالحثِّ على ذكر الله قياماً وقعوداً وعلى الجنوب، وبالحث على ذكر الله سبحانه وتعالى ليلاً ونهاراً سرّاً وإجهارا، فرادى وجماعات، ففي صحيح الإمام مسلم يقول صلى الله عليه وآله وسلم: (**لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ**)[2] و فيه أيضاً أنه خرج على حلقة من أصحابه يذكرون الله ، فسلم عليهم ثم قال: (**ما أجلسكم؟ قالوا: كنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا إلى الإسلام قال: آ الله ما أجلسكم إلا ذلك؟ قالوا: آلله يا رسول الله ما أجلسنا إلا ذلك، قال: أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم، ولكنه أتاني جبريل آنفا فأخبرني أن الله يباهي بكم الملائكة**)[3] .

وكان سيدنا عبدالله بن رواحة كلما لقي أحداً من الصحابة يقول: تعال نؤمن بربنا ساعة، فيجلس معه يذكر الله تعالى فيزداد إيماناً وهكذا، وكان يذكرهم سيدنا عمر ويقول : زيدونا إيماناً، تعالوا واجلسوا فيجلسون على ذكر الله تعالى،

١- أخرجه الترمذي في سننه عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه، باب ما جاء في عقد التسبيح باليد، (٥/ ٥٣٢، برقم:٣٥١٠)، وأحمد في مسنده مسند أنس بن مالك (١٩/ ٤٩٨-٤٩٩، برقم:١٢٥٢٣).

٢- أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنهما، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، (ص: ١٤٤٨، برقم٢٧٠٠) .

٣- أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، (ص:١٤٤٨، برقم: ٢٧٠١) .

(قال عبد الله بن رواحة لبعض الصحابة تعال نؤمن بربنا ساعة، فقالوا يا رسول الله ألا ترى إلى ابن رواحة يرغب عن إيمانك إلى إيمان ساعة!؟ قال: (يرحم الله ابن رواحة إنه يحب المجالس التي تتباهى بها الملائكة)[1] .

قالت السيدة عائشة: **(كان رسول الله يذكر اللهَ على كل أحيانه)**[2] صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله، كان في وقت العمل ووقت الجهاد يردد معهم الأبيات بالدعاء والتضرع إلى الله تعالى والتذكير وكانوا يرتجزون:

نحـــنُ الَّـــذِينَ بَـــايَعُوا مُحَمَّـــداً ... عـــلى الجهـــادِ مَـــا بَقِينَـــا أَبَـــداً

والنبي يرتجز معهم ويقول: اللهم إن العيش عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة[3] وكانوا يقولون:

اللهـــمَ لَـــولَا أَنـــتَ مَـــا اهْتَـــدَيْنَا ... وَلا تَـــــصَدَّقنَا وَلا صَـــــلَّينَا

فأنْـــزِلَنْ سَكِـــــينةً عَلـــــينا ... وَثَـــبِّتِ الأقــــدامَ إن لَاقَيْنَـــا

إن الألى قـــد بغـــوا عَلـــينا ... وَإن أرادوا فتنـــــةً أبيْنَـــــا

فيرفع صوته صلى الله عليه وسلم ويقول: أبينا أبينا[1]، يشاركهم في الإنشاد بالذكر صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

١- أخرجه أحمد في مسنده عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه، (٢١/ ٣٠٩، برقم: ١٣٧٩٦).

٢- أخرجه مسلم في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها، باب ذكر الله تعالى في حال الجنابة وغيرها، (ص:١٩٨، برقم:٣٧٣) .

٣- أخرجه البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه، باب التحريض على القتال..، (٢/ ٣١٥، برقم:٢٨٣٤)، وأخرجه مسلم كتاب الجهاد والسير باب غزوة الأحزاب وهي الخندق (ص:٩٩٨، برقم:١٨٠٤).

وَإِنْ رُمْـــتَ أَنْ تَحْظَـــى بِقَلْـــبٍ مُنَـــوَّرٍ
نَقِــيٍّ عَــنِ الأَكْــدَارِ فَــاعْكِفْ عَــلَى الــذِّكْرِ

ما هناك شيء يصفِّيك أحسن من الذكر ولا يطهِّرك أحسن من الذكر، ولا يطرد عنك وسوسةَ الشيطان أقوى من الذكر، ولا يقرِّبك من الرحمن مثل الذكر، ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه: ١٤] ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١ – ٤٢] ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنَ ٱلۡمِحۡرَابِ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا﴾ [مريم: ١١]

فعلينا بكثرةِ الذكر على وصفِ الأدب، وهذا الذي أرشدنا إليه القرآن قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١ – ٤٢] صباحاً ومساءً، وما وجدنا القرآن في ذكر عمل من الأعمال الصالحة المقربة إلى الله ينصُّ على الكثرة إلا في الذكر ﴿ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١ – ٤٢] ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [الأحزاب: ٣٥] قال سبحانه وتعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠] وقال عليه الصلاة والسلام:

١- أخرجه البخاري في صحيحه عن البراء رضي الله تعالى عنه، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب، (٣/ ١١٦، برقم:٤١٠٤)، ومسلم كتاب الجهاد باب غزوة الأحزاب وهي الخندق (برقم:١٨٠٣) .

(أكثِروا ذكرَ الله حتى يقولَ المنافقون إنكم مراؤون)[1] إنما يقولون إنكم مراؤون لما يجدون في صدورهم من ضيق عند سماعِ ذكرِ الله فيثقل عليهم ذلك، فيسبون الذاكرين، ويقولون هؤلاء مراءون لأنهم أسمعوهم ذكرَ الله تبارك وتعالى، **(أكثِروا ذكرَ الله حتى يقولَ المنافقون إنكم مراؤون)**، **(أكثروا ذكرَ الله حتى يقولوا مجنون)**[2]، حتى يعرف وصفك في التولع بالله جل جلاله وتعالى في علاه.

قال سيدنا الحسن البصري عن الصحابة: لو أدركتموهم لقلتم مجانين، مِن شدة تولُّعهم بالله ورسوله فما بقيت لهم رغبةٌ ولا ميلٌ ولا طلبٌ إلا في الله ورسوله، عليهم رضوان الله تبارك وتعالى.

أرشدنا إلى الذكر بقوله:

وَإِنْ رُمْــــتَ أَنْ تَحْظَـــى بِقَلْــــبٍ مُنَــــوَّرٍ
نَقِــيٍّ عَــنِ الأَكْــدَارِ فَــاعْكِفْ عَــلَى الــذِّكْرِ

فتنوير القلوب إنما هو بذكر الله.

(نقي عن الأكدار) ما يعلق بالقلب من جميع الأغيار التي هي الظلمات.

(فاعكف على الذكر) لازِمْهُ، و دُم عليه **(لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله)**[3] قال سيدنا موسى عليه السلام ـ حينما أرسله الله إلى فرعون ـ طالباً من ربه المعونة على القيام بحق هذه الرسالة فطلب: شرح الصدر، وتيسير الأمر، وحل

١- أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ١٣١، برقم: ١٢٧٨٦)، و البيهقي في شعب الإيمان عن أبي الجوزاء رضي الله تعالى عنه، باب فصل في إدامة ذكر الله عز وجل، (١/ ٣٩٧، برقم: ٥٢٧).

٢- أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٦٦٧، برقم: ١٨٣٩)، والإمام أحمد في مسنده، مسند أبي سعيد الخدري، (١٨/ ١٩٥، برقم: ١١٦٥٣) .

١- تقدم تخريجه .

العقدة من القول، وأن يجعل له أخاه هارون معه وزيراً، وذكر الحكمة من كل ذلك فقال ﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾ [طه: ٣٣ - ٣٤] فالمرسلون يدركون أن قيامَهم بأمر الرسالة على وجه صحيح يحتاج إلى ذكر كثيرٍ وتسبيح كثير وتولُّع بالذكر، بينما يأتي مَن يظن أنه يخدم رسالاتِ الأنبياء بالاستهزاء بالذاكرين والاستخفاف بشأن الذاكرين والضحك على الذاكرين، وربما نسبهم إلى البدعة أو إلى الزيغ أو إلى الضلال، وكثرة الذكر شعار الأنبياء ﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ٣٣ - ٣٦]

وبهذا عَلِمْنَا وصفَ خاتم الرسالات خير البريات، أنّه (**كان يذكر الله على كل أحيانه**)[1] وأنه (**يعدُّ له في المجلس الواحد** ـ أي أنه يجهر بالذكر فيسمعه من حواليه ـ **مائة مرة من قوله : (رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم**)[2] فأحيانا في المجلس الواحد يسمعونها مِن فم سيدنا رسول الله أولاً وثانياً إلى مائة مرة في مجلس واحد صلوات ربي وسلامه عليه، (**رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم**) على مثل هذا الروح كانت مجالس حبيب الرحمن صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله.

ووصف الله الكفار بالاستهزاء بطالبي المغفرة والرحمة مِن المؤمنين، وذكر أن ذلك مما يبكِّتهم الله به ويعذبهم عليه في الآخرة قال تعالى: ﴿قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾

١- تقدم تخريجه

٢- أخرجه أبو داود في سننه عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، باب في الاستغفار، (٢/ ٢٤٩، برقم:١٥١٦)، والترمذي كتاب الدعوات باب ما يقول إذا قام من مجلسه (٥/ ٤٩٤-٤٩٥، برقم:٣٤٣٤).

[المؤمنون: ١٠٨- ١٠٩] ﴿ فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا ﴾ ناس يستغفرون ويسترحمون، ويقولون: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٠٩]

رب اغفر لي وتب علي .. ﴿ فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ ١١٠ إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴾ [المؤمنون: ١١٠ – ١١١]

مجالس نبيك كانت تمر فيها روح (**رب اغفر لي و تب علي إنك أنت التواب الرحيم**) اسمعها مرة ومرتين وثلاث .. وربما لو سمعتها بقلب حاضر فستجد نوراً ينتشر في قلبك، وحادياً يحدوك إلى الارتقاء، فما حال الذين سمعوها من فم سيدنا وإمامنا وقدوتنا صلوات ربي وسلامه عليه، ثاني مرة وثالث مرة.. كيف يقومون من مجلسه صلى الله عليه وآله وسلم، يقول له الصحابة (**ونكون عندك تُذكِّرنا بالجنة والنار فكأنا نراها رأي عين**)[1] هكذا كانت مجالسهم مع سيد الوجود صلوات ربي وسلامه عليه.

** ** **

١٩ . وَثَـــابِرْ عَلَيْـــهِ فِيْ الظَّـــلامِ وَفِيْ الضِّـــيَا

وَفِيْ كُـــلِّ حَـــالٍ بِاللِّسَـــانِ وَبِالسِّـــرِّ

** ** **

لازِمه وواظب عليه، في الليل وفي النهار.

١- أخرجه مسلم في صحيحه عن حنظلة الأسيدي رضي الله تعالى عنه، باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة والمراقبة وجواز ترك ذلك في بعض الأوقات والاشتغال بالدنيا، (ص: ١٤٧، برقم:٢٧٥٠) .

(**و في كل حال باللسان وبالسر**) ولن تُمنع عن ذكر الله في حالة من الحالات قط: فإذا كان الموطن لا يليق بذكر اللسان فمفتوح لك باب الجنان، لتذكر به الرحمن من دون أن تمنع في أي آن قط أبداً فضلا من الله تعالى، فتح لك باب الذكر له وأنت متطهر وأنت محدث، وأنت جنب، وأنت قاعد، وأنت قائم، وأنت صغير، وأنت كبير، وأنت جالس، وأنت ماشي، وأنت في السوق، وأنت في البيت، وحيثما كنت .. فإذا كنت في موضع أوساخ وقاذورات عند قمامة أو بيت خلاءٍ فبالقلبِ الذكرُ لك مفتوح، أمسِك اللسان واستمر بقلبك على ذكر الله تبارك وتعالى له الحمد والمنة، اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

نحتاج إلى أن نفسح لأنوار الذكر في مجالات حياتنا وشؤوننا لتبرز فيها وتدخل عليها ولتعمرها وتغمرها وتنقيها، فإن هناك سدوداً سدت بها فتحات الذكر في كثير من حياة الأمة اليوم، يحتاج إلى أن تفتح هذه السدود، وينبسط نور الذكر لله تعالى في واقع حياة المسلمين، وواقع حياة المؤمنين.

وقد كنت تجد من يذكِّرك بالله حتى في أسواق المسلمين، وفي مزارع المسلمين، وفي متاجر المسلمين، وفي مصانع المسلمين، وفي مِهَن المسلمين، كانت هذه الصبغة معهودة.

كنا في أيام الصغر في مثل هذه البلدة (تريم) ، كما هو حال كثير من بلاد أهل الإسلام، كنا نعهد أصحاب كل مهنة لهم ترديدات بأنواع من الأذكار، وأنواع من التنبهات القلبية لشؤون الحالة مع الله والمرجع إليه سبحانه وتعالى؛ الذين يصنعون الجص، والذين يعالجون النخيل في تأبيرها، ومتابعة أسباب خريفها، والذين يصربون ويجذون الحصاد من الزرع، والذين بعد ذلك يستخرجون القشور من القمح وغيره، والبنائين الذين يبنون البيوت، والذين

يخلطون الماء بالطين ليهيئوه، لكل منهم أنواع من الأذكار وأنواع من الأبيات المتضمنة للذكر، يرددونها حتى في مناولتهم اللبنات لبنةً بعد لبنة، فيُبنى البناء على ذكر الله تبارك وتعالى. وكانت هذه حالة الناس الاجتماعية، ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾ [البقرة: ١٣٨]،

انظر كيف تأثرت مجتمعات المسلمين اليوم وغاب الذكر في مختلف الأحوال، فلا في مزرعةٍ بقي الذكر، ولا عند إصلاح شيءٍ من النخيل، ولا عند البناء، ولا عند طحن الطعام إلى غير ذلك، ذهبت وتلاشت هذه الأذكار واستبدلت في بعض الأماكن بكلمات سوء، وكلمات نابية يسمعها الناس من شيء من الأغاني الماجنة، أو من التمثيليات الساقطة وما إلى ذلك.

فنسأل الله أن يوقظَ قلوب المسلمين، ويحيي قلوب المسلمين، ويرد للمسلمين صبغةَ الذكر له ولرسوله.

** ** **

٢٠. فَإِنَّكَ إِنْ لازَمْتَهُ بِتَوَجُّهٍ
بَدَا لَكَ نُورٌ لَيْسَ كَالشَّمْسِ وَالْبَدْرِ

** ** **

❖ **إشراقات الذكر على الذاكر:**

(فإنك إن لازمتَه): أي ذكر الله، (بتوجُّه)

فأنت لا تذكر الله تعالى وأنت ساكن الأطراف متوقراً متكلفا حضور القلب إلا و رأيتَ الأثر حاضرا على قلبك، فإذا دام ذلك منك ودمتَ عليه و دام

منك التوجه فذكرت الله: بقلب حاضر، وأدب وافر، وإقبال صادق، وتوجه خارق، انكشفت الحجب عن بصيرتك وسريرتك وقلبك وبرزت أشعةُ أنوار عظمة مولاك، فقمتَ أمام الهيبة بأنواع الحياء والأدب مع الرب جل جلاله واستحليتَ هذا الذكر استحلاءً ينسيك جميع ما في ملذات هذا العالم القصير، وصرتَ مع العلي الكبير تستنير نورا بعد نور وتستزيد الأنوار على مدى الأوقات والساعات.

فَإِنَّـــــكَ إِنْ لازَمْتَـــــهُ بِتَوَجُّـــــهٍ

بَـــدَا لَـــكَ نُـــوْرٌ لَـــيْسَ كَالشَّـــمْسِ وَالْبَـــدْرِ

ليس كالشمس والبدر، نور الشمس يغيب ويظهر، نور البدر يغيب و يظهر، ويصغر ويكبر، ثم تكسف الشمس ثم يخسف القمر، ونور الشمس لا يكشف لك غير الأجسام ونور البدر لا يكشف لك غير الأجسام، ولكنك ترى بالذكر نوراً ليس كالشمس والبدر يكشف لك المعاني، ويوقفك على دقائق الأسرار، ويوصلك بالكريم الغفار، ويذيقك لذة الاقتراب، ويدخلك رحاب الأحباب، ويفسح لك المجال، ويرفعك في المراتب العوال.

لا يخبو هذا النور ولا يتناقص ولا يغيب ولا يكسف أبدا سرمدا، وإن كُسِفَت الشمس وإن خُسِفَ القمر، وإن تناثرت الكواكب وإن جاءت القيامة، وإن قام الخلق بين يدي الخالق العظيم.. يبقى هذا النور ويسعى بين يديك وعن يمينك، ولا تزال فيه إلى أن يجمعك مع مصدر النور وهو رسول الله محمد بن عبد الله، ثم تدخل به إلى جنة الله، ﴿يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ

يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [التحريم: ٨] ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير، وهب لنا ولإخواننا ومن والانا فيك نصيباً مِن إشراق هذا النور، الذي لا انقضاء له ولا انطفاء له، يزداد، ونحب منك إتمامَه وزيادتَه علينا في كل نفس حتى ندخل به في قبورنا ونحشر به يوم بعثِنا ونشورنا مع نبيِّك يوم لا تخزي هذا النبي، واجعلنا من الذين معه ﴿ يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِم بُشۡرَىٰكُمُ ٱلۡيَوۡمَ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [الحديد: ١٢]

اللهم هب لنا النور، واجعلنا من أهل النور، اجعل في قلوبنا نورا، في قبورنا نورا، وفي أسماعنا نورا، وفي أبصارنا نورا، وفي لحومنا نورا، وفي دمائنا نورا، وفي عظامنا نورا، وفي أعصابنا نورا، وفي بشرنا نورا، ومن بين أيدينا نورا، ومن خلفنا نورا، وعن أيماننا نورا، وعن شمائلنا نورا، ومن فوقنا نورا، ومن تحتنا نورا، واجعل لنا نورا واجعلنا نورا، يا نور النور يا الله يا نور السماوات والأرض، لا نورَ إلا نورك ولا خير إلا خيرك، ولا ضياء إلا ضياؤك.. يا الله نوّر قلوبنا، يا الله وفِّر حظنا من النور، يا الله اجعلنا من أهل النور، نَوِّرنا يا نور، يا نور السماوات والأرض يا الله..

** ** **



٢١. وَلَكِنَّهُ نُوْرٌ مِنَ اللهِ وَارِدٌ
أَتَى ذِكْرُهُ فِيْ سُوْرَةِ النُّوْرِ فَاسْتَقِرِ

** ** **

(**نور من الله وارد**): إمدادٌ من حضرة الرحمن يباشرُك، وفيضٌ من المنان يهطل عليك، نورٌ من الله واردٌ أتى ذكرُه في سورة النور في قول ربك تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وهل كان شيء مِن السماوات والأرض ولا مما فيهما إلا به، هو الذي أظهرها و أظهر ما فيها، ولم تتبين ولم تتضح ولم تُرَ إلا به، فهو نور السماوات والأرض، فلولاه لا سماء ولا أرض، (**كان الله ولم يكن شيء غيره، كان الله ولم يكن شيء معه وهو الآن على ما عليه كان**) لا إله إلا الله وحده لا شريك له: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٥]

يهدي اللهُ لنوره من يشاء، اللهم بحق أسمائك وآياتك وكلماتك وعبدك المصطفى محمد اجعلنا ممن شئتَ أن تهديهم لنورك، اللهم اهدنا لنورك يا مَن تهدي لنورك من تشاء ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ فأين نلتمس هذا النور ونتحصل عليه ونطلبه يا رب؟! قال: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ﴾ [النور: ٣٦] في مثل هذه المواطن، في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها

بالغدو والآصال رجال، اجعلنا اللهم منهم ﴿رِجَالٌ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ٣٧ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [النور: ٣٧ – ٣٨] هذا فضل الله على المؤمنين والصادقين، والمتوجهين والذاكرين، الذين استغرق الذكرُ قلوبَهم وأفكارهم وألبابهم وعقولهم.

بكثرة الذكر يظهر سر ما في الغيوب

بكثرة الذكر، وبالدوام على الذكر، وبمصاحبة الذكر وبملازمة الذكر، يتطهر القلب عن الأكدار، ويصفى السر ليقبل الأسرار.. اللهم اعمر أجسادنا بأنوار طاعتك، واعمر قلوبنا بأنوار معرفتك، واعمر أرواحَنا بأنوار محبتك، واعمر سرائرنا بأنوار مشاهدتك. يا كريم يا الله، فهو الذي أوقفَنا على التوجه إليه، وهو الذي جمعنا متقرِّبين إليه، فنِعْمَ الله المشهود، والملك المعبود، الصمد المقصود، لا إله إلا هو، منه المبتدأ وإليه نعود.

وهكذا فقد أرشدنا الإمام الحداد إلى الاستمساك بتقوية اليقين والاتصال بحبل الله المتين الذي هو الكتاب العظيم، وأخذِ النصيب الموفر من العلم وملازمة الذكر، وما يستمسك أحد بهذه الخصال ويدوم منه الإقبال على الله مع صحة الحال إلا صَفَا بالُه وتنقى ضميره وطاب وروده موارد الفكر الأسنى، حيث يبشَّر المرءُ ويُهنَّأ بجود مِن الحق تبارك وتعالى يختص به مَن قَرَّبَ وأدنى ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١]

فلا يعمل على تقوية اليقين أحدٌ من الناس، ثم يأخذ نصيبَه من علم الشريعة للعمل به، ثم يلزم كتابَ الله متأدِّبا بأدبه، ثم يُكثِر الذكرَ لله سرّاً وجهراً



إلا وأُكرِم بالصفاء، ودخل دوائر أهل الاصطفاء، ونُقِّي ضميره فأشرقت عليه أنوار الفكر، والفكر الرفيع نتائج الاستجابة لأمر الله تبارك وتعالى، وذلك بصرفِ الفكر إلى طلب مرضاته جل جلاله وازدياد التعظيم له بتأمُّل آياته في الكون.

** ** **

٢٢. وَصَــــفِّ مِـــنَ الأَكْـــدَارِ سِرَّكَ إِنَّـــهُ
إِذَا مَـــا صَـــفَا أَوْلاكَ مَعْنَـــىً مِـــنَ الْفِكْـــرِ

** ** **

❖ **تهيئة الأسرار للفيض الرحماني:**

(وصفِّ) بصدق الوجهة وحسن العمل بما تقدم .

(صفِّ من الأكدار سرك) والأكدار جميع المحرمات والمكروهات والشبهات والغفلات وفضول الشهوات والمباحات، هذه هي الأكدار.. وتصفية السر منها: بعدم الحديث فيها، وعدم الفكر فيها، وعدم الرغبة فيها، وعدم الالتفات إليها، وعدم النظر إليها، وعدم الوقوف عند شيء منها.

(وصفِّ من الأكدار سرك) لا تفكر في شيء من هذه الأشياء ولا ترغب فيها ولا تمِل إليها، ولا تقف عندها، ولا تطلبها، فإذا فعلتَ ذلك فقد صفَا سرُّك من الكدر، وإذا صفا السرُّ من الكدر وهو باطن القلب. المعنى الشريف الذي آتاه الله الإنسان ويعبَّر عنه بالقلب وله خصوصيات، فمعنى من باطن القلب: قد يطلق عليه الروح، ومعنى من باطن الروح: يطلق عليه السر، فيُعمَر القلب

بالمعرفة، والروح بالمحبة، والسر بالمشاهدة، كما يُعمر الجسد بظواهر الطاعات وأنواع العبادات الحسّيات.

فإذا صفا السر عن إرادة غيرِ الله فلم يعد يفكر في معصية صغيرة ولا كبيرة، ولا في مكروه من المكروهات، ولا في غفلة من الغفلات عن الله تعالى، ولا في شبهة، ولا في فضول الشهوات والمباحات، إذا سلم من الالتفات إلى ذلك والفكر فيه فقد صفا، وإذا صفا تهيأ للفكر الأسمى، والفكر الأسمى: انكشاف عين البصيرة ليشاهِد بالسر حقائق ومعاني لا تشاهَد بالأبصار قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾[الحج: ٤٦]، وقال في الآية الأخرى: ﴿وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأعراف: ١٠٠] فكأنها لا تُصم الآذان لكن تصم القلوب التي في الصدور ﴿وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأعراف: ١٠٠] و كذلك قوله ﴿وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦] أي: تعمى الأبصار التي في القلوب، مشيرا إلى حقيقةٍ من السمع والبصر هي منفية عن من كفر وعن من اغتر.

قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]، مع أن السمع الظاهري والبصر الظاهري ربما كان قويّاً في أحدهم، وربما شاهد به هذه الحسيات من مسافة بعيدة، وربما سمع خفيَّ الأصوات بقوة السمع الذي عنده، لكن الله قال عنهم: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ

ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ [الحج: ٤٦] فهذا الإبصار والسمع المنفي عنهم هو مثبَت للمؤمنين وخواص المؤمنين، وللمقربين ممن صفَت أسرارُهم.

(وصفِّ من الأكدار سرك) باطنك و مجاري فكرك ولحظِ بصيرتك.

❖ المشاهدة بنور البصيرة:

وَصَـــفِّ مِــــنَ الأَكْـــدَارِ سِرَّكَ إِنَّـــهُ
إِذَا مَـــا صَـــفَا أَوْلاكَ مَعْنَـــىً مِــنَ الْفِكْـر

أي إذا تم صفاؤه، أولاك: أعطاك بحكم السنة الإلهية معنى من الفكر، وأولاك معنى من الفكرِ الشريف النزيه الغالي الرفيع الذي تكون به فيما أُمرت به من الإيمان بالغيب كالمشاهد بالعين، وإنما هو مشهود بتلك البصيرة ولتلك السريرة، فيصير كأنه مشاهدٌ بالعين.

وقد أراد سيدنا إبراهيم أن تخرق بصيرته البصر في أعلى مراتب حق اليقين قال تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِيۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًاۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٠] و في رتبة حق اليقين ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠] أي لينخرق نور البصيرة إلى البصر، فما أشاهده من سرِّ إحيائك الموتى ببصيرتي أشهده ببصري أيضا وبعيني، وذلك أنه كلما قويَ نور البصيرة خرق البصر الظاهري الحسي، ولذا تجد صاحبَ صفاء الروح والباطن يرى في يقظته ما يراه النائم في نومه، هذا في نومه وهذا في يقظته، فعند النوم تخف علاقة الروح بالجسد فيحصل لها نصيبِ من الصفاء فترى أشياء

ومناظر كثيرة ومشاهد متنوعة، ويكون في طيِّها أسفار وأطوار وتعاقب أزمنة وأعصار إلى غير ذلك، فإذا صفتِ الروح ونقتْ عن الشوائب صارت خفيفة، فما يراه الإنسان في نومه يراه وهو مستيقظ، تُعرض له المناظر مثل التي تعرض له في النوم، ويشاهد كثيراً من تلك المشاهد التي يشهدها غيره في المنام، وفيها قالوا:

كـمْ شَـخص تَنْظـره حـاضرا ... و روحـه في العـلا تجـول[1]

ومن العجب أنها إذا قويَت عند الإنسان ربما أبرزت صورة في الظاهر يشهدها الإنسان إذا قوي ذلك ورسخ فيه، بل إن من خصوصيات فكرِ الإنسان إذا تعلق بأمر ربما أبرز الفكر له بقوة تعلقه بذلك الأمر صورةً يشهدها مناسبة لما تشبث به من ذلك الفكر الذي غلب عليه، حتى إنه إذا لم يبقَ لأب مات عليه ابنه شغلٌ إلا ذلك الابن، يتصوره في نومه ويقظته حتى تجده يمشي أحيانا في الطريق فيتصور له ابنه فيقبِّله ويمسكه، وما هي إلا صورة أبرزها الفكرُ أمامه فصار يشهدها ويراها كما يرى الصور المصورة، هذا من قوة الفكر وتعلق الروح بالأمر، إذا علمت ذلك فإن الشؤون الأخرى فيما أُمِرنا بالإيمان به يكون حال الروح معها إذا صفت كذلك وكأنك تشاهدها بالعين، و إنما تشاهدها بنور البصيرة ويصير بهذا الفكر، يقول:

** ** **

١- من قصيدة حمينية للحبيب علي بن أحمد بن سالم بن أحمد بن الشيخ أبي بكر بن سالم مطلعها:

يــا سـيد الرسـل هـل قبـولْ ... لمـذنب أكثـر المطـولْ

٢٣. تَطُــوْفُ بِــهِ غَيْــبَ الْعَــوَالِمِ كُلِّهَــا
وَتَسْــرِيْ بِــهِ فِيْ ظُلْمَــةِ اللَّيْــلِ إِذْ يَسْــرِي

** ** **

(تطوف به غيب العوالم كلها) أي ما أُمِرت من الإيمان به والتصديق به من عالم الغيب ينجلي لهذه البصيرة فتطوف به بالمشاهد التي يشهدها القلب والفؤاد حتى كأنا نراها رأيَ عين، وربما حصل لذلك آثار حسية عند صفاء تلك الأرواح كما ترى قولَ سيدنا أبي بكر لسيدتنا عائشة: إني كنت وهبتك من مالي مكان كذا، ولقد مرضت الآن فصار المال مال وارث وأنتِ لم تستلميه بعد ، وجاءني مرض الموت ، وإنما هما أخواكِ وأختاكِ، قالت: أخواي وأختي أسماء، فمن الأخت الثانية!؟ قال: ذو بطن[1].

حملٌ في بطن فلانة فما أرى إلا أختك الثانية، فأدركت روح الصديق أن هذه حامل ببنت قبل الاكتشافات الحسية للأجنة في بطون الأمهات، كيف وهو من أقوى الأمّةِ يقينا وصفاءً وإخلاصا!! عليه رضوان الله تبارك وتعالى.

وبسر ذلك الصفاء في الروح سمع ساريةُ - وهو يقود جيش المسلمين ببلاد فارس - صوتَ عمر بن الخطاب وهو بالمدينة المنورة، وعمر يقول: يا سارية الجبل! يا سارية الجبل! في القصة المشهورة وهو يخطب بالناس الجمعة، فقال في أثناء خطبته: يا سارية الجبل! يا سارية الجبل! ثم عاد إلى خطبته، حتى لما نطق أولاً

١- أخرجه الإمام مالك في الموطأ من رواية أبي مصعب الزهري ـ كتاب النحل ، باب ما لا يجوز من النحل والعطية (برقم: ٢٩٣٩) والبيهقي في السنن الكبرى في كتاب البيوع ، باب شرط القبض في الهبة (برقم:١١٩٤٢).

يا سارية الجبل عَجِب كثيرٌ من الناس، وكان سيدنا علي حاضرا وكان يقول له بعض مَن حواليه: ما بال أمير المؤمنين! ما علاقة سارية بالخطبة ؟! وما هذا الجبل الذي يتكلم عنه؟! الخطبة فيها أوامر ونواهي ووعظ، وعمر يقول يا سارية الجبل، فضحك سيدنا علي وقال: سيرجع إلى خطبته.. اصبر، ثم عاد سيدنا عمر إلى خطبته وأكمل الخطبة.. ولما وفد الجيش قال سارية: كنا في يوم الجمعة في قتال العدو فدار جماعة منهم من خلفنا من أعلى الجبل وكادوا يخرجون علينا من ورائنا فيقتلوننا، فما شعرت إلا بصوت عمر يخرق مسامعنا يقول: يا سارية الجبل! فالْتَفَتُّ فرأيت العدو هناك فقابلناه فنصرنا الله عليهم[1].

و كان سيدنا عثمان بن عفان جالساً في المسجد، فدخل عليه رجل كان يمشي في الطريق فتأمل امرأة وهو في الطريق، فلما دخل التفت إليه سيدنا عثمان وقال: أيدخل أحدكم علينا وعلى عينيه أثر الزنا؟! تُب وإلا عزَّرتك، قالوا: ما هذا يا أمير المؤمنين أوحيٌ بعد رسول الله؟! قال: لا، ولكن فراسة صادقة[2]، سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (**اتَّقُوا فِرَاسَةَ المؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ الله**)[3].

١- أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ـ باب ما جاء في أخبار النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمحدثين كانوا في الأمم (٦/ ٣٧٠) وحسن إسناده الحافظ في الإصابة ، ترجمة سارية (٣/ ٥) ترجمة (برقم: ٣٠٤١) .

١- ذكره ابن فرحون في كتابه تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الحكام (٢/ ١٣٦)، والمحب الطبري في الرياض النضرة في مناقب العشرة (٣/ ٤١) والسبكي في طبقات الشافعية (٢/ ٣٢٧)

٢- أخرجه الترمذي في سننه عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه، باب ومن سورة الحجر، (٥/ ٢٩٨، برقم: ٣١٢٧)، وأبو نعيم في الحلية (١٠/ ٢٨١) .

وَصَــــفِّ مِــــنَ الأَكْــــدَارِ سِرَّكَ إِنَّـــهُ
إِذَا مَـــا صَــفَا أَوْلاكَ مَعْنَــىً مِــنَ الْفِكْــرِ
تَطُـــوْفُ بِـــهِ غَيْـــبَ الْعَـــوَالِمِ كُلِّهَـــا
وَتَسْـــرِيْ بِـــهِ فِيْ ظُلْمَـــةِ اللَّيْـــلِ إِذْ يَسْـــرِي

لكن أسنى وأعلى ما ينكشف لروحك، وتشاهده بصيرتك، وتشاهده بسرك آثار العظمة لله والجلال للمولى ، والكبرياء والعزة له، وآياته وصفاته سبحانه وتعالى، فهي أسنى ما ينكشف، وأعلى ما يهبه الله تعالى لعبده، وهي خير مِن أن تنكشف لك خواطر الخلق أو ينكشف لك شيء مِن شؤونهم أو أحوالهم فإن ذلك لا يزيدك ذلك شرفاً ولا رفعةً ولا زيادة يقين وإيمان، ولكن أسنى وأعلى ما ينكشف لك غيب الغيوب؛ صفات الله وأسماؤه وعظمة ذاته العلية جل جلاله وتعالى في علاه، عندها تصدق في أنك تعبد الله كأنك تراه جل جلاله.

قال: عجائب هذه الأمور التي ذكرتها شؤون عظيمة.. فكيف يكون الوصول إليها ؟؟.

❖ **الاستعانة بالصبر في نيل العطاء العظيم:**

٢٤. وَبِالْجِـــدِّ وَالصَّـــبْرِ الْجَمِيْـــلِ تَحُـــلُّ فِيْ
فَسِـيْحِ الْعُـلا فَاسْـتَوْصِ بِالْجِـدِّ وَالصَّـبْرِ

** ** **

عليك بالجد والصبر وستصل إلى كل ما أشرنا إليه وأومأنا إليه وإلى ما رغبناك فيه وذكرناه لك.

وَبِالْجِـــدِّ وَالصَّـــبْرِ الْجَمِيْـــلِ تَحُـــلَّ فِيْ
فَسِـيْحِ الْعُـلا فَاسْـتَوْصِ بِالْجِـدِّ وَالصَّـبْرِ

اجتهد مع الصبر و دَاوِم .. واصل تُواصَل .. تُكرم .. تُقرَّب .. تُدنى .. تُمنح .. يُفتح عليك .. يُنظر إليك .. تُوصل .. تُعطى .. تُوهب .. تُرفع .. تُجل .. تُكرم من فائض جود الله تبارك وتعالى ما لم يكن لك على بال.

وَبِالْجِـــدِّ وَالصَّـــبْرِ الْجَمِيْـــلِ تَحُـــلَّ فِيْ
فَسِـيْحِ الْعُـلا فَاسْـتَوْصِ بِالْجِـدِّ وَالصَّـبْرِ

﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩]

الجَد في الجِد، الجَد: أي الحظ والنصيب.

الجـــدُّ في الجـــدِّ والحِرمَـــانُ في الكَسَـــلِ
فانصـبْ تُصِـبْ عَـن قَريـبٍ غَايـةَ الأَمَـلِ[1]

وقال آخر:

١- وهي لصلاح الدين الصفدي (ت٧٦٤هـ)

وَمــن نصَــبٍ شُــقَّ النصــيب وقــدرُه
عــلى قــدرِه فانصــبْ تُصِــبْ كُــلَّ مُنيــة[1]

عتبة الغلام كان يقول: كابدت قيام الليل عشرين سنة ثم تنعَّمت به عشرين سنة، فأما الذي لم يكابد قيام الليل حتى عشرين ليلة ويقول: أين هذا العطاء ؟ أين هو؟ كابد واصبر وصابر واجتهد.

وَبِالْجِــــدِّ وَالصَّــــبْرِ الْجَمِيْــــلِ تَحُــــلَّ فِيْ
فَسِــيْحِ الْعُــلا فَاسْــتَوْصِ بِالْجِـدِّ وَالصَّــبْرِ

ولا تسأم ولا تيأس (**يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ، يَقُولُ: دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي**)[2]، هذه العجلة التي تمنع الإجابة والعياذ بالله تعالى.

واحمدِ اللهَ إذ وَفَّقك للرشد وهداك

وإذ قد أقامك مقام العبادة والعبودية له سبحانه وتعالى فقد أكرمك وقد أنعم عليك بالنعمة العظيمة، فاشكره ودُم على ذلك تأتك الخيرات من حيث تحتسب ومن حيث لا تحتسب ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١]

وَبِالْجِــــدِّ وَالصَّــــبْرِ الْجَمِيْــــلِ تَحُــــلَّ فِيْ
فَسِــيْحِ الْعُــلا فَاسْــتَوْصِ بِالْجِـدِّ وَالصَّــبْرِ

٢- أورده العلامة أحمد بن محمد القسطلاني في المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، دون عزو.

٣- أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، باب يستجاب للعبد ما لم يعجل، (٤/ ١٦١) برقم٦٣٤٠، وأخرجه مسلم كتاب الذكر باب بيان أنه يستجاب للداعي .. (١٤٦٣، برقم: ٢٧٣٥) .

أنواع الحركات والاجتهادات في الدنيا مُنِّيَ أصحابها وأغروا بشيء من المظاهر أو الزخارف أو الراحات الحقيرة القصيرة المحدودة، فحملتهم على أن يتعبوا، وحملتهم على أن يواصلوا الأعمال، وحملتهم على أن يتحملوا مشاقاً كثيرة، وأنت تُدعى إلى فسيح العلا ثم تَثْقُل عليك المجاهدة؟! وتثقل عليك المصابرة؟! وتثقل عليك المكابدة؟! .. الذين هم في حضيض السفل كابدوا واجتهدوا وما حصَّلوا إلا السفل حتى يموت أحدهم، وأنت تُدعى إلى فسيح العلا ثم تصعب عليك المكابدة والمجاهدة والمصابرة، وهذا خطاب العلي الأعلى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]

** ** **

٢٥. وَكُـــنْ شَـــاكِراً لله قَلْبـــاً وَقَالِبـــاً عَـــلَى فَضْـــلِهِ إِنَّ الْـــمَزِيْدَ مَـــعَ الشُّـــكْرِ

** ** **

❖ وجوب شكر المنعم على نعمه التي لا تحصى:

أرشدك إلى لزوم بابٍ إن لزمتَه أُدخِلت إلى حمى الاقتراب، أتدري ما هو؟ إنه باب الشكر

واشكرِ الله واطلب عند شكرِه مزيدَه ... سَله يُدخِلك في أهلِ الوجوه

أهل علم التقى أهل الصفات الحميدة ... قوم قاموا بحق أسرار ما في العتيدة

أي القرآن الكريم

وصفُهم وصف من يخشى من الله وعيده ... للـخمول ارتضوا يرونه أكـبر وجـيده

هـم عـيون الزمن أهـل العـهود الأكـيدة	كـم وكـم بـيننا مـنهم دراري فـريـدة
فـاتـبـعـهـم فـهـم في القوم بيت القصيدة	وارو في العـلم عـنهم كل قولة سـديدة[1]

(وكن شاكرا لله) نحن أصحاب الغفلات الطويلة والمعاصي الكثيرة والذنوب الخطيرة نجد أنفسنا في كل ما نحن فيه غارقين في نِعم جليلة، وعطايا جزيلة، ومنح كبيرة، ومنن وفيرة.

فكن شاكرا لله، قلبا وقالبا، وقد قالوا في الشكر: اعتراف القلب بالنعمة واتصاف البدن بالخدمة.

(كن شاكرا لله قلبا وقالبا) قلباً: بالاعتراف بنعم الله، واليقين أن كل ما بك وبسواك من الخلق فهو من الله.

اللهم ما أمسى بنا من نعمة يا رب أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر على ذلك

ولَكَم أنواع كثيرات متعددات طويلات من البلايا والرزايا والآفات يمكن أن تحلَّ كلُّها بك فَصَرَفَها عنك، لا بلية واحدة، ولا بليتين، ولا مشكلة، ولا مشكلتين، ولا آفة، ولا آفتين، ولا رزية، ولا رزيتين، ولا مصيبة، ولا مصيبتين، آلاف وآلاف الآلاف من المصائب يمكن أن يحلَّها بك فصرَفها عنك، وآتاك من النعم ما لو استخدمت آلات الحاسوب في الدنيا لتحسبها ما استطعت، ولو استعنت من وراء الإنس بالجن ومن وراء الإنس والجن بالملائكة ما أحصوها، ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [النحل: ١٨]، فكيف لا نشكر هذا الإله؟! كيف لا نستشعر نعمتَه علينا ومباسطتَه لنا؟! يُجْلِسَكَ مِن مجلس خير إلى مجلس خير، من موطن رحمة إلى موطن رحمة، من استمطار جود إلى

١- وهي قصيدة حمينية للإمام علي بن محمد الحبشي مطلعها:

ما انقطع فضل ربي ياعمر عن عبيدهْ	غير كلين غارق في عطيات سيدهْ

استمطار جود.. أنت بنفسك يجلسك هذا الإله بتوفيقه، بإفضاله، بإحسانه، بمنِّه، بتقريبه، بتيسيره، بتسخيره، بحسن تدبيره، بتوليه لك، وإلا ما استطعت أن تجلس في مجلس واحد من مجالس الخير، ولما قدرت أن تحضر محضراً واحداً من محاضر البر، ولكن هو رتّبها وهو هيّأها وهو دبَّرها وهو سهَّلها وهو يسرها وهو قوَّمها وهو أقامك فيها، ودفع عنك كل المعوقات التي يمكن أن تعوقك عنها، وكم عدد المعوقات؟ لا أقدر أعدّها، لكن هذه المعوقات، يمكن لأيّ واحد منها أن يعوقك، وصوارف كثيرة يمكن لأيّ واحد منها أن يصرفك، قطعها كلها عنك وجاء بك إلى مجالس الخير، ما أقامك هكذا محض صدفة.

هذا تدبيره، وهذا تقديره، وهذا ترتيبه، هذا قضاؤه وهذا تسييره، ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [يونس: ٢٢] هذه النعم كلها وهذه المباسطة منه سبحانه وتعالى لنا، نحن نستحق بسوء أدبنا معه أن يُنزَع الإيمان لكن ما نزعه منا، بل عرَّضنا للمزيد من فضله، ونستحق بسوء أدبنا معه أن يبعد عنا نعمة البصر.. ما أبعدها، ونعمة السمع.. ما أبعدها، أبقى علينا جميع النعم ولا أبعدنا عن دوائر الجود والكرم.

هذه معاملته لنا ..!! فانظروا أيها الإخوان والأحباب كيف نعامل مَن هذه معاملته، كيف نتعامل مع هذا الرحيم الكريم المحسن المنعم الجواد المتفضل؟

هكذا يدلِّلنا أعظم مِن تدليل الأم الرحيمة الحنون لطفلها، والأم تتحمل يوم يومين وثلاثة وأسبوع، وعشرة أيام وعشرين يوم، وإذا استمر بكاء الطفل تبرمت وجزعت وطلبت مَن يسعفها وقالت تعالوا خلصوني من تعب هذا الولد، لكن أنت سنوات وأنت في الجفاء له، وفي التطاول عليه، وهو ما قطع إفضاله عنك أبدا، ولا ملَّ من مواصلة إحسانه إليك، وما تلك إلا أم وهي مجرد سبب في الخلق، لكن هذا هو الخالق بنفسه، هو الذي خلقك مِن أصلك وكوَّنك جل جلاله وتعالى في علاه، فكيف ينبغي أن نتعامل مع هذا الإله؟

أيها الأحباب .. أيها الإخوان .. أيها الأصحاب .. أيها المريدون للقرب من الرب.. كيف نتعامل مع هذا الإله؟

(كن شاكرا لله قلبا وقالبا) مع ذلك كله قال لك تعترف بنعمتي وتقر بها وتوقن أنها مني وتخشى نزعها منك وسلبك إياها أنا أزيدك، لكن أنت قم بهذا فقط وأنا سأزيدك، تفكر في إفضالي عليك، وفي تعرُّضك لموجب إزالة النعم منك، اعترف بذلك وأنا سأزيدها، لا أقول لن أهبها فقط، لكن لا أقطعها ولا أنقصها، ولا مجرد أديمها، بل سأزيدها ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم: ٧] وكيف هذا الشكر؟ لا تعمل شيئاً غير أن تعترف بالواقع، وقد لا تستطيع أن تستوعب بالبصيرة حقيقة الواقع، لكن اعترف بشيء مِن الواقع في إفضاله عليك وفي إساءتك لنفسك في ما بينك وبينه، وفي تعرُّضك لزوال نعمِه وإنك لا تستحقها وهي دائمة بفضله، وعلّق قلبك ووِجهتك بالتشبُّث بذيل الاعتزاز المحمود بطاعته، أعِز نفسك بطاعته، هذا هو الشغل، إذا فعلتَ ذلك قال لك وأنا أزيدك، لا أقطعها ولا أنقصها ولا مجرد أديمها بل أزيدك فيها، هكذا يعامل الله عبادَه ولكنهم يجحدون، ولكنهم ينكرون، ولكنهم يتكبرون، ولكنهم يجترئون، ولكنهم يفترون، ولكنهم يغفلون، ولكنهم ينسون، ولكنهم يعرضون، ولكنهم يتولَّون، ولكنهم يخالفون.. ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٣] ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ [سبأ: ١٣]

(وكن شاكرا لله قلبا): فلا يرى منك القلبَ متبرِّما ولا جزعا، ولا مستصغرا نعمةَ الله التي أنعم بها عليك، ولا جاحداً لشيءٍ منها، ولا مُولِّيا معرضا عن هذا المنعم..

(وقالباً): فلا يرى قالبك قاصداً لمخالفة هذا المتفضل المنعم ولا لمعصيته ولا للتقصير في واجب أوجبه عليك.

وَكُــــنْ شَــــاكِراً لله قَلْبــــاً وَقَالِبــــاً
عَــلَى فَضْــلِهِ إِنَّ الْـــمَزِيْدَ مَــعَ الشُّــكْرِ

فضله المتكاثر المتزايد المستمر الدائم الممتنع الإحاطة به على أهل السماوات والأرض فلا أحد يحيط بفضله إلا هو.

(على فضله إن المزيد مع الشكر) ومن أُلهِم الشكر لم يُحرَم المزيد **(إن المزيد مع الشكر)**، ولهذا سمي الشكر قيد النعم:

إذا كنـــتَ في نِعمـــةٍ فارعَهــا ... فــإن المعــاصِي تُزِيــل الـــنِعَم

ودَاوِم عَليهــا بِشــكرِ الإلـــهِ ... فـــإنَّ الإلـــهَ سريــعُ الـــنِقَم[1]

قَيْدُ النعمةِ الشكرُ، إذا علمنا هذا وتوجَّهنا نريد شكرَه، وأخذنا نعترف له بالإفضال والإحسان، فنحمده ونشكره بألسنتنا وقلوبنا وبقوالبنا كلها، ونعترف بالإفضال والإنعام منه علينا.

وكنا نسمع في كلام العامة من أثرِ مجالستهم لأرباب القلوب والصفاء، كلما تخاطب واحداً منهم يقول: (له الحمد) (جزاه الحمد والشكر) (ما نقدر نحصي نعم الله علينا) (نحن في فضل الله).. عوامهم يصبحون ويمسون على هذا الشعور والذوق، سُقيت القلوب مِن ماء الشكر لمجالستهم أهل القلوب الشاكرة فكان هذا منتشراً بين العوام (له الحمد) (الحمد لله) رجالهم ونساؤهم، صغارهم و كبارهم، تجيء إلى المريض منهم المدنف التعبان وتسأله كيف حالك؟ يقول لك : لله الحمد - جزاه الحمد - ما زلت أحسن مِن غيري، ولا زلت في لطف الله، وهو لم ينمْ طول الليل، تأتي اليوم الثاني فتسمع منه نفس الكلام، لا أحد منهم يشكو

١- تنسب للإمام علي كرم الله وجهه (مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي).

ربه إلى العوّاد ـ أي الذين يعودونه ـ أبداً، بسبب المجالسات التي كانوا يجلسونها، ما كان في ذلك الوقت مسلسلات ولا مجالسات منحطة، فيا محول الأحوال حوِّل حالَنا والمسلمين إلى أحسن حال.

(وكن شاكرا لله قلبا وقالبا) ولذا تجدهم يجلسون السنين والبلل موجود في مجاري السيل إلى أن يأتي المطر الثاني، والآن يمر عليها الوقت وهي جافة في كثير مِن أوقات السنة، فكان المزيد واضحاً عليهم في حياتهم في مختلف شؤونهم وأحوالهم، وعندهم نعمة الرضا مع أن أكثرهم كان عيشهم قليل ويسير، ولكن معهم نعمة الرضا، هم يعيشون في جنة، فصرف عن قلوبهم أنواع الهموم والغموم وما عرفوها، عاشوا مسرورين بربهم مستعدين لمصيرهم وآخرتهم، ولكن حلَّت الهموم بأهل القصور وأهل المليارات الذين جاؤوا من بعدهم.

** ** **

٢٦. تَوَكَّـلْ عَـلَى مَـوْلاكَ وَارْضَ بِحُكْمِـهِ

وَكُـنْ مُخْلِصـاً للهِ فِي السِّـرِّ وَالْجُهْـرِ

** ** **

❖ حقيقة التوكل عند المؤمن:

(توكل على مولاك) قال الله لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل: ٩] هذه نعمة كبيرة، كم مِن أناس في قضاياهم وشؤونهم يبحثون لهم عن المحامي الماهر القوي الذي يفهم في القوانين ويعرفها ويقدر أن يتوصل لإخراج حقهم.

رب السماوات والأرض ذو العزة الكبير المتعال الذي على كل شيء قدير، يقول لك هل تريد مني أن أكون محاميا لك، سلِّم نفسك، تعال بأوراقك إلى عندي فأنا سأتولاك ﴿فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا﴾ ، قال : اجعلني وكيلك، وانظر كيف أتصرف، اجعلني وكيلك واصبر وسأخبئ لك من عجائب النعم والتيسير والنصر والزيادة ما يخطر على البال وما لا يخطر، كن عبداً صادقاً صابراً شاكراً .. وسترى كيف النتائج وكيف العواقب ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣].

(توكل على مولاكَ وارضَ بحكمه) حُكمه في الأقضية والأقدار، وحُكمه في الشريعة فيما شرع لك وفيما أمرك ونهاك، **(وارضَ بحكمه)** ؛ نفِّذ أوامره واجتنب نواهيه، وما قدّر عليك مما لا اختيار لك فيه ولا قدرة.

وكـن راضٍ بـما قـدَّرَ المـولى ودَبَّـر

ولا تسخطْ قَضا الله رَبِّ العرشِ الأكبر

وكُـنْ صَـابر وذَاكـر

تَكُـنْ فَـائِز و ظَـافِر

وَ مِـنْ أَهـلِ السَـرائر

رجـال الله مِـن كـلِّ ذي قلـبٍ مُنـوَّر

مُصَفَّى عَن جَمِيع الـدَّنَس طَيِّب مُطَهَّر[1]

١- وهي موشح ذائع الانتشار للإمام الحداد مطلعه:

ألا يـا صـاح يـا صـاح لا تجـزع وتضـجر

وسـلم للمقـادير كـي تحمـد وتـؤجر

(توكل على مولاك) كم أنت مغشوش فيما مضى من وقتك بالتوكل على عقلك، بالتوكل على علمك، بالتوكل على قدرتك، بالتوكل على أصحابك، بالتوكل على وظيفتك، بالتوكل على شهادتك، بالتوكل على مرجعيتك مِن الخلق والبشر.. ارتفع قليلاً، واعلم وارقَ وكن متوكلاً على ربِّ هؤلاء كلهم ومليكهم القاهر لهم (الله).

توكل على مولاك فلن يسعدك غيره، لا بمجرد عقولنا ولا علومنا ولا أعمالنا نسعد ولكن نسعد بإسعاد الله لنا، ولن يرفعك غيره ولن ينعَّمك غيره ولن يعافيك غيره، ولن يغفر لك غيره، ولن ينفعك غيره كائناً ما كان، فالرضا به أولى والتوكل عليه أجدى لك.

تَوَكَّلْ عَلَى مَوْلاكَ وَارْضَ بِحُكْمِهِ

وَكُنْ مُخْلِصاً للهِ فِي السِّرِّ وَالْجَهْرِ

❖ **إخلاص القصد وإفراد الوجهة لله:**

راجع نفسَك كلما الْتَفَتَتْ إلى غيره، قل لها هو خيرٌ لك فارجعي إلى الله، لا تقصدي سوى الله، لا تقفي مع الظواهر، لا تقفي مع الأحوال، لا تقفي مع الواردات.. اتكلي على الله واقصدي الله، وتوجهي إلى الله، واخلصي لله في السر والجهر، **(وكن مخلصا لله في السر والجهر)** و يُذكر في حديث قدسي: **(الإخلاص سرٌّ مِن أسراري لا يطلع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل أضعه في قلب مَن أشاء مِن عبادي)**[1] عسى الله أن يجعل قلوبنا مِن القلوب التي شاء أن يضع فيها سر الإخلاص لوجهه الكريم.

ابن الجوزي: قال شيخنا أدام الله أيامه: سألت أبا الفضل محمد بن ناصر عن الإخلاص ما هو؟ فقال: سألت أبا الغنائم محمد بن علي النرسي عن الإخلاص ما هو؟ فقال: سألت الشريف أبا

ولا تدري في ساعة إلا واستجاب لك وانقلبَ حالُك، وأشرق نورُ الإخلاص على بالك وقلبك، وصرتَ صاحب ذوق آخر وحالٍ آخر واستحليتَ سرَّ المعاملة مع الذي أخلصتَ له، فإنه يخلص لمن أخلص له.

تكون مُخلِصا فإذا بك مُخلَصا مِن عنده، هو يخلص فيما يختاره لك ويهيئ لك مِن الخير ويؤهلك له مِن المراتب والدرجات، ويصرف عنك من الأسواء، ويخلص لك فيما يخصك به من الأفضال والقرب والمزيد والدنو والمعرفة والعطاء الذي لا يُكيَّف، وما أعجب حال مَنْ رَبُّ العرش مخلصٌ له، فاخلِص لرب العرش تكن مُخلَصا.

(وكن مخلصا لله في السر و الجهر) قال **(ومَن أخلص لله أربعين يوما)** يراجع الواردات على قلبه ويصرفها بالإخلاص طول الأربعين اليوم، كلما ورد ما لا إخلاص فيه ردَّه ورفضه، جعل حرّاساً على أبواب القلب يرفضون ما لا

عبد الله العلوي عن الإخلاص ما هو؟ فقال: سألت أبا الفضل محمد بن جعفر الخزاعي عن الإخلاص ما هو؟ فقال: سألت أبا نصر محمد بن أحمد الحسيني الجرجاني عن الإخلاص ما هو؟ فقال: سألت أبا الحسن علي بن إسحاق المديني عن الإخلاص ما هو؟ فقال: سألت أبا بكر محمد بن عبد الباقي عن الإخلاص ما هو؟ فقال: سألت هناد بن إبراهيم عن الإخلاص ما هو؟ فقال: سألت أبا عبد الله الإسفرائيني عن الإخلاص ما هو؟ فقال: سألت أبا الحسين علي بن محمد الجمال الصوفي عن الإخلاص ما هو؟ فقال: سألت محمد بن جعفر الجصاص عن الإخلاص ما هو؟ فقال: سألت أحمد بن غسان عن الإخلاص ما هو؟ فقال: سألت أحمد بن عطاء الهروي عن الإخلاص ما هو؟ فقال: سألت عبد الواحد بن زيد عن الإخلاص ما هو؟ فقال: سألت الحسن عن الإخلاص ما هو؟ فقال: سألت حذيفة بن اليمان عن الإخلاص ما هو قال سألت النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الإخلاص ما هو سألت جبريل عن الإخلاص ما هو سألت رب العزة فقال الإخلاص سر من أسراري أودعته قلب من أحببت من عبادي. أخرجه ابن الجوزي في كتابه المسلسلات(١/ ١٢)، ومحمد بن ياسين الفاداني في كتاب العجالة في الأحاديث المسلسلة (١/ ٨٩، برقم: ١١).

يكون مخلِصاً كلما جاء يقول: لا لا هو خير لي، **(مَن أخلص لله أربعين يوماً تفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه) (من أخْلص لله أرْبَعِينَ يَوْمًا ظَهرت ينابيع الحِكْمَة من قلبه عَلَى لِسَانه)**[1] و إذا به ينطق بالحكمة لسر إخلاصِه مع الله تبارك وتعالى.

انظر آثار الإخلاص، هذه القصيدة ألَّفها قائلها قبل كم؟ والآن نستفيد منها وننتفع بها، ما هو سر الإخلاص الذي يُبقي هذا الأثر؟

في وقته هناك ملوك حكموا، مَن ينتفع بهم اليوم؟ في وقته أمراء وبعده بقرون إلى القرن الماضي وإلى الوقت القريب كان كثير في الدنيا ملوكاً ذهبوا ولم ينتفع أحد بشيء منهم، ولا شيء مِن آثارهم باقٍ، لكن هؤلاء الذين أخلصوا لله، كيف بقيت آثارهم؟ أي لجنة للدعاية والإعلان كانت معهم، أي فريق عمل لهذا يعمل، ما عندهم شيء مِن ذلك، بل بالعكس الحال الذي يباشره كثير منهم يوحي أنهم لن يُذكروا ولن تبقى لهم آثار، لأن الكثير منهم كان مائلاً إلى الخمول وإلى التواضع، كان الواحد منهم مقفلاً على نفسه في شؤون وجهته مع الله تبارك وتعالى، فكانت هي سبب الانتشار في الوجود وسبب الظهور في العالمين قال:

** ** **

١- أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف وأبو نعيم في الحلية (٥/ ١٨٩).

٢٧. قَنُوْعــاً بِـــمَا أعْطَـاكَ مُسْـــتَغْنِياً بِـــهِ لَـــهُ حَامِـــداً فِيْ حَـــالَيِ اليُسْـــرِ وَالعُسْـــرِ

** ** **

❖ **القناعة كنز لا يفنى:**

(قنوعا بما أعطاك ....)

إن القناعـــةَ كنـــزٌ لَـــيس بالفَـــاني ... فـــاغنمْ أُخَـــيّ هُـــدِيتَ عَيشَـــها الهـــاني[1]

(القنوع راحة والطمع جنون) والعوام عندنا كانوا يقولون: مَن قَنِع شَبِع، كم يحب ربك مِن عبده أن يكون راضياً قنوعاً بما أعطاه.

(مستغنيا به) بالله تعالى، مستغنيا به، لا بما أعطاك، بل مستغنيا به سبحانه وتعالى.

فاســـتغنِ بـــالله تَكُـــنْ ذا غِنـــى ... مُغتَبِطـــاً بالصَـــفقة الرَابِحـــة

اليـــأسُ - مِـن الخلـق - عِـــزٌ والتقـــى ســـؤدد ... وشـــهوةُ الـــنفسِ لَهـــا فَاضِـــحة[2]

فله الحمد على كل حال مُرٍّ وحال، ماضٍ وحالٍ، لا إله إلا هو الكبير المتعال، ومن أُلِهم الحمد كان من الحمّادين الذين يُظَلُّون بظل لواء الحمد ويكونون

١- وهي مطلع قصيدة للإمام الحداد.

١- من أبيات اشتهر إنشاد بشر الحارث لها ، وهناك من ينسبها للإمام الحداد. عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: : ((أول ما يدعى إلى الجنة: الذين يحمدون الله في السراء والضراء))هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، أخرجه الحاكم في المستدرك، باب كتاب الدعاء والتكبير، (١/ ٦٨٧، برقم: ١٩٠٣)، والطبراني في الصغير (١/ ١٠٣)، وفي الكبير (١٢/ ١٥، برقم: ١٢٣٤٥).

أول مَن يدخل الجنة **(أول زمرة من أمتي يدخلون الجنة الحمّادون)**[1] الذين يحمدون الله على كل شدة ورخاء، يحمدون الله على كل شأن، وعلى كل حال، وهو مستحق الحمد على كل حال جل جلاله وتعالى في علاه.

** ** **

٢٨. وَكُنْ بَـاذِلاً لِلْفَضْـلِ سَـمْحاً وَلا تَخَـفْ
مِـــنَ اللهِ إِقْتَـــاراً وَلا تَخْـــشَ مِـــنْ فَقْـــرِ

** ** **

(وكن باذلا للفضل) فقد بذل لك فضلَه، والفضل فضلُه والكرم كرمُه، وكل ما استطعتَ أن تنفع به غيرَك من عباده فإنه يحب ذلك منك لك لا له، فإنك لا تبلغ ضرَّه فتضره ولن تبلغ نفعه فتنفعه، لكن يحب ذلك منا لأجل أن يزيدنا، ولأجل أن يُعلي قدرنا، ولأجل أن يضاعف الهبات لنا، فما أعجب معاملة ربنا لنا! مع تصاممنا وتعامينا وتغافلنا وتنكُّب الكثير منا في الطريق. فيا رب نوِّر بصائرنا وأيقِظ قلوبَنا.

- **البذل للآخرين من صفات المؤمنين:**

وكن باذلا للفضل: فقد بذل لك فضلَه تعالى وجعلك في خير أمة وجعل لك هذا المسلك القويم، وجعل لك هذا التيسير والتسخير وحسن التدبير، فمهما قدرتَ أن تنفع أحداً من عباده بعلم أو بعمل أو بحال أو بمال أو بخدمة تقدمها فلا تبخل.

قال سيدنا محمد صاحب الرسالة في تلك المكارم وحسن الدلالة (**لا تحصي فيحصي الله عليك ولا توكي فيوكي الله عليكِ**)[1] ويقول: (**لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة**)[2].

(**وكن باذلا للفضل سمحاً**) كن باذلا للفضل فيزيد فضلُ الله عليك، فإنه سبحانه وتعالى يحب ما يصل على يدي خلقه لخلقه فيكرم الذي أوصل الخير على يديه ـ وكله منه ـ بزيادة مِن فضله، فلتغتنم الفرصة، كل نعمة أنعمَ بها عليك فنفعت بها عباده ضاعَف عليك النعمة في تلك النعمة وتهيأتَ لإتمامها، فهذا البصر إذا وصل إلى عباده منه نَفْعُ رَحْمَةٍ فنظرت إليهم بعين الرحمة والشفقة، و وصل منه دلالتهم على الخير، والمشي إلى زياراتهم، وقضاء بعض حاجاتهم، والأخذ بيد الأعمى منهم لتوصله، فإنَّ بصرَك هذا يتعرض لأن تتم نعمته عليك فيه فيزداد لك الخير به، ويمد لك بساط التوفيق، فكلما خدمت به عبادَه ونفعتهم به أمدك بتوفيق زيادة إلى ما هو أليق بهذا البصر، والبصر به أحق، فإذا بك في الخيرات أسبق فضلاً من الله، لأن من ثواب الحسنة أن توفَّق إلى حسنة أخرى، كما أن من شؤم السيئة أن تخذل بعدها إلى سيئة أخرى هذا مِن جزاء السيئة والعياذ بالله، إذا أراد أن يؤاخذك بها يوقعك في سيئة أخرى مقابل اجترائك عليه في السيئة الأولى من دون حياء ولا ندم ولا رجوع إليه، فيخذلك إلى سيئة أخرى

١- أخرجه البخاري في صحيحه عن سيدتنا أسماء رضي الله تعالى عنها، باب التحريض على الصدقة والشفاعة فيها، (١/ ٤٤٣، برقم: ١٤٣٣)، ومسلم كتاب الزكاة باب الحث في الإنفاق وكراهة الإحصاء (برقم: ١٠٢٩) .

٢- أخرجه البخاري في كتاب الهبة وفضلها والتحريض (برقم: ٢٥٦٦) ، ومسلم في كتاب الزكاة باب الحث على الصدقة ولو بقليل (برقم: ١٠٣٠).

لأنك أسأتَ الأدب معه، وإذا عملت الحسنة وسّع لك البساط لحسنة أخرى فلا تزال في مسابقة كريمة تدرك معنى الاستجابة لنداء العلي ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِۚ﴾ [البقرة: ١٤٨] ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١] ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣] وكذلك بالأُذُن، وكذلك باللسان وبقية الأعضاء، ومركز ذلك كله الأكبر هو القلب، فإذا سخرته لشكر الله تعالى والقيام بنفع عباد الله تعالى وبذل الفضل لخلق الله فانطوى قلبك على إرادة خدمة العباد ونفع العباد والإحسان إلى العباد، وتعليم العباد وإرشاد العباد وتكريم العباد، انطوى قلبك على ذلك كله من أجل رب العباد، فإن الله ينظر إلى هذا القلب فيتِم عليه النعمة ويوفقه إلى حسنات متواصلات حتى يُهيِّئَهُ لنور المعرفة به فينزلها في ساحته، وإذا نزل نورُ المعرفة بالله في ساحة قلب فلا تسَل عن حال صاحب ذلك القلب، ولا عمّا يجده ولا عما يواصله به ربه، ولا عما ينازله من حضرة جوده وكرمه، ولا عما يذوقه من حلاوةٍ تتصاغر عندها جميع لذائذ الدنيا من أولها إلى آخرها.

(وكن باذلا للفضل سمحاً) فقد قال نبيك صلى الله عليه وآله وسلم: **(رحم الله عبدا سمحا إذا باع، سمحا إذا اشترى، سمحا إذا قضى، سمحا إذا اقتضى..)**[1] لا يعرف التعسير على الناس ولا التشديد ولا العنف ولا القسوة،

١- عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: ((**رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى**)) أخرجه البخاري في صحيحه عن جابر بن عبدالله رضي الله تعالى عنه، باب السهولة والسماحة في.. ،(٢/ ٨١، برقم:٢٠٧٦)، وابن ماجه في كتاب

سمحا إذا باع، سمحا إذا اشترى، سمحا إذا قضى، سمحا إذا اقتضى، سمحا إذا وهب، فلا يبطل شيء مِن مواهبه وصدقاته بالمن ولا بالأذى ولا يشهد الحق له فيما يعطي، وقد كان بعض العارفين إذا وقف السائل ببابه قال: أهلا بمن جاء إليّ يحمل لي زادي إلى الآخرة بلا مقابل، يشهد الفضل لهذا السائل الذي سأل، ويقول هذا يحمل زادي إلى الآخرة، ولو لا قبوله الصدقة مني ما وجدت ثواب الصدقة في الآخرة، وهو يحملها و يقدمها إليّ هناك، فهذا يحمل أثقالي وأحمالي إلى الدار الآخرة من دون مقابل فجزاه الله خيرا.

انظر كيف يشهد المنة للذي يأخذ منه الصدقة وهكذا يجد العارفون المعلمون أن التلامذة أعاروهم ساحات قلوبهم ليبذروا فيها بذور التعليم ليثمر، ومن أعطاك أرضاً له ومكنَّك أن تبذر بذرك فيها وتستثمرها بلا شك تشهد الفضل له وتقول له جزاك الله خيرا، أعطيتني أرضك لكي استثمر فيها ما عندي.

وكذلك الحال بالنسبة لساحات القلوب فإنَّ المشايخ الصادقين يرون أن التلامذة أعاروهم ساحات قلوبهم ليبذروا فيها بذور العلم، وعرفوا أنهم وصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال سيدنا أبو سعيد الخدري لما جاءه يوما من يطلب العلم (**أهلا بوصية رسول الله، إن رسول الله قال: إن قوما يأتونكم من أقطار الأرض يتفقهون في الدين، فإذا أتوكم فاستوصوا بهم خيرا، فأنتم وصية رسول الله**)[1]

التجارات باب السماحة في البيع (برقم:٢٢٠٣)، وابن حبان كتاب البيوع ذكر ترحم الله.. (٧/ ٢٠٣، برقم:٤٨٨٣).

١- أخرجه الترمذي في سننه عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه، باب ما جاء في الإستيصاء بمن يطلب العلم،(٥/ ٣٠، برقم:٢٦٥٠)، وابن ماجه في المقدمة باب الوصاة بطلبة العلم (برقم: ٢٤٧-٢٤٩)، والحاكم في المستدرك كتاب العلم (١/ ٨٨).

كان للصحابة والتابعين في تلك التربية النبوية سموٌّ لا يعرفه غير أهل الملة وأهل الدين، مهما تطور الإنسان بفكره في مزاولة شؤون الحياة لا ينتهي إلى هذا المستوى في الوعي والإدراك والذوق، فهذا مفاتيحه نور الرحمة المتنزلة من حضرة الله على قلوب الأنبياء، ومن غير هذا المصدر لا نعرف هذا السمو في هذه المعاني الشريفة، التي حملها صاحب الدرجات المنيفة صلوات ربي وسلامه عليه فحملتها عنه القلوب النظيفة.

وَكُـــنْ بَـــاذِلاً لِلْفَضْـــلِ سَـــمْحاً وَلا تَخَـــفْ

مِـــنَ اللهِ إِقْتَـــاراً وَلا تَخْـــشَ مِـــنْ فَقْـــرِ

فلا تقل إن البذلَ سيذهب بمالي ولن أجد شيئا، فمهما بدت الحاجة لإنفاقه والخيرية في بذلِه فلا تخشَ مِن الله إقتاراً ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٢٨] ، ويقول الصادق المصدوق صلى الله عليه وآله وسلم (**ثلاث أحلف عليهن: ما نقص مالٌ من صدقة، وما ازداد عبدٌ بعفوٍ إلا عزا**)[١]، العز الحقيقي المحمود لأنه تذلل لله بسبب العفو، وقف موقف الذلة لله فأعطي لباس العزة المحمودة الصحيحة (**وما ازداد عبدٌ بعفو إلا عزا، ولا فتح أحد على نفسه باب مسألة للخلق إلا فتح الله عليه باب فقر**) نعوذ بالله من غضب الله.

١- عن سعيد الطائي أبي البختري، أنه قال: حدثني أبو كبشة الأنماري، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ((ثلاثة أقسم عليهن وأحدثكم حديثاً فاحفظوه)) قال: ((ما نقص مال من صدقة، ولا ظلم عبدٌ مظلمة فصبر عليها إلا زاده الله عزاً، ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر أو كلمة نحوها..)) أخرجه الترمذي في سننه عن أبي كبشة الأنماري رضي الله تعالى عنه، باب ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة نفر، (٤/ ٥٦٢، برقم: ٢٣٢٥)، وأحمد في مسنده مسند أبي كبشة الأنماري (٢٩/ ٥٦١-٥٦٢، برقم:١٨٠٣١).

(ولا تخف مِن الله إقتارا ولا تخش من فقر)، ولما قال بعضهم لرسول الله وقد استدان ليتصدق على محتاج : ما كلفك الله بهذا يا رسول الله! فلم تعجبه المقالة فظهر أثر الغضب في وجهه، فقال بلال: يا رسول الله انفق ولا تخش من ذي العرش إقلالا، فسُرَّ وجهه[1] ، انفق ولا تخش من ذي العرش إقلالا، أي لا تخش مِن الرحمن أن يقلل عليك أو يقتر عليك، فسُر وجهه بهذه المقالة.

وفي السَــخَاء كَأَنَّــهُ البَحْـرُ زَخَـر　　　يُعطِـي مَئِينـاً وَأُلُوفَـا مَـن حَضَـر

وَمَـا اصـطَفَى لِنَفسِـهِ وَلا ادَّخَـر　　　إلا يَسِـيراً وَهـوَ ذُو العِيَـالِ[2]

صلوات ربي وسلامه عليه.

❖ ميزان شرعي في البذل:

وَكُـنْ بَـاذِلاً لِلْفَضْـلِ سَـمْحاً وَلا تَخَـفْ

مِـنَ الله إِقْتَـاراً وَلا تَخْـشَ مِـنْ فَقْـرِ

لكن عليك أن تقدم الإنفاق فيما يُتوجه عليك ويكون إما واجبا أو مندوبا، ثم عليك بالتوسط فيما يتعلق بالإنفاق على نفسك وخاصتك فلا تتجاوز حدَّك وتريد أن تتكلف في شؤونك الخاصة، فلا تتجاوز حد التوسط، تريد أن تسابق بذلك المترفين والمنبسطين في شؤون دنياهم، فما هم لك بقدوة، ومالك فيهم

١- رواه الترمذي في الشمائل (برقم: ٣٣٨)، والبزار في مسنده (برقم: ٢٧٣)، والضياء في المختار (برقم:٨٨).

٢- وهي من منظومة (رشفات أهل الكمال ونسمات أهل الوصال) للإمام عبدالرحمن بن عبدالله بلفقيه التي مطلعها:

إخوانــا بالمســجد الحــرام　　　منــا إلــيكم أكمــل الســلام



أسوة، ولا هم محل نظر ربك، فقد جعل الله قدوتك أنبياءَ ورسلاً وصديقين وصالحين فانظر كيف تكون حالاتهم ؟ فهم القدوة وهم الأسوة وهم المرجع.

فكن على قدم التوسط في ذلك، وانظر إلى ما يتوجه إليك مِن شؤون الإنفاق، فما توجه إليك وجوبا أو ندبا قدِّمه ثم لا تخش إقتارا ولا تخش فقراً، فإن نبينا الأرحم بنا من أنفسنا وآبائنا وأمهاتنا لم يخش الفقر علينا (**فَوَاللهِ مَا الفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ**)[1].

❖ من أسباب مشكلات الأمة التنافس على الدنيا:

فهل الأسباب القوية القائمة للفتنة الحاصلة في العراق مثلاً أو أفغانستان أو الصومال هي بسبب الفقر؟ لا .. ليس الفقر هو السبب! توجد دول أفقر منها بكثير ولا توجد فيها مشكلة، بل ربما عاش الناس فيها عيشة كريمة طيبة، لكن سر التنافس على الدنيا هو الذي أوقعنا في هذا، كلما أُغْرِيَتْ منا طائفة بالأخرى قَبِلت، وكلما أُغْرِيَتْ جماعة بالوصول إلى سلطة أو إدرار أموال أقبلت على ذلك ونازعت غيرها، فتناحروا وتطاحنوا فكان ذلك هو سبب البلايا وسبب هذه الفتن الحاصلة في الأمة، (**ولكن أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها**) على ذلك المسلك المعوج، على اعوجاج القدم في التنافس، فتهلككم كما أهلكتهم، صلى الله وسلم على الناصح.

ولا يزال في هذه الظروف المتعبة للأمة، أرباب الصدق مع الله والتصبر والتجلُّد يمدون من عجائب الألطاف والملاطفة بما يكفي ويشفي ويكون حالهم

١- أخرجه البخاري في صحيحه عن عمرو بن عوف رضي الله تعالى عنه، (٣/ ٩٤، برقم: ٤٠١٥)، وأخرجه مسلم كتاب الزهد والرقائق (٢٩٦١).

في عناية من عنايات الله تبارك وتعالى، حتى عندما يخرج الدجال الخبيث في أكبر فتنة.

قال أعرابي يا رسول الله (**أرأيتَ إن أظهرتُ الإيمان فآمنت به فأكلت من خبزه حتى شبعت ثم كفرت به، فتبسم النبي ثم قال: لا، بل يغنيك الله بما يغني به عباده المؤمنين**)[1] فله ألطاف حتى في مثل هذه الظروف الصعبة، هو يلاطف المؤمنين، فاصدق معهم واصبر، وستجد لطفه، وسيغنيك بما أغناهم به، ولا تَبع دينك ولا نفسك، ولا تقل في مثل تلك الظروف سأظهر الكفر وآكل وبعد ذلك سأرجع إلى الإيمان، ما فتح هذا الباب، وهذا النمط من التفكير أقفله صلى الله عليه وآله وسلم، لا تفكروا مثل هذا التفكير، فكروا في قيومية المحيط بكم واتصلوا بها وهو سيجعل لكم الفرج والمخرج بميزان الشريعة الذي جاءكم به من دون أن تضيعوا شيئا منه.

وَكُـنْ بَـاذِلاً لِلْفَضْـلِ سَـمْحاً وَلا تَخَـفْ
مِـنَ اللهِ إِقْتَـاراً وَلا تَخْـشَ مِـنْ فَقْـرِ

❖ **منهج الكافر في التخويف بالفقر:**

واليوم وجدنا فئاتٍ من الكفر يخوِّفوننا من الفقر، وفئات منا معشر المسلمين خانهم التأمل والنظر في النصوص، يخوفوننا من الشرك وقد رأينا صاحب الرسالة ينص على أنه لا يخاف علينا من التخويف الذي يظهره البعض من وقوع الأمة في الشرك، ولا يخاف علينا مما يصرح به أهل الكفر اليوم مِن

١- أورده الإمام الغزالي في إحياء علوم الدين.

التخويف بالفقر مما يسوقون الناس بسببه إلى الاستعباد، قال عليه الصلاة والسلام كما جاء في الصحيحين: (**فو الله ما الفقر أخشى عليكم**) وفي صحيح البخاري - (**وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي**)[1] صادق أو ليس بصادق؟ اللهم صلِّ عليه وعلى آله، يقول الكلمة عن عِلم وعن نبوة ﴿ **وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ** ﴾ [النجم: ٣] ويقول: (**إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ**)[2] فمن ماذا تخاف علينا يا رسول الله؟! (**أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتهلككم كما أهلكتهم**) ويقول: (**أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الْأَئِمَّةُ الْمُضِلُّونَ**)[3] وروى عمر بن الخطاب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**إن أخوفَ ما أخاف على أمتي كلُّ منافق عليم اللسان**)[4] هذه هي المشاكل التي تصيب الأمة، وهذا هو محل الخوف، فتركْنا ما خافه علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، خاف علينا انحراف قلوبنا عن أدبها مع الله، خاف علينا تنافسنا السيئ على هذه الدنايا، وجئنا إلى ما لم يخف علينا منه واتهمنا الأمة به فساءت الظنون. والكفار اليوم يخوِّفون الناسَ من الفقر، والعجيب أن أكثرنا خوفاً من الفقر أكثرنا مالاً، أكثر المسلمين أموالاً هم

١- كتاب الجنائز ، باب الصلاة على الشهيد برقم (١٣٤٤) .

٢- أخرجه مسلم في صحيحه عن جابر رضي الله تعالى عنه، باب تحريش الشيطان..، (١٥١١/ ٦٥-٢٨١٢) .

١- أخرجه أحمد في مسنده عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه، (٤٥/ ٤٧٨، برقم: ٢٧٤٨٥)، والدارمي في المقدمة باب في كراهية أخذ الرأي (برقم:٢١٦) .

٢- عن عمر بن الخطاب، أن سول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((إن أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان))، أخرجه أحمد في مسنده عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، باب مسند عمر بن الخطاب رضي الله عنه، (١/ ٢٨٩، برقم: ١٤٣)

الذين ترى التخويف بالفقر يهزهم بسرعة ويقلقهم كثيراً، وربما من أفقر الأمة أقوام يعيشون أحسن وأكثر طمأنينة من أولئك في هذه الحياة، هذا الذي قال النبي إني لا أخشى عليكم منه، فلن ينقطع رزق أحد، ولن تنقص حبة على أحدٍ قد كُتِبَتْ له، وسَيُسَخِّرُ الله لكم العالم بحسب ما تصدقون معه، لكن هناك مشكلة أخرى غير مشكلة فقر المال، المشكلة هي فقر الدِّين، فقر العلم والصدق مع الله تبارك وتعالى، هذه هي المشاكل الكبيرة التي تصيب الأمة، خلَّص اللهم الأمة من آفاتها وأضرارها .

وَكُــنْ بَــاذِلاً لِلْفَضْــلِ سَــمْحاً وَلا تَخَــفْ

مِــنَ الله إِقْتَــاراً وَلا تَخْــشَ مِــنْ فَقْــرِ

جاء أحد الصحابة إلى النبي وهو خارج إلى غزوة خيبر وما عنده شيء في بيته، وترك أهله بلا نفقه، فأعطاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما كان معه، فباعه بثمانية دراهم، درهمين تركها نفقه لأهله، ودرهمين اشترى بها ثوبا له، والأربعة الدراهم الأخرى قضى بها دينه، فوجده النبي في الغزوة فسأله وقد رأى عليه الثوبين، ما صنعت بما أعطيتك؟ فذكر له ما فعل بها، فقال له عليه الصلاة والسلام: (**لئن طال بكم زمن وعشتم ليدخلن عليكم كثير، ولتتركون لبيوتكم كثيرا، ولتأكلون كثيرا، ولتصيبُن كثيرا ، وما ذاك أحسن لكم من حالكم اليوم معي، وما هو بخير لكم**)[1] ومضت الأيام وجلس يتذكر كلام النبي ويقول:

١- جاء أبو عبس بن جبر فقال يا رسول الله : ما عندنا نفقة ولا زاد ولا ثوب أخرج فيه ، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شقيقة سنبلانية ، فباعها بثمانية دراهم ، فابتاع تمراً بدرهمين لزاده، وترك لأهله نفقة درهمين، وابتاع بردة بأربعة دراهم، فبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في طريق خيبر في ليلة مقمرة إذ أبصر برجل يسير أمامه عليه شيء يبرق في القمر كأنه في

صدق رسول الله، فيما مضى من الزمن لم يكن معي شيء، واليوم عندي كذا، وأملِك كذا ، لكن كان ذلك اليوم خيراً لي مِن هذا اليوم).

وهكذا مر الصحابة وقد ذكروا بعض جوعهم فقال: **(كيف بكم إذا جاءكم زمن يُغدى على أحدكم فيه بصحفة ويراح عليه بأخرى)** صحفة في الصباح وصحفة في المساء، أي: وجبتين في اليوم، والصحابة يتعجبون من ذلك، **(قال أنتم يومئذٍ خير أم اليوم خير؟ قالوا: لا نحن يومئذ خير،)** نتفرغ للعبادة، **قال: (أنتم اليوم خير منكم يومئذ)**[1].

** ** **

الشمس، وعليه بيضة، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : **((أدركوه))**، قال فأدركوني فحبسوني وأخذني ما تقدم وما تأخر، وظننت أنه قد نزل فيّ أمر من السماء، فجعلت أتذكر ما فعلت، حتى لحقني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : **((ما لك تقدم الناس لا تسير معهم ؟))** قلت يا رسول الله إن ناقتي نجيبة . قال **((فأين الشقيقة التي كسوتك؟))** فقال بعتها بثمانية دراهم، فتزودت بدرهمين تمراً، وتركت لأهلي نفقة درهمين، واشتريت بردة بأربعة دراهم، فضحك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم قال **((أنت= =والله يا أبا عبس وأصحابك من الفقراء، والذي نفسي بيده لئن سلمتم وعشتم قليلاً ليكثرن زادكم وليكثرن ما تتركون لأهليكم وعبيدكم وما ذاك بخير لكم))** . قال أبو عبس فكان والله ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . مغازي الواقدي (٢/ ٦٣٦) وسبل الهدى والرشاد (٥/ ١١٧) .

١- أخرجه البيهقي في الشعب عن جابر بن عبدالله رضي الله تعالى عنه، باب الزهد وقصر الأمل، (١٢/ ٥٣٧، برقم: ٩٨٥١)، وأبو يعلى في مسنده مسند جابر (٤/ ٣٨ ، برقم:٢٠٤٣).

٢٩. وَإِيَّـــاكَ وَالـــدُّنْيَا فَـــإِنَّ حَلاْلَهَـــا

حِسَـــابٌ وَفِيْ مَحْظُوْرِهَـــا الْـــهَتْكُ لِلسَّـــتْرِ

** ** **

❖ التحذير من التعلق بالدنيا والاغترار بها:

(**وإياك والدنيا**) وهي كل ما ألهاك عن الله أو أشغلك عن طاعته، فإن حلالَها حساب وهو موقع لك في الغفلة، وفي محظورها الهتك للستر بإيجاب العقاب والعياذ بالله تبارك وتعالى..

(**وإياك والدنيا**): أي ما أشغلك عن الله تعالى من كل ما لا تحتاج إليه ولا تضطر إليه من شؤون هذه الحياة فإن حلالها حساب، والتشوف إليه والتوسع فيه يوقعك في الغفلة ويوجب لك الحساب.

وفي محظورها أي المحرم منها الهتك للستر، كل هذا يوقف الأمة على طريق التوسط والاعتدال حتى لا يزيغوا عن سواء السبيل، ويتوجه الخطاب لمن تيسرت له الأسباب فوُسِّعَ له في الرزق أن يتقي الله فيما يأخذ وفيما يدع، وأن يحسن صرفه في مواطن الخير.

ولما كان أهل القلوب العارفة النويرة التي تستعمل الأشياء في محلها، كان أحدهم يشتغل في السوق ويكتسب له عن بصيرة في كيفية الدخل وفيما يخرجه ويرتبه، ثم إنه خطر على باله أن يترك هذا العمل ويتفرغ أكثر لأنواع أخرى من العبادة، فرآه بعض سادة التابعين فقال له: يا فلان ما الذي جرى لك؟ أما كنت في السوق؟ قال: لقد تركتُ العملَ في السوق، قال: لا تتركه فمثلك يصلح للعمل في السوق، فأنت رجل صالح صاحب أمانة، وصاحب تقوى، وحسن

معاملة، وما تكتسبه تنفقه في محله، فمثلك يصلح للسوق، فلا تغشك ولا تغرك ولا تُلْفِتْ قلبك إلى غير ربك، ولا تُلهيك عن عباداتك وسننك ومندوباتك وتحسن بها إلى محتاجين.

فصارت للأمور موازين، وكما ذكر الإمام الغزالي أنه من دخل إلى البحار أو خاطر في البريات وعنده السباع والوحوش، إن كان ذا حكمة وقدرة على السباحة حتى يصل إلى الجواهر من دون أن تلتقمه الأحوات ومن غير أن يغرق في الماء، فأنعم بالجواهر له. ومن كان لا يصل إلى الجوهرة إلا وقد قطَّعته السباع وأصابه الغرق وأهلك نفسه، فقل له لا تقترب مِن الجواهر، بل ابعد عنها واترك المجال لغيرك ممن يحسن المهارة والسباحة لكي يغوص في البحر فيلتقطها، قال: وكذلك بحر هذا المال والجاه في هذه الدنيا إن كان يقدر ويعرف يأخذ مِن الحية دواءها والحمية التي فيها، ويتوقى السم فليتعامل مع الحية، ولكن من جاء ويريد أن يخرج سمها ويأخذ الترياق منها، وربما لدغته وقتلته، فهذا يُنصح بأن لا يقترب من الحية أصلا حتى لا يتعرض لهذا الضـرر. فالله يصلح أحوالنا وأحوال المسلمين ويرزقنا حسن النظر فيما يرضيه عنا .

** ** **

٣٠. وَلَا تَــكُ عَيَّابــاً وَلا تَــكُ حَاسِــداً
وَلَاْ تَــكُ ذَا غِــشٍّ وَلا تَــكُ ذَا غَــدْرِ

** ** **

❖ ميزان تربوي لشهود المحاسن في الغير والاشتغال بعيوب النفس:

(ولا تكُ عيّابا) فإن الصانع سبحانه وتعالى لم يأذن لك بشهود العيب في شيء مِن صنعته إلا شؤون نفسك فيما تسيء مِن المعاملة فيما بينك وبينه، أَذِنَ لك أن تفتش على العيوب هنا، وتعتقد العيوب فيك، لتكون أنت مظهراً من مظاهر الجمال في المشهد وفي واقع الحال، ثم لم يأذن لك الصانع أن تشهد في صنعته عيباً ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك: ٣-٤]

وهذه العيوب التي تكتشفها من نفسك جعل لك سبيلا وطريقا حينما تكتشفها من نفسك، وجعل لك سبيلاً آخر حينما تتصورها وتظنها أو تشهدها في غيرك ، فقال لك إن رأيتها في نفسك ومِن نفسك فإني أوجبتُ عليك أن تحرص على تنزيهها، وأن تحسن معاتبتها، وأن تقوم بمجازاتها ومعاقبتها بما تستطيع، وأن تلومها على ذلك، وأن تسرع في الخلاص منها، فإذا رأيتها في غيرك فإني لا أجيز لك أن تصدِّق الوهم، ولا أن تطلق اللوم على الغير، ولكن أن تنصحه وأن تظن به الخير، وأن تتأدب مع ما طواه عنك مِن خاتمته وعاقبة أمره، وأن لا تلوك لسانك بذكرك تلك المعايب، فلك إذا انكشف العيب منك مسلك، ولك عند معايب الآخرين مسلك آخر شرعه لك، والغافلون عن الله يعكسون ويخالفون أمره، ويقولون ما شرعته للغير نجعله لأنفسنا وما شرعته لأنفسنا نجعله للغير،



فهم بذلك يناهضون منهج مولاهم جل جلاله وتعالى في علاه، فهم أبعد الناس عن العبودية، ضاعوا واستحقوا لأن تسخط عليهم حضرة الربوبية نعوذ بالله من ذلك.

وشِـــاهِدُ إِفــلاس الفَتـــى جَهْـــلُ عَيْبِـــهِ

وَذِكــــرُ عُيــــوب العَـــالَمِين مِـــن العَقـــلِ[1]

تعبَّدَنا بأن نتذكر عيوبَنا للتخلص منها، ولتقرير أنفسنا بها للاعتراف وللتعرف عليها، لننال التطهير، وعيوب الغير قال لك استر واكتم ولا تتكلم، وإن عرفت أن تنصح وأنت منطوٍ على شهود الخير، ومتذكر الخاتمة، ولا تذكر ذلك العيب لأحد فافْعَلْ.

(ولا تكُ عيابا) وحسبك أن نبيَّك صلى الله عليه وآله وسلم تعامل مع الكائنات كلها هذا التعامل الحسن، حتى إنه لم يعِب طعاما قط ولا عاب مسكناً، ولا عاب ملبساً، ولا عاب مركباً، ولا عاب شيئاً مِن هذه الكائنات إلا ما حرَّمه الله وحذّر منه وعابه على عباده سبحانه وتعالى، فينهى عن ذلك كما نهى الله، وإلا متى رأيته سبَّ دابة؟ متى رأيته تكلم على بيتٍ؟ متى رأيته يسب لباساً من غير ما حرم الله سبحانه من اللباس؟ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، ومتى رأيته يسب إنساناً؟ ومتى رأيته يعيب طعاماً؟.

١- وهي للإمام الحداد من قصيدة مطلعها:

أقـــوم بفـــرض العامريـــة والنفـــل   وأصـــدقها في القصـــد والقـــول والفعـــل

(ولا تكُ عيابا) فأبعدُ الناس عن تعييب الناس أقربهم من المطهر عن الذنوب والأدران صلى الله عليه وآله و سلم، وأبعدهم عنه أكثرهم ذكراً لعيوب الناس، وصاحب الذكر والنشر لعيوب الناس يلحقه سوء معايبهم كلها وتلحقه آثارها، مثل أن الذاكر في محاسن الناس يناله من سنا تلك المحاسن نصيب.

❖ ثناء الله على أنبيائه والصالحين من عباده:

ولذا وجدتَ الكتابَ العزيز يتولى الحقُّ فيه الثناءَ على المقربين من النبيين والصديقين والصالحين والأكابر في الأمم السابقة، ويقول لسيد الأنبياء: واذكر في الكتاب مريم هذه المرأة الصالحة الولية التقية البرة، ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٦ – ١٧] قال: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا﴾ [مريم: ٤١ – ٤٢] ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥١ ، ٥٢] ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: ٥٤] ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: ٥٦] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: ٥٨] وهكذا. ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى

﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴾ [الكهف: ٩ – ١٤].

وانظر إلى هذا الثناء العجيب ﴿ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴾ [ص: ٤٧] ﴿ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴾ [مريم: ٥٥] ﴿ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ [مريم: ٥٦ – ٥٧] يقول: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ [ص: ٤٤]

❖ ميزان شرعي في المدح والثناء:

فشرع الله لنا الثناء على المقربين والصديقين والصالحين، وكذلك رأيناه صلى الله عليه وآله وسلم مع ما حذر مِن الثناء الذي قد يضر المثني عليه، ممن كان ضعيف الهمة، فرح بِنَشْرِ الثناء على من يستحق الثناء، ومَدْحِ من لا يطغيه ولا يلهيه ولا يغريه المدح، وهو بنفسه صلى الله عليه وآله وسلم مدح بعض أصحابه، ومدح بعض الجماعات وقال عنهم : (هم مني وأنا منهم)[١] وقال: **(مَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ)**[٢] وقال: **(آيَةُ الإِيمَانِ حُبُّ الأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الأَنْصَارِ)**[٣] وقال الله: ﴿ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ

١- أخرجه البخاري في كتاب الشركة باب في الطعام والنهد والعروض (برقم:٢٤٨٦) ، ومسلم في كتاب الفضائل باب من فضائل الأشعريين (برقم: ٢٥٠٠)

٢- أخرجه الترمذي في سننه عن عبدالله بن مغفل رضي الله تعالى عنه، باب فيمن سب أصحاب النبي صلى الله عليه وصحبه وسلم، (٥/ ٦٩٦، برقم: ٣٨٦٢)، وابن حبان في صحيحه باب فضل الصحابة والتابعين رضي الله عنهم (برقم: ٧٢١٢).

٣- أخرجه البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه، باب علامة الإيمان حب الأنصار، (١/ ٢٢، برقم: ١٧)، وأخرجه مسلم كتاب الايمان باب الدليل على من حب الأنصار وعلي رضي الله عنهم من الايمان (برقم: ٧٤) .

﴿فِي ٱلْقُرْبَىٰۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [الشورى: ٢٣] وقال: **(عَلَيْكم بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ)**[١] وقال: **(خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم)**[٢] وقال: **(لا يدخل أحد النار بايع تحت الشجرة)**[٣] عليهم رضوان الله تبارك وتعالى وقال: **(أنتم خير أهل الأرض)**[٤] وقال: **(وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر)**[٥] .. وهكذا جاء ثناؤه عليه الصلاة والسلام، ثم تلاحق ثناؤه بالأوصاف على أخيارٍ في أمته يكونون في زمنه وبعد زمنه إلى آخر الزمان، يكون كذا ويكون كذا، فمدح من يستحق المدح صلى الله عليه وآله وسلم.

(ولا تك عيابا) خلِّص نفسك من التعلق بعيوب الآخرين، فإن هذا من أعظم عيوبك أنت، ولكن مِن مناقبك أن تتعلق بعيوب نفسك وتفتشها لتتعرف عليها ولتقلعها ولتتطهر منها، هذه منقبة من المناقب

٤- أخرجه الترمذي في سننه عن العرباض بن سارية، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، (٥/ ٤٤، برقم: ٢٦٧٦)، وأبو داود كتاب السنة باب لزوم السنة (برقم: ٤٦٠٧) .

١- أخرجه البخاري كتاب الشهادات باب لا يشهد على شهادة جور إذا شهد (برقم: ٢٦٥١)، ومسلم كتاب فضائل الصحابة باب بيان أن بقاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمان لأصحابه وبقاء أصحابه أمان للأمة (برقم: ٢٥٣٥) .

٢- أخرجه مسلم كتاب فضائل أصحاب الشجرة فإن من فضائل أصحاب الشجرة (برقم: ٢٤٩٦) بلفظ: (لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها ..) .

٣- أخرجه البخاري في صحيحه عن جابر بن عبدالله رضي الله تعالى عنه، باب غزوة الحديبية وقول الله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]، (٣/ ١٢٨، برقم: ٤١٥٤)، ومسلم كتاب الامارة باب استحباب مبايعة الامام الجيش عند إرادة القتال (١٠٣٣) برقم١٨٥٦ .

٤- أخرجه البخاري في صحيحه عن سيدنا علي الجهاد واليسر باب الجاسوس (برقم: ٣٠٠٧)، ومسلم كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أهل بدر وقصة حاطب بن أبي بلتعة (برقم: ٢٤٩٤) .

❖ آفة الحسد وشرها على صاحبها:

(**ولا تك عيابا ولا تك حاسدا**) مستثقلاً نعمةً من نعمِ الله على أحد من خلق الله، وتذكر أن الله لا ينعم بنعمة ظاهرة وباطنة على أحد إلا وهو مريد لذلك، فاحذر أن تقاوم إرادة الله، ولا مُكرِه له في عطائه، فما أعطى أحداً شيئاً من النعم إلا وهو يريد ذلك، فإذا هو أراد فكيف تعترض عليه؟ ولذا قال قائلهم[1]:

ألا قــلْ لمــنْ بــاتَ لي حَاسِــدا أَتــدري عَــلى مَــن أَســأتَ الأَدبْ

أَســأتَ عَلــى الله في صُــنعِهِ لأَنَّــكَ لمْ تَــرضَ لي مَــا وَهَــبْ

فَكــانَ جَــزاؤُكَ أَن خَــصَّني وســدَّ عليــك طَريــقَ الطَلــبْ

ولو تأدبت وحسّنت ظنك لكان لك باباً مفتوحاً إلى كل نعمة أنعم الله بها على عباده في الشرق والغرب، تفرح بما أنعم الله به على عباده وتشكره على ذلك وتتمنى لهم الزيادة فتأتي آثار نعمهم كلها إلى عندك فتجد لك نصيباً منها وهكذا.

أنعم الله على أبينا آدم بنعمة وعلَّمه الأسماء وأمر بالسجود له ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ [ص: ٧٣] فامتثلوا أمر الله، وقالوا مرحبا ولبيك، فداموا كلهم على عزِّهم وكرامتهم، وزاد فضل الله عليهم، وأما إبليس ﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ [ص: ٧٦] . ما قَبِل النعمة، وحسده عليها وتكبر فطرده الله إلى الأبد.

١- وهو منصور الفقيه كما في نهاية الأرب .

واليهود الذين في عصر نبينا محمد عرفوه كما يعرفون أبناءهم ومعرفتهم له أشد، ولكن حملهم الحسد على أن يكذبوه وأن يخالفوه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل: ١٤] كما قال الله في قوم فرعون ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [البقرة: ٩٠] فما هي النتيجة ؟ ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ [البقرة: ٩٠] لكن أبو بكر ما حسد النبي صلى الله عليه وآله وسلم فصار صدِّيق الأمة واعتلت درجته وصار ﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾ [التوبة: ٤٠] والأنصار ما حسدوا النبي على ما أعطاه الله من فضله، فلما أقروا واعترفوا وفرحوا بفضل الله عليه صاروا سادة الأمة، مفروضة محبتهم، وصاروا رفقاءه في عالم الآخرة، واستفادوا بذلك وهكذا.

كلما أنعم الله على أحد بنعمة فكل مِن رضيها وقبلها فاض فضلُها عليه، وكل من كرهها واشمأز منها حُرم خيرَها واشتد الأذى والبلاء عليه.

(**ولا تك حاسدا ولا تك ذا غش**) ما تنطوي عليه النفس من إرادة السوء للآخرين لا تك ذا غش، ولا تك ذا غدر مما تمكر به وتحاول الوصول إلى غرضك في استغفال الآخرين غدراً بهم وكذباً عليهم.

** ** **

٣١. وَلَا تَطْلُبَنَّ الْجَاهَ يَا صَاحِ إِنَّهُ
شَهِيٌّ وَفِيْهِ السُّمُّ مِنْ حَيْثُ لا تَدْرِيْ

** ** **

(ولا تطلبن الجاه) : ما معنى لا تطلبن الجاه؟ اخرج عن التعزز المذموم الموهوم، كن عُبيدَ الله.

(ولا تطلبن الجاه) : أي المنزلة في قلوب الخلق فالجاه هو: ملك قلوب الناس بمحبتهم له.

(ولا تطلبن الجاه) : أن ينتشر حبك بين قلوب الناس لتقضي حاجتك وغرضك من ذلك أو تفتخر به.

(لا تطلبن الجاه يا صاح) أي يا صاحبي.

(إنه شهي) للنفس الأمارة، ولكن العقلاء فهموا وعرفوا أن فيه السم، فمهما كان الطعام تشتهيه النفس لكن إذا عرف صاحبه أن السم قد وُضع فيه عند طبخه فإن شهوته تضمحل عنه وتتلاشى فلا يشتهيه أبدا .

(إنه شهي وفيه السم من حيث لا تدري) : فتيقظ، إذا كنت غير ذي بصيرة فصدِّق أهل البصيرة، إذا قالوا لك فيه سم ففيه سم، فإنهم ثقات صادقون لم يعهد منهم الكذب. فالثقات كلهم حدثونا عن ذلك أولهم رسول الله ومن بعده الصحابة والتابعون كلهم قالوا ذلك، أليسوا بثقات؟! هؤلاء صادقون، وإذا لم ينكشف لنا ذلك الأمر ببصائرنا فيكفينا قول هؤلاء الثقات الذين قالوا: الجاه شهي وفيه السم من حيث لا تدري.

** ** **

٣٢. وإيـــــاكَ والأَطْــــمَاعَ إنَّ قَرِيْنَهَـــا

ذَلِيْــلٌ خَسِــيْسُ الْقَصْــدِ مُتَّضِــعُ الْقَــدْرِ

** ** **

وإياك و الأطماع: فيما في أيدي الناس وفي عز الدنيا الذي حقيقته ذل.

(وإياك والأطماع إن قرينها) صاحب الأطماع ذليل، قد يتظاهر في بعض مواقفه بمظهر التعاظم وهو ذليل في واقع حاله لكثير من الشؤون وكثير من الناس.

(ذليل) : خسيس القصد، انقطع عنه قصد الخالق ورجع يقصد الخلق، وانقطع عنه قصد الآخرة ورجع يقصد الدنيا.

(خسيس القصد) : استبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، خسيس القصد، متَّضع القدر، لأن الله سبحانه وتعالى ما سلَّط عليه الطمع في الدنايا إلا لأنه لا وزن له عنده، ولو كان له عند الله مكاناً ومكانةً ما جعله كلباً من كلاب الأطماع الخسيسة ولرفعَه، لكن هو وضعه هنا لأنه لم ينظر إليه، فجعله طامعا فيما لم ينظر إليه، ولو كان سبقته سابقة نظرة إليه لما ربطه إلا بمنظور إليه ولـَمَا علقه إلا بما يحبه سبحانه وتعالى وينظر إليه، فهذا متضع القدر: ساقط القدر، صاحب الأطماع، الطمع فيما في أيدي الناس، الطمع في مظاهر الدنيا وزينتها، الطمع في مناصبها ورئاساتها، أصحابها أذلاء وإن تعاظموا، وقصدهم قد خس.

(خسيس القصد متضع القدر) لو كان له قدر عند الله لشغله بما شغل به أولياءه وأصفياءه وصالحي عباده، لكن لأنه ليس له قدر عند الله رماه في هذه الأوساخ وجعله متضع القدر.

(وإن رُمت) أمرا، أردت وقصدت ورجوت وأمّلت أمراً من الأمور مهما يكون مادام هذا الأمر شريفاً في ذاته عزيز رفيع محبوب لربك، أمِّل ما شئت ولكنك اطلبه من بابه. واعكف على بابه وهو مولاك سبحانه وتعالى.

وإيــــاكَ والأَطْـــــمَاعَ إنَّ قَرِيْنَهَـــــا
ذَلِيْــلٌ خَسِــيْسُ الْقَصْــدِ مُتَّضِــعُ الْقَــدْرِ

اعكـــف عـــلى بابـــه فأنـــت مقبـــول   وســـوف تبلـــغ مـــا تريـــد مـــن ســـول

بل عادته جل جلاله أنه ما وقف الواقفون بسؤلهم إلا وفتح لهم من العطاء ما لم يخطر لهم على بال فكان فوق سؤلهم، هكذا سنة الله مع عباده.

** ** **

٣٣. وَإِنْ رُمْـــتَ أَمْـــراً فَاسْـــأَلِ اللهَ إِنَّـــهُ
هُـــوَ الْـــمُفْضِلُ الْوَهَّـــابُ لِلْخَـــيْرِ وَالْـــوَفْرِ

** ** **

(المفضل) : كثير الإفضال **(الوهاب)**: كثير الوهب والعطاء للخير، والوفر: أي الجزيل الكثير يعطي الكثير ولا يبالي ﴿وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ﴾ [مريم: ٤٨] ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [يوسف: ٨٦] فهذا ذئب قد أكل يوسف وأصبح غير موجود في الدنيا، فلا تتمنَّ ولا تطلب شيئاً، فالطلب هنا غير معقول (كما قد يتوهَّم البعض)، وأنت مع ذلك تطلب وتقول: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٨٦]

فرجع إخوته وقالوا: ﴿ يَٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [يوسف: ٩٧ – ٩٨] وما تحقق إلا كلامه! ﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ [يوسف: ٨٧] .

في الغالب لا يسلط الله على قلبٍ حُسنَ الطلب لأمر إلا وهو يريد أن يعطيه إياه كائناً ما كان ذلك الأمر، فلا تستكثر على الله شيئاً، ولا تستعظم على الله شيئاً، كل شؤون الخير ما تريد منها مما يرى في سنة إفضاله وسنة إحسانه لعباده، ما تريده أن يعطيك إياه من ذلك اقصده واطلب منه بصدق ووجِّه الأمر إليه ودم وقف واعكف على الباب وسترى الجواب.

وَإِنْ رُمْـــــتَ أَمْـــــراً فَاسْـــــأَلِ اللهَ إِنَّـــــهُ

هُــوَ الْـــمُفْضِلُ الْوَهَّــابُ لِلْخَـيْرِ وَالْـوَفْرِ

تريد صلاحَ قلب، تريد طهارةَ نفس، تريد ارتفاعَ درجة، تريد حقيقةَ قرب، تريد زيادةَ إيمان، تريد قرباً من محمد صلى الله عليه وآله وسلم، تريد رؤيةً له، تريد لقاءً به، تريد اجتماعاً معه، تريد اتصالاً به، تريد حشراً في زمرته، تريد مطالعةً في جمال غُرَّته. ماذا تريد؟ ما تريده اصدق في ذلك واطلبه منه وخذ بما شرع لك في تحصيل ذلك، واعكف، فإنه هو المفضل الوهاب للخير والوفر يعطي ولا يبالي .

٣٤. وَأُوْصِيْكَ بِالْخَمْسِ التِيْ هُـنَّ يَـا أَخِـيْ

عِـــمَادٌ لِـــدِيْنِ اللهِ وَاسِـــطَةُ الأَمْـــرِ

** ** **

❖ **الصلاة صلة بين العبد وربه:**

(وأوصيك بالخمس) أي قس نفسك عند هذه الخمس وكل ما تقدم تحققُّك به يُقرأ في مرآة الصلوات الخمس.

حالك في الصلوات الخمس ينبئ عن تمسكك بذلك أو ضعفك فيه أو انقطاعك عنه، حالتك في الصلاة هي سر حالتك مع الله، حالتك في الصلاة هي مرآة شأنك مع مولاك تعالى في علاه، أما تدري أنها سُميت حضرة الله؟ أما تدري أنها الوصلة التي بين العبد ومولاه؟ أما تدري أنه عند تشريعها وعند فرضها بُعِثَ إلى النبي محمد ورُفِع لها إلى أوج العلا، حتى تأخر عنه جبريل، ووصل إلى مكان جليل، ما وصله غير هذا المخصوص بأكرم التنزيل، والمفضَّل بأعظم التفضيل، الذي جعله الله لنا خير مبيِّن وخير معلم وموضح وهاد ودليل، صلوات ربي وسلامه عليه، فرض عليه وشرع لنا الصلوات في ذلك العالم الأسنى الأعلى فجاءنا بخبرها فكيف حالك معها يا هذا المؤمن؟ كيف أحوال أهلنا مع الصلاة؟ ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾ [طه: ١٣٢] ، قال الله لسيدنا الكليم موسى: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه: ١٤] وجاء أهل التفسير بين من يجعل لذكري من إضافة المصدر إلى فاعله أو إضافة المصدر إلى مفعوله، فمنهم من يقول ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ

لِذِكۡرِيٓ ﴾ أي ليستحكم ذكرك لي فتكون حاضرا معي وتؤدي حق ذكري بواسطة هذه الصلاة في أوقاتها فينتشر نصيبك من الذكر خارج الصلاة لتستجمع في حقائق الذكر وسط الصلاة وينتشر لك نصيبُك من أسرار الذكر خارج الصلاة بواسطة الذكر في الصلاة.

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴾ [طه: ١٤] أي للتحقق بذكرك لي وحضورك معي وغيابك عما سواي.

أو﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴾ [طه: ١٤] ، لتفوز وتحظى بذكري لك، وتحنُّني عليك، وإكرامي إياك، وتنزُّلي لك، ومنحي وصلك، وتفضُّلي بمواصلتك من حضرة وِدادي، وعجائب إمدادي، بأسنى تفضُّلي وإكرامي وإحساني وإنعامي وجودي، فلله الحمد على كل حال.

وهذا هو المتناسب أي المعنى الثاني مع من استحكم ذكرُ الله في قلبه فصار حاضراً مع ربه في الصلاة وخارج الصلاة:

يـا أهـل القلـوب الحـاضرةْ مـع الله

في جنـــة العرفـــان والمصـــافاه

مســـتغرقه بـــه ذاكـــره لآلاه[1]

هكذا وهناك يجدون من الريحان ما لا يعبر عنه لسان قال سيد الأكوان: (**وجُعلت قرةُ عيني في الصلاة**)[1] وقال : وهو مبيِّن عن شريف ذلك الحال:

١- من قصيدة للحبيب أبي بكر المشهور بـ(عطاس) بن عبدالله بن علوي بن زين الحبشي (ت: ١٤١٦هـ).

(أرِحنا بها يا بلال، أرحنا بها يا بلال)[٢] صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه خير صحب وآل.. فكيف الحال مني ومنك في هذه الخمس؟

وأوصيك بالخمس الصلوات، الخمس الفرائض، عِشْقنا لها، مَحَبَّتنا لها، إِكْبارنا لشأنها، رَغْبتنا فيها، شَوْقنا لها، فَرَحْنا بقربها وبمجيئها، سُرُوْرنا عند سماع النداء لها، مسابقتنا إلى الصفوف الأولى، حضور قلوبنا فيها، أدبنا مع الباري أثناء إقامتها، استعدادنا بكلياتنا ووجهاتنا عند إقامتها، اقتداؤنا بإمام أهل الحضرة عند أدائها.

كيف حالنا مع الصلوات؟ كيف حال الأبناء والبنات؟ كيف حال الأهل؟ وكيف حال الأقارب وكيف حال الأصحاب؟

لقد قال الكفار لما علموا عن حال رعيلنا الأول أصحاب نبينا المبجَّل عن الصلاة، وقد واجهوهم في صلاة الظهر فرأوهم يصلون ولم يهاجموهم، فلما انتهوا من الصلاة قال بعضهم: لو أننا أقبلنا عليهم وهم ساجدون مُولينا ظهورهم لقتلنا منهم وهم في سجودهم، فقال بعضهم لبعض: ستأتي عليهم صلاة بعد هذه الصلاة هي أحب إليهم من أنفسهم وأولادهم وأموالهم ـ يعنون صلاة العصر ـ كانوا يعرفون عشقَ الصحابة للصلاة، وتولُّع قلوب الصحابة بالصلاة، كان هذا الأمر معروفاً عن صحابة محمد بن عبد الله، وكان مشهورا حتى في مجتمعات الكفر، يعلمون هذا الحال من أصحاب أهل هذا النور من أصحاب بدر البدور صلوات ربي وسلامه عليه.

٢- أخرجه أحمد في مسنده مسند أنس (١٩/ ٣٠٥، برقم: ١٢٢٩٣).

٣- أخرجه أحمد في مسنده (٣٨/ ٢٢٥، برقم: ٢٣١٥٤)، وأبو داود كتاب الأدب باب في صلاة العتمة (برقم: ٤٩٨٦).

فكيف حالنا اليوم مع الصلوات؟ وهل نحن من أتباع هذا النبي، المتصلين بهذا النبي، المصدقين بما جاء به هذا النبي؟ فكيف لم يورث لنا ذلك حالا مع الصلاة يعرف كل من حوالينا أنها أعز علينا وأحب إلينا من أنفسنا وأموالنا وأولادنا.

كيف ونحن نتنادى مع منسوبين إلى طلب العلم والخير.. عظموا الصلاة، احضروا قبل الوقت، لا تؤخروا وضوءكم إلى قرب الإقامة، احرصوا على التكبيرة الأولى، فيصاح لهم فيها، فإذا هؤلاء فقدوا ذوق الصلاة وسرها فأين نذهب؟ إلى أسواق المسلمين أو نذهب إلى ملاهي المسلمين لنجد الذين يذوقون الصلاة ويعرفون قدرها فـ(إِنَّا لله وَإِنَّـا إِلَيْهِ رَاجِعونَ)

كم صارت أُسر من أُسَر المسلمين يتعبون في أن يقيموا أحد أولادهم للصلاة أو أن يأمروا إحدى بناتهم لإقامة الصلاة، ولا يكاد يدخل إليها ربما من الصغر قبل بلوغه إلا بعد تعب من أهله، يا محول الأحوال حوِّل حالنا إلى أحسن حال، وعافِنا من أحوال أهل الضلال وفِعل الجهال.

وكثير من أسر المسلمين فيها من يقطع الصلاة من أصلها ويتركها بجملتها ولا يبالي بها، ولا معه أب يحمل قلبُه همَّ الصلاة، ولا يحمل قلبه عظمة فريضة الله، وعماد دين الله سبحانه وتعالى، فهذا حال في التردِّي والانحطاط حلَّ بأهل هذه الملة، نسأل الله أن ينقذنا وإياهم أجمعين ويحول حالنا إلى أحسن حال.

يقول صلى الله عليه وآله وسلم: **(العَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ)**[1] **(من ترك الصلاة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله وذمة رسوله)**[1]،

١- أخرجه الترمذي في سننه عن بريدة رضي الله تعالى عنه، باب ما جاء في ترك الصلاة، (٥/ ١٣، برقم: ٢٦٢١)، وأحمد في مسنده مسند بريدة (٣٨/ ٢٠، برقم: ٢٢٩٣٧).

فأي ذمة ستحمله وأي ذمة ستحرسه؟ وأي ذمة ستقيه العذابَ إذا برئت منه ذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم؟ (**إذا أخَّر العبدُ الفريضةَ عن وقتها كُتب اسمُه على باب النار فلان ابن فلان لابد له من دخول النار**)[٢] ، ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٤ – ٥]

قال مولانا: الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها لهم الويل؛ وهو وادٍ في جهنم اسمه ويل، لو سُيرت فيه جبال الدنيا لذابت من شدة حرِّه، هو مَسكن المتهاونين بالصلاة فأين يسكن من تركها مِن أصلها؟! هذا الذي يصلي و يؤخر بعض الصلوات عن وقتها يسكن في هذا الوادي المخيف المهيل فأين يسكن الذي ترك الصلاة من أصلها ولم يُبالِ بها؟ نسأل الله أن يحيي في قلوب المسلمين تعظيم شعائر ربهم.

وَأُوْصِـيْكَ بِـالْخُمْسِ الَّتِـيْ هُـنَّ يَـا أَخِـيْ

عِـــمَادٌ لِـــدِيْنِ اللهِ وَاسِـــطَةُ الأَمْـــرِ

عماد للإسلام عماد لما بين العبد وربه، واسطة الأمر، أعظم ما وضع من الأوامر، خير الأوامر التي فرضت علينا، (**الصلاة خير موضوع**) قال نبينا: (**فمن شاء فليستكثر ومن شاء فليستقلل**)[٣]

٢- مسند الإمام أحمد، عن مكحول عن أم أيمن، برقم: (٢٦٠٩٨).

١- (من ترك الصلاة متعمداً كتب اسمه على باب النار ممن يدخلها). أخرجه أبونعيم في الحلية (٧/ ٢٥٤).

٢- مسند أحمد بلفظ .. قلت يا رسول الله الصلاة!، قال: (خير موضوع من شاء أقل ومن شاء أكثر)، أخرجه أحمد في مسنده مسند أبي ذر (٣٥/ ٤٣٢، برقم: ٢١٥٤٦) مطولاً.

وَأُوْصِيْكَ بِالخُمْسِ التِيْ هُنَّ يَا أَخِيْ
عِمَادٌ لِدِيْنِ اللهِ وَاسِطَةُ الأَمْرِ

إِئتِ بشروطها كلها، حافظ على سننها، عظِّم شأنها، اُدخلها بحضور قلب ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾[المؤمنون: ١ - ٢] **(من حافظ على الجماعة أربعين يوما لا تفوته التكبيرة الأولى مع الإمام كتب الله له براءة من النار وبراءة من النفاق)**[1] في أربعين يوم تُكتب لك براءة من النار، يحق لك أن تعقل لو قيل لك في الأربعين يوم لا تتحرك حركة واثبت محلك لتبرأ من النار لكان يسيراً بك أن تمكث هذه المدة لا تتحرك حتى تكتب لك البراءة من النار، فكيف وهي مجرد الصلوات الخمس تعظم شأنها وتحضر مع الإمام عند التكبيرة الأولى التي يفوت ثوابها بتأخرك عن الإمام إذا أحرم الإمام ولم تشتغل بالإحرام بعده فاتك ثواب تكبيرة الإحرام **(لكل شيء صفوة وصفوة الصلاة التكبيرة الأولى مع الإمام)**[2] ، وإذا رأيتَ طالب العلم لا يحرص على التكبيرة الأولى مع الإمام فانفض يديك منه، لا تؤمل له نجاحاً ولا فلاحاً ولا فوزاً، انفض يديك

١- حدثنا عقبة بن مكرم، ونصر بن علي (الجهضمي) قالا: حدثنا (أبو قيبة) سلم بن قتيبة، عن طعمة بن عمرو، عن حبيب بن أبي ثابت، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((**من صلى لله أربعين يوماً في جماعة بدرك ا لتكبيرة الأولى كتب له براءتان: براءة من النار وبراءة من النفاق**)). أخرجه الترمذي في سننه عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه، باب في فضل التكبيرة الأولى، (٢/ ٧، برقم: ٢٤١)، وأحمد في مسنده مسند أنس بن مالك (٢٠/ ٤١، برقم: ١٢٥٨٤).

٢- أخرجه البيهقي في الشعب عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، فصل المشي إلى المساجد، (٤/ ٣٦٤، برقم:٢٦٤٩ ، ٢٩٠٨)، وأخرجه أبو يعلى في مسنده مسند أبي هريرة (١١/ ٣، برقم: ٦١٤٣).

منه، فهذا لا يأتي منه الخير، لا يفلح ولا يفوز، هذا الذي لا يبالي بما عظَّم الله وعظم رسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

فانظر للذي لا يبالي أدرك التكبيرة الأولى أو لم يدركها؟ أدرك الركعة الأولى أو لم يدركها؟ أدرك الجماعة أو لم يدركها؟ هذا مخلخل الحال في أمر عماد الدين فهو مخلخل في جميع أمور الدين من غير ما شك.

** ** **

٣٥. وَحَــــافِظْ عَلَيْهَــــا فِي الْجَمَاعَــــةِ دَائِــــماً

وَوَاظِــــبْ عَلَيْهَــــا فِي العِشَــــاءِ وَفِيْ الفَجْــــرِ

** ** **

❖ **الحث على الصلاة في الجماعة:**

(**وحافظ عليها في الجماعة دائما**) فلم يُنقل عن نبيك ولا عن الخلفاء وكبار الصحابة أن واحداً منهم صلى فريضة واحدة منفردا قط، ما صلوا إلا جماعة، حافظ عليها في الجماعة دائما، قال سيدنا ابن مسعود: ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها - أي الجماعة - إلا منافق معلوم النفاق وإن كان الرجل لَيُهادى - أي يحمل - بين الرجلين حتى يقام في الصف .

وَحَــــافِظْ عَلَيْهَــــا فِي الْجَمَاعَــــةِ دَائِــــماً

وَوَاظِــــبْ عَلَيْهَــــا فِي العِشَــــاءِ وَفِيْ الفَجْــــرِ

وواظب عليها بزيادة تأكيد في العشاء وفي الفجر لأن أثقل صلاة على المنافقين صلاة العشاء جماعة وصلاة الفجر جماعة ولو علموا ما فيهما لأتوهما ولو حبوا على الركب، لو علموا ما في فضل جماعة العشاء وفضل جماعة الفجر

وأحدهم لا يقدر أن يقوم من مرضه وضعفه ولكن يمشي على ركبه لجاء يحبو على ركبتيه لما يعلم من فضل جماعة العشاء، ولما يعلم من فضل جماعة الصبح، هكذا أخبرنا نبينا صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ومن سار في دربه ودخل في حزبه وجعلنا الله وإياكم منهم إنه أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين.

(**وواظب عليها في العشاء وفي الفجر**) واظب على الجماعة في كل صلاة وخصوصا في العشاء، وخصوصا في الفجر، فلا تحدثك نفسك بالتخلف عنها ولا التساهل بشأنها قط فإنه قد حدثك عنها أصدق خلق الله لهجة وأوثقهم قولا وحديثا صلوات ربي وسلامه عليه:

** ** **

٣٦. وَقُــــمْ فِيْ ظَـــلامِ اللَّيْـــلِ للهِ قَانِتـــاً
وَصَـــلِّ لَـــهُ وَاخْـــتِمْ صَـــلاتَكَ بِـــالْوِتْرِ

** ** **

إذا قمتَ بحق عماد الله من الصلوات عَشِقَتْ نفسُكَ الصلاةَ وأخذت تحب الصلاة فلا تكتفي بالفرائض، وإذا بك تحب الرواتب؛ تحب الوتر والضحى، وإذا جنَّ الليل يكون للصلاة ذوق ليس لغيره من الأوقات، يكون للصلاة طعم لا يكون في غيرها من الأوقات، يكون للصلاة شأن (**ركعتان في جوف الليل خير من الدنيا وما فيها**)[1] (**صَلُّوا مِنَ اللَّيْلِ وَلَوْ قَدْرَ حَلْبِ شَاةٍ**)[2] (**قَالَتْ أُمُّ سُلَيْمَانَ بْنِ**

١- قال العراقي في تخريج الإحياء رواه آدم بن أبي إياس في الثواب ومحمد بن نصر المروزي في كتاب قيام الليل ... إتحاف السادة المتقين (٥/ ١٨٥).

٢- أخرجه أبو يعلى في مسنده مسند ابن عباس (٥/ ٨٠، برقم: ٢٦٧٧)، والطبراني في المعجم الكبير (١/ ٢٧١، برقم: ٧٨٧).

دَاوُدَ لِسُلَيْمَانَ: يَا بُنَيَّ لَا تُكْثِرِ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَإِنَّ كَثْرَةَ النَّوْمِ بِاللَّيْلِ تَتْرُكُ الرَّجُلَ فَقِيرًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ)[1] قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا﴾ [المزمل: ١ – ٤]، وهذه قصة الطفل الذي انقذف في قلبه معنى الآيات، تعلم عند الشيخ سورة المزمل لما ابتدأ يتعلم القرآن أقرأه من ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١] سورةً سورةً حتى وصل إلى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ فأخذ يفكر في معنى هذا الكلام من الله فجاء إلى أبيه قال: يا أبي اليوم أقرأنا المعلم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ﴾ من المزمل؟ قال: رسول صلى الله عليه وآله وسلم قال: الله يأمره بقيام الليل فقام، وأنا أراك لا تقوم الليل يا أبي قال: يا ولدي ذاك النبي ومَن يقدر يكون مثل النبي!!، فسكت الولد فقام في اليوم الثاني عند المعلم يقرأ آخر السورة ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ﴾ [المزمل: ٢٠]، فرجع إلى أبيه وقال: يا أبي ليس النبي وحده هو الذي يقوم فالله قال: ﴿وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ﴾، قال: يا ولدي هؤلاء الصحابة أصحاب النبي ومن يقدر يكون مثل أصحاب النبي!!، قال: إذاً يا أبي ما يكون فيك خير، قال: كيف تقول هكذا؟!! قال: ما رضيت أن تقتدي بالنبي ولا بأصحاب النبي، فكيف سيكون الخير فيك؟ تقتدي بمن أنت؟ قال: والله صدقت، بعد هذا اليوم لا أترك قيام الليل وسأقوم نصيبي من الليل من هذه الليلة، قال: وأنا أيقظني معك قال: أنت صغير وما كلفك الله تقوم، قال: لا يا

٣- أخرجه ابن ماجه في سننه عن جابر بن عبدالله رضي الله تعالى عنه، باب ما جاء في قيام الليل، (١/ ٤٢٢)، برقم: ١٣٣٢).

أبي، أيقظني فإن لم توقظني معك أكون مطالباً لك بين يدي الله يوم القيامة وإن كنت صغيراً، فإني رأيت أمي حين توقد الحطب تضع الصغير تحت الكبير فسألتها قلت لها لمَ تضعين الصغار تحت الكبار؟ قالت: لأن النار توقد في الصغار أولا فتشتعل ثم تصل إلى الكبار، وأنا أخاف أن يضعوا في النار الصغير تحت الكبير يوم القيامة، فبكى والده وعرف ما قذف الله في قلب الطفل، وبهذا الطفل وتعليمه القرآن صار أهل هذا الدار كله يقومون في الليل، فصاروا يقومون كل ليلة وأحياهم الله بعد موتهم.

(وقم في ظلام الليل لله قانتا) أي خاضعاً خاشعاً متذللاً قائماً بالخشوع، **(وصلِّ له)** ما بدا لك من الصلاة وأعظمها الوتر، واجعلها آخر صلاتك لقول نبيك: **(اجْعَلُوا آخِرَ صَلاَتِكُمْ بِاللَّيْلِ وِتْرًا)**[1] فإن كان لك غير الإحدى عشر من الوتر فصلِّ ما بدا لك ثم اجعل آخر شيء الوتر والثلاث الركعات من الوتر اختم بها صلاتك في كل ليلة، قال صلى الله عليه وآله وسلم:**(لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فتركه)**[2]، أي دُم على ذلك واستمر، وقد استمر الأمر في أخيار الأمة في شرق الأرض وغربها، تجد المسلمين من عهد الصحابة حينما انتشروا في الأقطار تعلم الناس محبة القيام في الليل والخلوة بالله، السيدة عائشة تصف النبي بهذا الوصف.. دخل عليها بعض الصحابة قالوا: حدثينا بأعجب ما رأيت من رسول

١- أخرجه البخاري في صحيحه عن عبدالله بن عمر رضي الله تعالى عنهما، باب ليجعل آخر صلاته وترا، (١/ ٣١٥، برقم: ٩٩٨)، ومسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب صلاة الأوابين حين ترمض الفصال (برقم:٧٥١).

٢- أخرجه البخاري في صحيحه عن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما، باب ما يكره من ترك قيام الليل لمن كان يقومه، (١/ ٣٥٨، برقم:١١٥٢)، ومسلم كتاب الصيام باب النهي عن صوم الدهر (برقم: ١١٥٩).

الله؟ عندهم ولَع بأخبار النبي، هم قد عايشوه وقد عاشروه وقد عاشوا معه صلى الله عليه وآله وسلم، مع ذلك كانت مولعة قلوبهم بأحواله و بأخباره، جاؤوا عند أم المؤمنين فقالوا: ما أعجب ما رأيتِ من أحوال النبي؟ يفتشون عن ما غاب عنهم من أحوال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، متولعة قلوبهم بشؤونه، فبكت السيدة عائشة وقالت: بم أحدثكم؟ كان كل أمره عجب، كل حاله عجب، ثم حدثتهم قالت: كان إذا جن الليل وخلا كل حبيب بحبيبه خلا هو بحبيبه وقام ينادي مولاه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

قال سيدنا عبد الله بن عمر كان النبي يسأل الصحابة هل رأى منكم أحد البارحة رؤيا[1] فيقص عليه مَن رأى رؤيا فيفسرها لهم ويقول عليها ما شاء الله، فتمنيت أن أرى رؤيا لأقصها على رسول الله، ثم إني رأيت أنني حُملت وجيء بي إلى شفير جهنم وأوقف بي على النار وبدا ملك يقول: لن تراعَ، إنك لن تراعَ ولستَ من أهلها، فاستحييت أن أقصَّ الرؤيا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقصصتُها على أختي حفصة أم المؤمنين فقصتها حفصة على النبي فقال النبي: (**نعم الرجل عبد الله لو كان يقوم من الليل**)[2] فرجعتْ إلي فقالت: قال النبي كذا، فما ترك قيام الليل من تلك الليلة إلى أن مات عليه رضوان الله تبارك وتعالى.

١- أخرجه البخاري في كتاب التعبير ، باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح (برقم: ٧٠٤٧) ، ومسلم في كتاب الرؤيا باب رؤية النبي صلى الله عليه وآله وسلم (برقم: ٢٢٧٥).

١- أخرجه البخاري في كتاب التهجد، باب فضل قيام الليل (برقم: ١١٢٢) ومسلم في كتاب الفضائل ، فضائل عبدالله بن عمر (برقم: ٢٤٧٩) .

تسلسل هذا في أخيار الأمة فتعلموا وأحبوا القيام بالليل، إلى مَن أدركنا من المشايخ فكان يقولون عن بعض مشايخنا ما ترك قيام الليل من أيام الصغر إلى أن مات، وهكذا كان من أواخرهم شيخنا الحبيب محمد بن علوي بن شهاب الدين عليه رحمة الله تعالى يخرج مِن أيام صباه مع والده إلى المسجد، وكان والده يقوم بقراءة القرآن في المسجد قبل الفجر بساعة ونصف أو ساعتين أو ساعتين ونصف في هذه الحدود في الليالي فيشتغلون بقراءة القرآن إلى أن يطلع الفجر فلم يزل على قيام الليل بعد أن يصلي أحدهم في بيته ويقرأ ما تيسر ثم يخرج إلى المسجد، فيكون حزب القرآن الكريم في آخر الليل في المسجد ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨]، ولم يزل كذلك إلى ليلة وفاته، وفي ليلة وفاته قام آخر الليل وأدى تهجده وقراءته وصلى الفجر في جماعة وسرنا معه إلى مجمعٍ من مجامع الذكر والتذكير وذكَّرنا الله، وقام يُذَكِّر بالله تعالى ويدعو إلى الله فمات عليه رحمة الله تبارك وتعالى، فما ترك قيام الليل حتى ليلة وفاته.

وهكذا لم يزل أخيار الأمة في شرق الأرض ومغاربها، بل قال الإمام الحداد: ومن أُكْرِمَ بشيءٍ من ذوق حلاوة القيام بالليل صار لا يصبر عن القيام، يصير ما يقدر يصبر عن القيام فضلا عن أن يتكلف له، قال عتبة الغلام: (كابدتُ قيام الليل عشرين سنة ثم تنعَّمت به) أي بعد العشرين سنة، وهكذا آثار المكابدة و المجاهدة قال ربك: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، وكان صاحب القصيدة إذا خرج إلى الصلاة يقول: لا يكلمنا أحدٌ بكلام، ومَن معه لنا كلام أو سلام أو رسالة فبعد الصلاة فإنا نخرج إلى الصلاة بجمعية القلوب على الله تبارك وتعالى، ولهذا كَبَّرَ في بعض المرات فانشق الجدار

حينما قال (الله أكبر) عند الدخول في الصلاة .. الله يرزقنا التحقق بالصلاة ويجعلنا ممن يحسن القيام بعمود الإسلام وهو الصلاة .

** ** **

٣٧. وَكُنْ تَائِباً مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ أَتَيْتَهُ
وَمُسْتَغْفِراً فِيْ كُلِّ حِيْنٍ مِنَ الْوِزْرِ

** ** **

(وكن تائبا من كل ذنبٍ أتيته) كن تائباً راجعاً إلى الله من كل ذنب أتيته كيف ترجع إلى الله؟ بالندامة الصادقة على ما كان، والعزيمة الصادقة على ما يكون، الندامة الصادقة على ما كان منك من كل تقصير، من كل خلل في أقوالك وأفعالك ونياتك ومقاصدك.

(كن تائبا من كل ذنبٍ أتيته) فهذا مفتاح السير إلى الله:

والتوبةُ الخَلْصَاءُ أولُ خُطوَةٍ للسَالكين إلى الحِماء الأَمْنَعِ[1]

التوبة الخلصاء أول خطوة للسالكين إلى الحمى الأمنعِ.

(كن تائبا من كل ذنبٍ أتيته) إن كان أُلقِي قبضٌ عليك في المخادعة، مخادعة نفس أو شيطان أو استحلاءٍ لشيءٍ من مخازيك أو معايبك أو سوء أدبك أو تقصيرك، فاخرج عن ورطة هذه الخديعة من قِبلهم، فو الله ما في الغفلة ولا في الإعراض عنه حقيقة حلاوة ولا لذة قط، وإن عَرَضَتْ تلك الاختبارات والامتحانات باللذائذ الجسدية الحسية الزائلة الحقيرة، فكما أنه ليس عند العاقل لذة في تناول حلاوة حُشِيت بسم قط، ولا يمكن أن تبقى عنده لها حلاوة وهو إذا

١- من خاتمة القصيدة المشهورة بالعينية الكبرى للإمام عبدالله بن علوي الحداد.

أنقذ من شر السم الذي فيها لا يزال إذا تذكرها تذكر ضررها وخطرها وحمد اللهَ الذي نجّاه من شرها، فكذلك جميع ذنوبنا يجب أن يبقى عندنا كراهتها ومرارة ما كان منا نحوها وفيها وخجلنا من الباري.

ولما عاتب الله تعالى نبيه داود لم يقوَ على رفع رأسه نحو السماء حتى مات، مع أنه كما نعلم في منازل الأنبياء ما تكون خطاياهم من الخطايا والذنوب المحرمة على الخلق وإنما يكون ما لا يليق برتبهم العلية يعاتبهم عليه الرب، والرب له أن يعاتب مَن شاء على ما شاء معصوم أو غيره جل جلاله، فمع ذلك لما استشعر الخطيئة بعدها لم يرفع رأسه إلى السماء حتى مات لا يوم ولا يومين ولا أسبوع ولا أسبوعين، وأحدنا عنده كم ذنوب ويرفع رأسه كل يوم وربما في اليوم مرات بل ربما مدة إطراق رؤوسنا و نظرنا إلى الأرض يقل بالنسبة لرفع الرؤوس إلى غير الأرض، وقد كان أطهر الطاهرين وسيد المعصومين نبينا محمد نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، وكان جُلُّ نظرِه الملاحظة، وهو غزير الدمعة من خشية ربه صلوات ربي وسلامه عليه، كثير البكاء في خلوته، يغلبه أحيانا البكاء في بعض جلواته عند قراءة القرآن أو عند ذكر الآخرة أو عند ذكر شيء من عظمة الله صلوات ربي وسلامه عليه، حتى اهتزت قلوب الذين وفدوا عليه أول ما وفدوا يسألونه عن الإسلام، ثم قرأ عليهم آيات من القرآن الكريم وأكبَّ بوجهه الشريف يبكي فقال: له بعض الوفد مم تبكي؟ مِن خشية هذا الذي أَنزَل عليك هذا، قال: أجل، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم).

(**كن تائبا من كل ذنب أتيته**) وهل تستشعر أن كثيراً من ذنوبك أنت غافل عنها، فكثير من ذنوبنا عرفناها، وجرتْ منا ذنوب لم ننتبه منها، فنستغفر الله من الذنوب التي نعلم والذنوب التي لا نعلم ومما هو به أعلم.

(**كل ذنب أتيته**) وعلمنا صلى الله عليه وآله وسلم كيفية التنقي عن شوائب الشرك الخفي فقال: (**من قال: اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئاً وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم**)[1] نفى عنه صغار الشرك وكباره، (**أعوذ بك أن أشرك بك شيئاً وأنا أعلم و أستغفرك لما لا أعلم**) كثير مِن مداخل الرياء يقوم بها الواحد منا ولا يستشعر أنه مرائي، (**أستغفرك لما لا أعلم**) فنحتاج أن نتوب إلى الله من جميع الذنوب ما علمنا منها وما لم نعلم، اللهم إنا نستغفرك بجميع الاستغفارات كلها ما علمنا منها وما لم نعلم من جميع ذنوبنا وسيئاتنا كلها ما علمنا منها وما لم نعلم، فاغفر لنا ما أنت به أعلم يا الله**!!**

وَكُـــنْ تَائِبـــاً مِـــنْ كُـــلِّ ذَنْـــبٍ أَتَيْتَـــهُ
وَمُسْـــتَغْفِراً فِيْ كُـــلِّ حِـــيْنٍ مِـــنَ الْـــوِزْرِ

فإن النبي المعصوم عليه الصلاة والسلام كان يتوب إلى الله في اليوم والليلة سبعين مرة ومائة مرة. وكان يُعَدُّ له في المجلس الواحد من مجالسه مائة مرة من (**رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم**)[2] ليلوح لك ما كان شغله، وما كان يهتم به قلبه، وما كان يتعلق به، وما كان حاله مع ربه صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه، ورزقنا الله حسن متابعته والثبات على دربه.

١- أخرجه البخاري في الأدب المفرد عن معقل بن يسار رضي الله تعالى عنه، باب فضل الدعاء، (١/ ٣٧٧) برقم٧١٦ .

١- تقدم تخريجه .

وَكُنْ تَائِباً مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ أَتَيْتَهُ
وَمُسْتَغْفِراً فِيْ كُلِّ حِيْنٍ مِنَ الْوِزْرِ

كان بعض المربين يشترط على من جاءه من المريدين أن يجدِّد التوبة في كل نفس، وأن يداوم على الطهارة، ويغتسل في كل فرض، فكان تظهر عليهم آثار الإنابة في الوقت السريع، وفي الحديث: (**طُوبَى لمِنْ وَجَدَ فِي صَحِيفَتِهِ اسْتِغْفَاراً كَثِيرًا**)[1]، فإن الاستغفار إذا لم يكن عن صدق لا يجده في الصحيفة، (**لمن وجد في صحيفته استغفاراً كثيراً**) أي استغفر استغفارا مقبولا صادقا فيجده في الصحيفة محفوظا، قال العارفون: ومهما اطلعنا على تقصيرنا في الاستغفار فيجب أن نواصل الاستغفار ونلازم الاستغفار ولا نترك الاستغفار:

وإنْ يَكُ استغفارُنَا يَفتَقِرُ   لِمثلِهِ فإننا نَستَغفِرُ[2]

إن كان استغفارنا يحتاج إلى استغفار كما قالت رابعة العدوية، وكثير من العارفين قالوا : توبتنا تحتاج إلى توبة، للتقصير الذي فيها، ومع ذلك فيجب أن نلزمَ الاستغفار والتوبة ولا يجوز أن نترك الاستغفار وأن نترك التوبة لأن استغفارنا يحتاج استغفاراً، فكثِّر الاستغفار، كثِّر الاستغفار، حتى يرحمك الغفار سبحانه وتعالى (**طوبى لمن وجد في صحيفته استغفارا كثيرا**) قال سيدنا نوح: في بلاغ رسالته لقومه ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ

١- أخرجه ابن ماجه في سننه عن عبدالله بن بسر رضي الله تعالى عنه، باب الاستغفار، (٢/ ١٢٥٤)، (برقم: ٣٨١٨)، والنسائي في سننه الكبرى كتاب عمل اليوم والليلة باب ثواب الإكثار من الاستغفار (برقم: ١٠٢١٦).

٢- من خاتمة منظومة الزبد لابن رسلان.

وَقَارًا ﴾ [نوح: ١٠ - ١٣] مالكم لا تعظمون الله ولا تهابونه ولا تعتذرون له هيبة وجلالة ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾ [نوح: ١٣ - ١٤] والكون كله يناديكم أن تعظموا هذا الإله ﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴾ [نوح: ١٤ - ٢٠]، هذه كلها نداءات أن تهابوا الخالق البارئ لهذه المصنوعات والمدبر لهذه الحادثات ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾ [نوح: ١٣ - ١٤]، اللهم أسكن في قلوبنا نورَ الوقار لك والإجلال لعظمتك والأدب معك والحياء منك والإنابة إليك والخشية منك والرجاء فيك والحضور معك والتأدب لك والصدق معك والخضوع بين يديك والمعرفة بك يا الله.

** ** **

٣٨. عَسَى الْمُفْضِلُ الْمَوْلَى الْكَرِيْمُ بِمَنِّهِ
يَجُوْدُ عَلَى ذَنْبِ الْمُسِيئِنَ بِالْغَفْرِ

** ** **

(عسى المفضل المولى الكريم) عسى المفضل: كثير الإفضال والإحسان المولى الذي يتولى المؤمنين سبحانه وتعالى ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [البقرة: ٢٥٧] المولى الكريم عظيم الفضل والإحسان بمنه. **(يجود على ذنب المسيئين بالغفر)** آمين يا الله.

وهو القائل في الحديث القدسي: (**ابن ادم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، ابن ادم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً أتيتك بقرابها ـ أي بملئها ـ مغفرة**)[1] هكذا يقول الوهاب التواب سبحانه وتعالى.

يا تواب تب علينا وارحمنا وانظر إلينا[2]

فحقق شأن توبتك، واعلم أن للتوبة بداية وليس لها نهاية إذا صدقت فيها فأنت تائب تائب ثم أنت تواب إلى اللقاء.. اللهم تب علينا لنتوب وحققنا بحقائق التوبة.

** ** **

٣٩. فَإِحْسَانُهُ عَمَّ الأَنَامَ وَجُوْدُهُ
عَلَى كُلِّ مَوْجُوْدٍ وَإِفْضَالُهُ يَجْرِي

** ** **

أي لا يتعاظمه ذنب أن يغفره إذا شاء مهما عظُم، قال سيدنا الشافعي:

ولما قَسَا قَلبِي وَضَاقَتْ مَذَاهِبي جَعَلتُ رَجَائي نَحوَ بَابِك سُلَّما
تَعاظَمَني ذَنبِي فَلمّا قَرَنتهُ بِعَفوِكَ رَبِّي كانَ عَفوُكَ أَعظَما

١- أخرجه الترمذي في سننه عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه، باب فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله لعباده، (٥/ ٥٤٨، برقم:٣٥٤٠)، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده مسند أبي ذر (٣٥/ ٣٧٥، برقم: ٢١٤٧٢).

٢- بيت يردد عند الإنشاد الجماعي لبعض القصائد كقصيدة (قد كفاني علم ربي) للإمام الحداد.

جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال: واذنوباه واذنوباه، فقال هذا القول مرتين أو ثلاثا، فقال له رسول الله صلى الله عليه و سلم: **(قل اللهم مغفرتُك أوسعُ من ذنوبي ورحمتُك أرجى عندي من عملي)**. فقالها ثم قال: **(عد)** فعاد ثم قال: **(عد)** فعاد فقال : **(قم فقد غفر الله لك)**[1].

(مغفرتك أوسع من ذنوبي)؛ يعني ذنوبي وسيعة وكبيرة ولكن لو قارناها بمغفرتك فمغفرتك أوسع، ورحمتك أرجى عندي من عملي، أنت وفقتني لأعمال صالحة عملتها لكن رجائي في رحمتك وليس في عملي ورحمتك أرجى عندي من عملي، ما أرجو عملي ولكن أرجو رحمتك، ورحمتك أرجى عندي من عملي، نسأل الله أن يرحمنا برحمته الواسعة ويختصنا برحمته فإنه يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

عَسَى الْمُفْضِلُ الْمَوْلَى الْكَرِيْمُ بِمَنِّهِ
يَجُوْدُ عَلَى ذَنْبِ الْمُسِيئِنَ بِالْغَفْرِ
فَإِحْسَانُهُ عَمَّ الأَنَامَ وَجُوْدُهُ
عَلَى كُلِّ مَوْجُوْدٍ وَإِفْضَالُهُ يَجْرِي

لأن كل مخلوق ما قام إلا بالله، ولا وصل إليه أيُّ شيء إلا بالله تبارك وتعالى، فإفضاله جارٍ على الكل ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [النحل: ١٨] ، فإحسانه عمَّ الأنام وجوده على كل مخلوق و إفضاله يجري، جل جلاله فلا يتعاظمه أن يغفر ذنبا عظيماً من نادم تائب مستغفر متذلل راج طامع في جود ربه جل جلاله.

١- رواه الحاكم في المستدرك.



وَصَــــلِّ عَــــلَى خَـــيْرِ الْبَرِيَّـــةِ كُلِّهَــــا
مُحَمَّـــدٍ الــــمَبْعُوثِ بِالْعُـــذْرِ وَالنُّـــذْرِ

** ** **

(وصلِّ على خير البرية كلها) فإنه الذي أرشدك إلى هذا الخير كلِّه والذي أوصل إليك هذا الخير كلَّه، وهو مفتاح فتحِك، وأساس نُجحك، ومعدن فوزك وصلحك صلوات ربي وسلامه عليه، فصلِّ عليه ترقَ، وصلِّ عليه تتنقَّ، وصلِّ عليه يتيسر لك الوصول، وصلِّ عليه تدركِ السؤل والمأمول، فإنك بالصلاة عليه يصلي عليك البرُّ الوصول، لا بواحدة واحدة لكن بواحدة عشراً، فما أجدرها بإصلاح العبد وأحرى، وأن تُيَسِّرَ له الجري في أكرم مجرى، وأن توصله إلى الدرجات العلى والذرى، مع خواص من رعتهم عينُ عنايةِ الله سراً وجهراً، وهل وصلوا إلى الله إلا بالله وإلا بصلاة الله عليهم، ولولا صلاته عليهم ما تزكوا ولا اتصفوا بالأوصاف الصالحة قال ربنا : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٤٣] بصلاة الله عليهم تحققوا بالصلاة له، وبصلاة الله عليهم حازوا الصِلات منه، وبصلاة الله عليهم نالوا الوصول إليه، وإنما أدركوا الحظ من صلاة الله عليهم بقدر تعلُّق قلوبهم بالصلاة على عبده وصفيِّه وحبيبه وخيرته ونقوته وصفوته ومختاره ومحبوبه محمد **(مَن صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشرا)**(١) **(فأكثروا**

١- أخرجه مسلم في صحيحه عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما، باب استحباب القول..، (ص: ٢٠٣، برقم: ٣٨٤) .

من الصلاة علي فإن صلاتكم معروضة عليّ)[1] ﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التحريم: ٨] ، **(إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة)** ولا شك أن أولاهم به أولاهم بالله.

فما أعجب فضل الله علينا بوعدِه إيانا أن يصلي علينا إذا صلينا على نبيه، فإذا أردنا أن نصلي على نبيه ما قدرنا أن نصنع شيئاً مِن أنفسنا، ولا أن نبعث شيئاً مِن عند أنفسنا، ولا أن نقدم شيئاً مِن عند أنفسنا، فرجعنا إليه نفسه الذي طلب منا نطلب منه أن يصلي على النبي، نقول يا رب صلِّ على النبي، فيقول لنا هذا يكفي منكم أنتم، ماذا يمكن أن تفعلوا؟ ترجعون إلي، وتقولون : اللهم صلِّ على النبي، هذا الذي أطلبه منكم، وأنا أصلي عليه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، علمتم أني قد صليت عليه مِن قبل أن أخلقكم، وخصصتُه بأعظم الصلاة مني، وعلمتم قدرَه لدَي، وإني طلبت منكم الصلاة عليه فامتثلتم أمري، وجئتم تطلبون مني الصلاة فهذا يكفي منكم، فأنا أصلي عليكم أيضا، هذا فضل الله وإلا فأنت ماذا تعمل حينما تصلي عليه ؟ تقول اللهم صل على محمد، ترجع إلى عند ربك وتطلب منه سبحانه وتعالى.

(وصل على خير البريات كلها) أفضل الخلق على الإطلاق، ملَكا وإنسا وجنّاً وكائنات أجمع، ما خلق الله جماداً ولا نباتاً ولا حيواناً ولا جسداً ولا روحاً ولا ظاهراً ولا باطناً ولا أرضاً ولا سماءً ولا حِسَّاً ولا معنى أكرمَ عليه مِن محمد،

٢- أخرجه أبو داود كتاب الصلاة باب فضل يوم الجمعة (برقم: ١٠٤٧)، وابن ماجه (١/ ٣٤٥، برقم ١٦٣٦).

ولا أحب إليه مِن محمد بجسدِه وروحِه وسرِّه ومعناه وقلبه وقالبه وظاهره وباطنه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وجعله الأولَ في الخلق والآخرَ في بعث الأنبياء عليه الصلاة والسلام، وجعله الظاهر فَضْله يوم القيامة، وجعله الباطن الذي لا يستطيع أحد تصور فضله غير ربّه، فهو أول وهو آخر وهو ظاهر وهو باطن صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ومن سار في دربه .

وقد كان خير البرية مولده في يوم الاثنين وفيه مبعثه، وفي ليلة السابع والعشرين مِن رجب على أصح الروايات إسراؤه ومعراجه، وفي يوم الاثنين أيضا دخوله إلى طيبة الطيبة، ولقاؤه لربه صلوات ربي وسلامه عليه، وقد سئل عن صوم يوم الاثنين فقال: (**ذاك يومٌ وُلدت فيه**) كما جاء في صحيح مسلم[1] وجاء في رواية أخرى عند غيره (**وفيه أنزل علي وفيه أسري بي وفيه أتيت طيبة**) ويوم الاثنين يوم عرضٍ لأعمالنا معاشر المكلفين على ربنا وعلى رسوله ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾[التوبة: ١٠٥]

ونرجو أن يعرض عليه منا وعنا ما تقر به عينَه، وما يُسرُّ به قلبُه، وما يفرح به فؤاده وخاطره، فإن أسررنا ذاك الفؤاد فإنما أسررنا فؤاداً قال عنه رب العباد: ﴿مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴾ [النجم: ١١] وإن أقررنا تلك العين فإنما أقررنا عيناً قال عنها رب الأرض والسماء: ﴿مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ١٧ لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ ﴾

١- أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي قتادة الأنصاري رضي الله تعالى عنه، باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر وصوم يوم عرفة وعاشوراء والاثنين والخميس، (ص:٥٩٠، برقم: ١١٦٢).

[النجم: ١٧ – ١٨] فلسنا نصادف في أهل السماوات والأرض عيناً أكرم مِن هذه العين، ولا فؤاداً أشرف من هذا الفؤاد، فالله يسر قلبه وفؤاده بنا ويقر عينه بنا.. آمين.

عسى أن يكون في ضمائرنا ونياتنا مِن عظيم الإيمان بالله وبهذا المصطفى والتعظيم لله ولهذا المصطفى والمحبة لله ولهذا المصطفى والعزيمة الصادقة على اتباعه ونصرته وخدمة أمته ما يكون سببا لقرة عينه وسرور قلبه اللهم آمين.

فاستكثروا نصيبَكم مِن صلوات رب الأرض والسماء عليكم بكثرة صلاتكم وسلامكم على حبيب رب الأرض والسماء وسيد أهل الأرض والسماء أكرم الكرماء على الله الكريم محمد عبده ذي الخُلُق العظيم، فكلُّ صلاةٍ من أحدكم مقبولة له بها مِن الله عشر صلوات فما أعجب ذلك.

رأى بعضهم طائفاً بالبيت يطوف وهو يصلي على النبي، ثمَّ رآه يسعى وهو يصلي على النبي ويمشي وهو يصلي على النبي، فقال له: يا هذا ألا تعرف شيئاً مِن الأذكار والأدعية إلا الصلاة على النبي؟ فقال: لي معها قصة، قال: ما قصتك؟ قال: خرجت وأبي في سفر فبينما كنت في الطريق إذ مرض أبي فمات، فحين مات اسودَّ وجهه وتغيَّر، فبقيت محزوناً كيف أقابل الناسَ بهذه الصورة، وكيف أقول للناس تعالوا نغسِّل هذا الميت ونكفِّنه ونصلي عليه، والفضيحة بادية عليه، ومن الهم والحزن نعست ونمت فرأيت رجلا أقبل عليه بهاء ووقار وجمال وسكينة فقال: يا هذا! إن أباك كان مُسرفاً على نفسه ولكنه كان يكثر الصلاة عليّ، أنا نبيك محمد قال: وإني تشفَّعت فيه عند الله تعالى حتى شفَّعني فيه، فمسح بيده على وجه أبي فحسن وابيض واستنار، قال: فانتبهت وقد رجع الوجه مستنيرا أبيضاً فحمدت الله على ذلك، وذهبت إلى أهل القرية وقلت لهم : تعالوا معنا ميت نريد

أن نغسله، قلتها وأنا فرحان ومعتز ومعي وجه يقابل ، فغُسِّل وكُفِّن ودفناه، ومن يومها جعلت شغلي الصلاة على النبي محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

يكفيك حديث الترمذي في سننه (**إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليَّ صلاة**)[1].

(**وصلِّ على خير البرية كلها محمد**) وهو اسم لمن كثُرت خصاله الحميدة، ولمن كثُر حمدُ الناس له فهو محمد، ولم يكن الاسم مشتهراً بين الناس، وعند قرب ولادته وكثرة حديث علماء الكتاب بأنه أظلَّ زمانُ مولودٍ يولد يكون نبي آخر الزمان اسمه محمد سمى عددٌ نحو الخمسة عشر أولادهم محمداً، قريبا من العام الذي ولد فيه نبينا، ثم ولد نبينا ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤] فسماه جده عبدالمطلب بإشارة مِن أمه وبإلهام مِن الله، وقد كانت في كل أشهر حملها ترى أنبياء وكلهم يقولون لها سمِّيه محمداً حتى ولدته وأشارت على جده عبد المطلب، وانشرح صدره فألهمه الله فسماه محمداً في يوم السابع من ولادته، ودعا رؤساء قريش وأعيانهم وعامتهم وعقَّ عنه، قالوا ما سميت ابنك؟ قال: محمداً، فقالوا: عجيب .. هذا الاسم لم نسمع به وليس مِن أسماء آبائك وأجدادك لماذا تأتي باسم جديد ليس مِن أسماء آبائك وأجدادك؟ وبحكم الفطرة قال لهم: سميته محمداً رجاء أن يحمد في السماء وفي الأرض.

١- أخرجه الترمذي في سننه عن عبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنه، باب ما جاء في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، (٢/ ٣٥٤، برقم: ٤٨٤).

حتى أهل الجاهلية يحرصون على أسماء آبائهم وأجدادهم، فجاء بعض المسلمين الغُفَّل يحتقر أسماء آبائه وأجداده ويبحث له عن اسم فاسقٍ من الفساق وفاجر من الفجار يسمي ولده به، أعوذ بالله من غضب الله، يقول لك : هذا اسم متطور.. اسم متطور؟ وهل معنى التطور دفن المجد والكرامة والحضارة؟ وهل التطور في فقدان الهوية؟ متطور في التبعية لمن لا خلاقَ له، ليس هناك أسماء متطورة أحسن مِن أسماء الأنبياء، أعظم وأفخر الأسماء أسماء أنبياء ربي صلوات الله وسلامه عليهم، وأسماء مَن سبقت لهم سابقة السعادة مِن الله من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان وخيار المقربين.

قال: سميته محمدا رجاء أن يُحمد في السماء وفي الأرض، ألهمه الله فكان كذلك.

وعـــق عنـــه ســـابع المـــيلاد ... دعـــا قريشـــا رؤســـاء النـــادي

ســـماه لمـــا حضـــروا محمـــدا ... قـــالوا: لمـــاذا؟ قـــال: حتـــى يحمـــدا

يحمـــده أهـــل الســـماء والأرض ... فحقـــق الله رجـــاه المـــرضي[1]

فكان صاحب المقام المحمود.

وَصَـــلِّ عَـــلَى خَـــيْرِ الْبَرِيَّـــةِ كُلِّهَـــا

مُحَمَّـــدٍ الــــمَبْعُوثِ بِالْعُـــذْرِ وَالنُّـــذْرِ

١- نظم مولد ابن كثير للحبيب العلامة: محمد بن سالم بن حفيظ .

قال الله تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٥] وليس أحد أحب إليه العذر مِن الله لذلك أرسل المرسلين مبشِّرين ومنذرين إقامة للحجة.

(المبعوث بالعذر والنذر) إنذار الخلائق مِن سخطِ الله وغضبه وعقابه ليظفروا برضاه ونعيمه وقربِه سبحانه وتعالى، فهو البشير النذير وهو السراج المنير.

(محمدٌ المبعوث بالعذر والنذر) (نبي الهدى من عظَّم الله شأنه) فلم يقدِّم عليه أحدا وفضَّله على كل أحد. **(مَن عظم الله شأنه)** بما لا يستطيع أن يعظمه به غيره، وحسبك ما قال ربك مخاطبا له: ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ [الطور: ٤٨] ما أعظم هذه المنزلة فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ [الطور: ٤٨] ثم قال: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ [النساء: ٨٠] ما ترى هذه المنزلة؟! ما ترى هذا التعظيم؟! ثم قال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الفتح: ١٠] ثم قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾ [الأنفال: ٦٤] وكلما وجه الخطاب لنبي في كتابه العزيز خاطبه باسمه: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [البقرة: ٣٥] ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [ص: ٢٦] ﴿ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَۚ ﴾ [هود: ٤٨] ﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٤] وهكذا.. فإذا وجه الخطاب إليه قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ ﴾ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴾ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴾ لا تجد آية واحدة فيها يا محمد يا أحمد!!



ودعـا الإلـه الرسـل كـلا باسـمه ودعـاك وحـدك بالرسـول وبـالنبي[1]

قال تعالى: ﴿ لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾ [النور: ٦٣] وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [الحجرات: ١ – ٣] ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٣١].. ومن عصى الله تعالى فأراد المغفرة ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ٦٤].

** ** **

٤١. نَبِـيِّ الهُـدَى مَـنْ عَظَّـمَ اللهُ شَـأْنَهُ وَأَيَّـدَهُ بِـالْفَتْحِ مِنْـهُ وَبِالنَّصْـرِ

** ** **

قال تعالى: ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١١٣] ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴾ [الفتح: ١ – ٣] قال: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾ [الضحى: ٥] .

١- أورده العلامة أحمد بن محمد القسطلاني في كتابه : المواهب اللدنية بالمنح المحمدية دون عزو .

(عَلَيْهِ صَلاةُ اللهِ) أمر المستمع والمتلقي للوصية بالصلاة على هذا النبي وأردفها بالصلاة منه عليه، فقال:

٤٢ . عَلَيْـــهِ صَـــلاةُ اللهِ ثُـــمَّ سَـــلامُهُ
صَـــلاةً وَتَسْـــلِيماً إِلَى آخِـــرِ الـــدَّهْرِ

** ** **

(عَلَيْهِ صَلاةُ اللهِ) أي رحمته المقرونة بالتعظيم اللائقة بمقام نبيه الكريم.

(ثم سلامه) تحيته المخصوصة برسوله ذي القدر الفخيم.

(صلاة وتسليما إلى آخر الدهر) يبقيان مستمران سرمداً.

** ** **

٤٣ . مَعَ الآلِ وَالأَصْحَابِ مَـا هَبَّـتِ الصَّـبَا
وَمَـا زَمْـزَمَ الْـحَادِي وَمَـا غَـرَّدَ الْقُمْـرِ

** ** **

(مع الآل) أقاربه المؤمنون من بني هاشم وبني المطلب.

(والأصحاب) كل من آمن به واجتمع به في عالم الدنيا في حياته صلى الله عليه وآله وسلم الدنيوية مؤمناً ومات على ذلك؛ وأفضلهم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، وأفضل هؤلاء العشرة المبشرون بالجنة في حديث واحد، وأهل بيعة العقبة، وأهل بدر، وأهل أحد، وأهل بيعة الرضوان، عليهم رضوان الله تبارك وتعالى.

وأصـــحابه الغـــر الكـــرام أئمـــة
مهـــاجرهم والقـــائمون بنصـــرة
نجـوم الهـدى أهـل الفضـائل والنـدى
لقـــد أحســـنوا في حمـــل كـــل أمانـــة
ومتَّبعـــوهم في ســـلوك ســـبيلهم
إلى الله عـــن حســـن اقتفـــاء وأســـوة
أولئـــك قـــوم قـــد هـــدى الله فاقتـــده
بهـــم واســـتقم والـــزم ولا تتلفـــت
فـــما بعـــد هـــدي المصـــطفى وصـــحابه
هـــدى لـــيس بعـــد الحـــق غـــير الضـــلالة
فـــذو القـــدح فـــيهم هـــادم أصـــل دينـــه
ومقـــتحم في لـــج زيـــغ وبدعـــة[1]

(مع الآل والأصحاب) هؤلاء أخص الأمة بنبيها، شُرِّفت الأمة كلها ونالت الفخر وكانت أفضل الأمم بهذا النبي، وأخص هذه الأمة بالنبي آله وصحبه، هؤلاء أخص الأمة به وأقربهم إلى جنابه الشريف آله وأصحابه، وعزة الله إنما يدخل الجنة من أمته في القيامة آله وصحبه ومَن أحبهم فقط، لا يدخل الجنة واحد مِن أمته لا يحبه ولا يحب آله ولا يحب أصحابه، فأهل الجنة الذين هم مائة وعشرون صفا ثمانون مِن هذه الأمة، الثمانون الصف كلها آله وأصحابه ومحبوهم.. فالله يجعلنا فيهم ويرزقنا حقيقة محبتهم ويحشرنا في زمرتهم.

١- وهي من قصيدة التائية الكبرى للإمام عبدالله بن علوي الحداد.

(مع الآل و الأصحاب ما هبت الصبا) التي قال عنها **(نُصِـرْتُ بِالصَّبَا، وَأُهْلِكَتْ عَادٌ بِالدَّبُورِ)**[1] وكانوا يتفاءلون بهبوب ريح الصبا ويقول: (نصرت بالصبا) والمراد كلما هبت الريح تتجدد الصلاة على سيدنا محمد ذي الجاه الفسيح.

(ما زمزم الحادي) الذي يحدو الناس إلى الدرجات العلى، وإلى إتباع خيرِ الملا، كلما زمزم حادي بنغمٍ في الخير فيُطرب الأرواح ويحرك القلوب.

(ما زمزم الحادي وما غرد القمري) نوع من الطير يغرد بصوته الشجي فيحرك أرواح المحبين.

١- أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه، باب قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (نصرت بالصبا) (برقم: ١٠٣٥)، ومسلم كتاب الاستسقاء باب في ريح الصبا والدبور (برقم:٩٠٠) .

الفاتحة إلى روح ناظمها الإمام عبدالله بن علوي الحداد، ولمن أحبها وكل مَن شرحها، وكل من عمل بما فيها وكل مَن اتصل بها، أن الله يوصلنا بسرها وبما فيها وبسر الدلالة على الله والحق والهدى فيها، ويجعلنا من خواص أهليها ويرقينا في مراقي القرب منه والدنو إليه، وينفحنا بنفحة الخير ويجعلنا من أهل الخير، ويعاملنا معاملة أهل الخير، ويثبتنا على أقوم طريق، ويلحقنا بأعلى رفيق ويسقينا من أحلى رحيق، ويدفع عنا كل تعويق ويجعل الحبيب لنا صاحباً ورفيقاً، ويختم لنا بالحسنى وهو عنا راضٍ في لطف وعافية، بنية صلاح شؤون المسلمين، وأن يحيي فيهم حقائق السنة والبر والتقوى والهداية، مع دفع الشرور وصلاح الأمور. وإلى حضرة النبي.



الفهـــرسة